الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة منتوري قسنطينة

كلية الآداب و اللغات — الرقم التسجيلي:........................

قسم اللغة العربية و آدابها — الرقم التسلسلي:........................

بعنـــــــــوان :

آثار العربي التبسي، دراسة فنية

رسالة مقــدمة لنيل شهــادة الماجستير في الأدب العــربي

إعــداد الطالب:
أقيس خالد

إشــراف:
أ.د : تاورتة محمد العيد

السنة الجامعية:2007

المقدمة:

يعد الحديث عن أدبيات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الحديث عن أدب المقاومة الثقافية، فالباحث في القضية الجزائرية و تطورها خلال الفترة التي ظهرت فيها هذه الجمعية، و حتى قبل ظهورها بقليل، يجد أنها من أهم المراحل في تاريخ الجزائر المُسْتَعْمَرَة، و هذا نتيجة ما شهده المجتمع الجزائري من وعي جعله أكثر تمسكا بمقوماته الشخصية.

و الحق أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لعبت دورا رياديا في خلق جيل على قدرٍ من الوعي بمقوماتِ شخصيته القومية، على الرغم من جهود الاستعمار الرامية إلى هدم هذه الشخصية منذ اليوم الأول الذي دخل فيه الجزائرَ. فصحفُ الجمعية قد عبرت عن نشاطها في هذا الاتجاه و الذي يعد انعكاسا لفكرٍ ظل مناوئا لمخططات الاستعمار و محاولاته الرامية إلى طمس الهوية الثقافية للجزائريين و استبدالها بثقافة غريبة عنهم.

إلا أنه بقدر ما كانت إدارة المستعمر مصممةً على تطبيق سياسة الفَرْنَسَةِ و محاربة اللغة العربية، التي ظلت تقف في طريقها بقدر ما كان الجزائريون يقاومون هذه السياسة و يحافظون على هذه اللغة. فجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعد بحق المُفَجِرَ لثورةٍ ثقافية لازلنا حتى اليوم نحيا على أفكارها الإصلاحية و الوطنية، و القومية. غير أن الكثير منا يجهل مصدر هذه الأفكار، و يجهل عن أعلامها الشيء الكثير باستثناء نخبة قليلة من العلماء و المثقفين، ومن هؤلاء الأعلام البارزين الذين لم يحظوا بالدراسة، و الاهتمام الذي يليق بمكانتهم الفكرية و الإصلاحية و الأدبية الشيخ العربي التبسي، و يشهد على هذه المكانة المتميزة لهذه الشخصية ما ذكره الشيخ البشير الإبراهيمي عنها حيث يقول:(**مرب كامل خرجته الكليتان الزيتونة و الأزهر في العلم، و خرجه القرآن و السيرة النبوية في التدين الصحيح و الأخلاق المتينة، و أعانه ذكاؤه و ألمعيته على فهم النفوس، و أعانته**

عزته و نزاهته على التزام الصدق و التصلب في الحق و إن أغضب جميع الناس، و ألزمته وطنيته الصادقة بالذوبان في الأمة و الانقطاع لخدمتها بأنفع الأعمال، و أعانه بيانه و يقينه على نصر الحق بالحجة الناهضة و مقارعة الاستعمار في جميع مظاهره، فجاءتنا هذه العوامل مجتمعة منه برجل يملأ جوامع الدين و مجامع العلم و محافل الأدب و مجالس الجمعيات و نوادي السياسة و مكاتب الإدارات و معاهد التربية).[1]

وعلى الرغم من هذا الدور الذي لعبه العربي التبسي مناضلا في الجمعية، والمكانة التي احتلها في نفوس زملائه أمثال الشيخ البشير الإبراهيمي، بقيت آثاره من خطب و مقالات و كلمات بعيدة عن أنظار الدارسين إلا ما كان من بعض تلامذته، خصوصا إذا تعلق الأمر بالدراسات الأكاديمية ذات التوجه الأدبي.

و انطلاقا مما سبق فقد عزمت على الخوض في غمار هذا البحث الموسوم بــ: آثار العربي التبسي، دراسة فنية.

***

إن التعريف بهذا العَلَمِ الجزائري و بآثاره، و التعرف على إحدى صور الكتابة الجزائرية قبل الإستقلال سيقودنا إلى محاولة الإجابة عن مجموعة من الأسئلة:

فإلى أي حد ــ مثلا ــ استطاعت آثار الشيخ العربي التبسي أن تمثل المقاومة الثقافية في الجزائر ؟

و كيف وُظِّفَتْ من حيث الموضوعات التي عالجتها و ما هي مضامين تلك الموضوعات و كيف كان الأسلوب الذي كتبت به تلك الآثار ؟

و أي نوع من القضايا ارتكزت عليها هذه الموضوعات ؟

[1] آثار البشير الإبراهيمي: جمع و تقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان، 1997، ص:217.

و ما هي المواقف التي حملتها و ناضل كاتبها لأجلها ؟ و كيف كانت لغة آثاره الفكرية و الأدبية مساعدة له في خدمة القضايا الجزائرية آنذاك ؟

إن أهمية موضوع هذا البحث تكمن في أنه في تقديري أول دراسة أكاديمية من وجهة نظر أدبية ــ على ما نعلم ــ و هي تحاول الكشف من خلال البحث العلمي عن كفاح هذا الرجل ــ الذي هو من كفاح الشعب الجزائري ــ في المحافظة على مقومات شخصيته القومية.

***

أما المنهج المتبع قصد مناقشة هذه الأسئلة فهو بالأساس المنهج التحليلي الفني؛ الذي نواجه من خلاله النص المكتوب، أو العمل الأدبي من حيث الموضوعات و أدوات الكتابة، مع الاستفادة من المناهج الأخرى بدءا بالمنهج الاجتماعي الذي نحاول من خلاله ربط فكر الشيخ العربي التبسي بظروف مجتمعه و محاولة إيجاد العلاقة بينهما، ثم المنهج النفسي في الكشف عن تميز هذا الكاتب، و عن عوامل هذا التميز، إضافة إلى المنهج المقارن في دراستنا للصورة الذهنية، و وأيضا البنيوي في معالجة اللغة و ظواهر كتاباته الأسلوبية، وهذا حسب ما تقتضيه عناصر البحث التي تتنوع من حيث مادتها. غير أن هذا لا يعني القفز بين المناهج دون الالتزام بأي شيء من قيودها، بل سأحاول أن تكون على قدر من التكامل الذي سيخرج بنتائج محددة تلقي الأضواء الكافية على آثار العربي التبسي، و ذلك وفق ما نرجوه من هذه الدراسة.

***

أما الخطة التي سار عليها الباحث في هذا العمل فهي تتمثل في: مقدمة، و تمهيد، و ثلاثة فصول، فخاتمة، ثم الملاحق و الفهارس.

لقد حاولنا في المقدمة أن نبين أهمية البحث و منهجه و خطته، و حاولنا في التمهيد أن نتعرف على ردات فعل الجزائريين ــ في ظل الحركة الوطنية

ـــ و على ما كان من غزو ثقافي و فكري و اقتصادي، ودور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمواقفها و آليات عملها في تحقيق هذه المواقف، ولذلك فإننا أشرنا إلى الصحافة، والصحف التي كانت وجهة لأعلام الإصلاح عموما، ووجهة للشيخ العربي التبسي على وجه الخصوص، بعد أن أشرنا إلى دور هذه الكتابات في نشر الحس الوطني، مع ما لحقها وكُتَّابَهَا من قهر استعماري ظل يلازمها مُلازَمَتَهُ لأرض الجزائر.

أما الفصل الأول فقد جعلته ترجمة ـــ حاولت أن تكون وافية ـــ للشيخ العربي التبسي وتناولت فيه مولد الرجل و نشأتَه، ثم تعلمَه، ثم سمات عصرهِ سياسيا، واقتصاديا وثقافيا، بعدها نتكلم عن توجه الشيخ، ومن ثمة نشاطه داخل الجمعية حتى استشهاده سنة 1957م.

و أما الفصل الثاني فقد حاولت من خلاله التكفل برصـد أنــواع الكتابـة و الخصائص الشكلية و المضمونية العامة لآثار الشيخ العربي التبسي، و قـد بدئت بالحديث عن الأشكال الكتابية، التي كانت بمثابة قوالب التزام الشيخ في أدبياته بالقضية الوطنية، مع رصدنا لمواقفه المبثوثة في هذه الآثار، وبعـض المفاهيم التي ارتكزت عليها فلسفة الرجل الإصلاحية، ثم دراستنا لنظرته إلى الآخر (الاستعمار) و هو ما حاولنا من خلاله أن نقف على واقعيـة التصـور و طريقة طرح القضايا و كيفية فهمها، و بالتالي مدى انسجامه مع مجتمعـه، و استيعابه لأحلام أمته و آلامها.

و أما الفصل الثالث و الأخير، فقد خصصته للحديث عن بناء الأسلوب، بدءا بالمفردات اللغوية و سماتها، ثم الجمل و أنواعها، إضافة إلى بعض الظواهر الأسلوبية التي كانت الطابع العام لهذه الكتابات، كظاهرة التناص، وارتباط كتاباته مع التراث، و أسلوب السخرية، و توظيف السرد، لأصل في

الأخير إلى محاولة رسم الصورة الفنية البلاغية في كتابات العربي التبسي وفق ما هداني إليه جهدي و معرفتي.

و ختمت هذه الدراسة بحوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها أثناء البحث كله، سواء تعلق الأمر بشخص العربي التبسي أم بمحيطه، أم أتعلق بطبيعة أفكاره و خصائصها الأسلوبية.

و يتم إكمال البحث بملحق يضم مجموعة من المقالات الأخرى للشيخ العربي التبسي؛ و هي مقالات لم نجدها ضمن الجهد الذي قام به الأستاذ أحمد الرفاعي الشرفي في كتابه الجامع لآثار الشيخ العربي الذي عنوانه: **مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر بقسميه الأول[1] و الثاني.**[2] و عليه فإن الملحق نراه في غاية الأهمية بالنسبة لهذا البحث. كما يضم الملحق في بحثنا هذا مجموعة من الفهارس التي تعد ضرورة في مجال البحث العلمي الأكاديمي.

***

وإذا كان لزاما على كل باحث أن يشير إلى الدراسات السابقة له، فإني لا أعرف دراسة أكاديمية حول نتاج العربي التبسي ممثلة في آثاره، و المجموعة في الكتاب المذكور أعلاه للأستاذ أحمد شرفي الرفاعي و هي جمع و ليست دراسة أكاديمية؛ و ربما هذا ما أعطاني رغبة أكثر في التطرق لهذه الآثار بالدراسة بعدما اطلعت على كتاباته، خصوصا وأن للرجل مسارا تاريخيا هاما في الحركة الإصلاحية الجزائرية حتى استشهاده. كما تطلعت إلى ما يمكن أن

---

[1] العربي التبسي: مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، جمع وتعليق أحمد شرفي الرفاعي، ج1، ط1، دار االبعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، 1981م.

[2] العربي التبسي: مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، جمع وتعليق أحمد شرفي الرفاعي، ج2، ط1، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، 1984م.

يكون قد فات الأستاذ أحمد شرفي في جمعه أو لم يصل إليه، و هو ما جعلته بالفعل ملحقا لهذه الدراسة كما ذكرت آنفا.

و بعد، فإن القول بهذا لا يعني نكران جهود الآخرين من مثل المقدمتين اللتين جاء بهما الأستاذ الرفاعي الشرفي (تلميذ العربي التبسي) في الكتابين الجامِعَيْنِ لآثار العربي التبسي، بل إنني أُعِدُهُمَا مُنْطَلَقَ الإشعاع بالنسبة لدراستي هذه نظرا لأهمية الملاحظات المقدمة فيهما عن الشيخ و عن المقالات ذاتها. أما ماعدا ذلك من الدراسات على قلتها فقد انصبت على حياة الرجل من وجهة نظر تاريخية ، من مثل:

- أعمال الملتقى الوطني للفكر الإصلاحي في الجزائر،[1] الذي يضم مجموعة من المقالات عن الشيخ بمناسبة ذكرى استشهاده الخامسة و الثلاثين.

- ما كتبه علي دبوز في كتابه أعلام الإصلاح في الجزائر.[2]

- مقال حفناوي زاغز، الذي نشر في مجلة الثقافة، بعنوان: (الإمام الشيخ العربي التبسي)[3]

- ما ورد في كتاب تركي رابح: جمعية العلماء المسلمين التاريخية، ورؤسائها الثلاثة.[4]

---

[1] أشغال الملتقى الوطني للفكر الإصلاحي في الجزائر المنعقد بتبسة سنة:2002م.

[2] محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1974م، ص: 42.

و العربي التبسي: مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، جمع وتعليق أحمد شرفي الرفاعي، ج2، ط1، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، 1984م، و ج2، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1976م.

[3] حفناوي زاغز: (الإمام الشيخ العربي التبسي)، مجلة الثقافة، تصدرها وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر ع 94، يونيو- أغسطس 1986م.

[4] تركي رابح: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931 - 1956)، و رؤساؤها الثلاثة، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2004م.

كما أن هناك بعض الإشارات المبثوثة في بعض الدراسات التي تناولت الأدب الجزائري من جانبه النثري، نذكرها و إن كنا لم نعتمدها في البحث مثل: كتاب نور سلمان و الموسوم: بالأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير،[1] كذلك كتاب عبد الله ركيبي و عنوانه: تطور النثر الجزائري الحديث(1830 ــ1974).[2]

و لذلك فإن هذا البحث قد حاول تعويض بعض النقص في الدراسات التي لها علاقة بأدبيات الحركة الإصلاحية في الجزائر قبل الاستقلال، و هي الحركة التي لها علاقة بالمقاومة آنذاك بالاعتماد على العديد من الوثائق و الدراسات المختلفة حسب ما تقتضيه طبيعة العناصر التي تمت معالجتها في كل فصول الدراسة، و هي مفصلة في قائمة المصادر و المراجع.

***

في الأخير أقدم شكري الخالص للأستاذ الدكتور **محمد العيد تاورتة**، الذي قبل الإشراف علىهذا البحث، و عمل على تأطيره بتوجيهاته التي رافقت الدراسة مذ أن كانت فكرة إلى أن صارت عملا واقعا، كما أشكر **معهد اللغة العربية وآدابها** الذي شرفنا بالانتماء إليه طلبة في مرحلة الدراسات العليا. و أختم هذه المقدمة بالشكر الجزيل للخبراء الذين سيقرأون هذا البحث و يُقَوِّمُون ما فيه من هفوات. و الله الموفق. (خالد أقيس)

[1] نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1981م.

[2] عبد الله ركيبي: النثر الجزائري الحديث (1830 ــ 1947)، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983م.

تمهيد:

سنحاول في هذا التمهيد الوقوف على مفهوم المثاقفة باعتبارها الإطار العام الذي تندرج فيه كتابات الشيخ العربي التبسي، بوصفها شكلا من المقاومة

الثقافية فيما شهدته الجزائر مباشرة بعد أن احتلها الاستعمار الفرنسي سنة (1830م).

و المثاقفة كمفهوم ظهر سنة (1880م) عند الأنتربولوجيين الأمريكان فيما يسمى بمرحلة غزو الغرب و التحول الثقافي في سياق تهديم التمركز السكاني للسكان الأصليين في الأمريكيتين[1]

و تطرح الكاتبة مليكة حاج نصور في كتابها (الأدب الإفريقي المكتوب بالفرنسية) ثلاثة مفاهيم تخص المثقافة لتحليلها، و أول هذه المفاهيم ذلك الذي تأخذ فيه الكلمة معنيين، يتعلق الأول بوجهة نظر علم النفس و الاجتماع، وفيه ندرس تأقلم الفرد مع الوسط الثقافي حتى التعود عليه، أما المعنى الثاني فمرتبط بما يطرحه الأنتربولوجيون، إذ يرون أن المثاقفة هي: مجموع التحولات التي يتعرض لها المجتمع عند اتصاله بمجتمع آخر.[2]

و يذهب الأنتربولوجيون الأنجلوسكسونيون ، إلى أن المثاقفة مظهر خاص بعملية انتشار الثقافات مع ما يقابلها من رفض و صدام، و تحديات على مستوى من يقوم بنشر الثقافة، أو على مستوى من تفرض عليه.[3]

بينما التعريف الثالث يحصرها في العوامل الاجتماعية التي تمثل مظاهر الصراع، بما يؤدي إلى تغيير ثقافة في اتصالها بثقافة أخرى.[4]

و يميز روجيه باستيد بين نوعين من المثاقفة: مادية كما تتجلى في المظاهر الخارجية للثقافة (اللباس، الأكل..)، و عقلية إذا تعدت المظاهر الخارجية نحو التاريخ و المعتقد، و طريقة التفكير... و هي إيجابية إذا كانت

---

1 Voir, Malika Hadj-Naceur: Litterature Africaine d'expression Française, O. P. U ,1987,p : 58.
2 Ibid, p:58
3 Ibid, p:62
4 Ibid, p:64

نابعة من رغبة في التغيير باتخاذ سلوكات جديدة للمشاركة في عدة مسؤوليات، و سلبية في حالتها الارتجالية الناجمة عن الاستهلاك غير الواعي.[1]

و نفهم من مجمل هذه التعاريف على حد طرح علماء النفس و الاجتماع أو الانتربولوجيين، أنها تدور حول محور واحد يهدف إلى تبرير الاستعمار و مُحَاوَلَةٍ لإثبات إيجابيته، و هو ما يوضحه لوكلارك فيما معناه: أن وصف الاستعمار بالتغيير يعد من السخف، و عدم الرؤية الواضحة لمظهره خاصة بالنسبة للمستعمر الذي يسعى الاستعمار إلى هدم ثقافته و سلب وطنيته.[2]

و لذلك، إننا حين ننظر في تاريخ الجزائر الحديث، نتبين و بصورة لا يكتنفها غموض مدى بشاعة الممارسة الاستعمارية الشديدة التركيز قصد هدم الشخصية الوطنية و تَبَدُلِهَا بما يتماشى و عنجهية الاستعمار، و هو ما ولّد مقاومة عمدت إلى الحفاظ على روح هذه الشخصية، و سعت من أجل ضمان بقائها. و لعلنا إن أردنا أن نمثل لهذا تاريخيا، و على سبيل الذكر لا الحصر نذكر، كتاب (**المرآة**) لحمدان خوجة،* فمن مقدمته نفهم أنه ألف الكتاب قصد مواجهة المدرسة الفرنسية التي أرادت أن تنفي الشخصية الجزائرية بتشويه كل معالم حضارتها.[3]

---

[1] Voir, Malika Hadj-Naceur: Litterature Africaine d'expression Française, op cit, P : 64

[2] Ibid, p:68

* ولد حولي سنة 1773 من أم جزائري و أب تركي (كرغلي)، ناضل و أثناء الحملة الفرنسية على الجزائر ساهم بكل ما لديه للدفاع عن الجزائر، تقلد عدة مناصب حكومية من أشهر مؤلفاته المرآة: ألفه في باريس سنة 1833م باللغة العربية و ترجم إلى الفرنسية، وقد اعتمد في تأليفه على عدة مراجع عربية و فرنسية، يعتبر من أهم المصادر التي تكلمت على الجزائر في أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي. ينظر، حميدة عميراوي: دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1987، ص:59، و ص ص:75،74.

[3] و فيما نتبين من خلاله هذا، يقول: (فرض علي واجبا مقدسا يتمثل في التعريف بالوضع الحقيقي لهذا البلد قبل الغزو و بعده، وذلك لألفت انتباه رجال الدولة إلى هذا الجزء من هذا العالم ولأقدم لهم، ما لدي من معلومات و أنورهم حول

إضافة إلى المرآة نذكر أيضا كتاب: (**تعريف الخلف برجال السلف**) لمؤلفه الحفناوي،* يترجم فيه للعديد من الأعلام الجزائريين في محاولة لتأكيد شخصية الجزائر، و إثبات أصالتها بإثبات تراجم هؤلاء الأعلام، و في سياق الحديث عن التراجم نذكر جهد محمد الهادي السنوسي الزاهري،** حيث جمع في كتابه: (**شعراء الجزائر في العصر الحاضر**) بجزءية تراجم و أشعار واحد و عشرين شاعرا، مثل من خلاله (**فترة بداية تبلور نهج المقاومة و الرفض على مستوى النص الأدبي الذي كان أميل إلى الرمز و التلميح.**)[1]

و إن تجاوزنا الحديث عن المقاومة الثقافية في الجزائر إلى أوسع مما تبدو عليه في مثل هذه المؤلفات، فإنه يمكن القول بأن هناك فكرا إصلاحيا ظهر منذ نهاية القرن التاسع عشر و أخذ ينتشر و يقوى حتى الحرب العالمية الثانية، مثلها

بعض النقاط التي لاشك أنهم يجهلونها). حمدان خوجة: المرآة تقديم و تعريب و تحقيق، محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1975، ص45.

* ولد بقرية الديس بالقرب من مدينة بوسعادة سنة 1852م اشتغل محررا بجريدة المبشر، إضافة إلى كونه مدرسا بالجامع الكبير بالعاصمة، ألف كتابه (تعريف الخلف برجال السلف) سنة 1906. و يبدو أنه كان يريد بوضعه هذا الكتاب مسايرة الركب بعد أن تأثر بالنهضة. و يذكر الجزائريين بأن يتيقنوا بأن أمتهم كانت في الزمان الماضي الغابر أمة حية متقدمة، لا تقل ثقافة و علما و حضارة عن غيرها من الأمم و بالتالي فإنه كان يريد أن يشعرهم بأنه لا يوجد المستحيل أمامهم في هذا العصر لكي يخلقوا و يكونوا ما كان لهم في العصور السالفة، بل عليهم يتوقف كل شيء للحصول على قسط وافر من العلوم و الحضارة و التقدم. ينظر، الزبير سيف الإسلام: تاريخ الصحافة في الجزائر، ج5، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص:144.

** محمد الهادي بن علي بن محمد بن العابد بن محمد بن السنوسي الزاهري ولد ببسكرة ، بعد أن حفظ القرآن بمسقط رأسه انتقل إلى قسنطينة ليتتلمذ على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس، بعد أن فشل في رحلته إلى مصر انظم إلى الشبيبة الجزائرية بقسنطينة، و لما شرع في إصدار جريدة المنتقد، و من بعدها الشهاب انتخب نائبا عنهما اتباعا في القطر الجزائري حتى سنة 1345هـ لاشتغاله بكتاب شعراء الجزائر. ينظر، محمد الهادي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ط1، المطبعة التونسية، 1926، ص: 184 و ما بعدها.

[1] يحي الشيخ صالح، (البعد الوطني عند أدباء العشرينات من خلال كتاب شعراء الجزائر) مجلة جامعة قسنطينة للعلوم الإنسانية، ع 9، 1998، ص: 126.

الرعيل الأول من المصلحين، أمثال عبد القادر المجاوي (1848-1913م)، و عبد الحليم بن سماية (1866-1933م)، و صالح بن مهنا (1854-1910م)، و محمد بن يوسف أطفيش (1820-1914م)، و السعيد بن زكري (1851-1914م)... ثم المرحلة الثانية و تمتد بين بداية الحرب العالمية الأولى حتى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و من نشطائها عبد الحميد بن باديس (1889-1940م)، و أبي اليقضان (1889-1973م)، و الطيب العقبي (1890-1960م)، و محمد البشير الإبراهيمي (1989-1965م) و غيرهم.[1]

و أبرز ردّات الفعل الثقافية و التي كانت نتاج هذا الجهد الإصلاحي الفردي على امتداد نشاط الجيلين، هو ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة (1931م).

و يذهب محمد البشير الإبراهيمي في حديثه عن نشوء الحركة الإصلاحية في الجزائر في سجل جمعية العلماء المسلمين، إلى أنه يعود إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى تحت تأثير أربعة عوامل هي:

أولا: ما كان يدور من حديث حول الإمام محمد عبده، إضافة إلى قراءة الناس للمنار، وإطلاع بعضهم على كتب المصلحين أمثال ابن تيمية، و ابن القيم، و الشوكاني.[2]

ثانيا: الثورة التعليمية التي أحدثها عبد الحميد بن باديس، حيث كون جيلا (مستكمل الأدوات من فكر صحيح و عقول نيرة، و نفوس طامحة و عزائم صادقة، و ألسن

[1] ينظر، آنسة زعدود: جهود جمعية العلماء المسلمين في مقاومة الانحرافات الطرقية (1931- 1956)، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة، 1999-200م، ص: 41،40.

[2] ينظر، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المنعقد بمركزها العام، نادي الترقي بالجزائر، دار الكتب، 1982، ص: 47.

صقيلة، و أقلام كاتبة). ثم ذهابهم إلى الزيتونة لاستكمال تعلمهم و عودتهم إلى الجزائر، و اضطلاعهم براية الإصلاح تحت لواء جمعية العلماء[1].

ثالثا: الحرب العالمية الأولى، و أثرها في تطور فكر الشعوب المستعمرة، الذي حطّ من قيم المقدسات الوهمية (و مما أعان على نمو الأثر في النفوس تطور زعماء التخريف و أساطين التدجيل بالإنكباب على المال و التكالب في جمعه و الانهماك في الملذات و مزاحمة العامة في الوظائف و النياشين.)[2]

رابعا: عودة أبناء الجزائر من الحجاز بعد أن تلقوا العلم بمبادئه الصحيحة و تبنوا الإصلاح بأفكاره الناضجة.[3]

و قبل أن تتبلور جمعية العلماء المسلمين في شكل حقيقة واقعة جمعت جهود رجال الحركة الإصلاحية في مواجهة مفاسد الطرقية التي كرس سطوتها الاستعمار، و كانت من بين نتائجه في التأثير على الثقافة الجزائرية الإسلامية، ظهرت فكرة (جمعية الإخاء العلمي) التي اقترحها عبد الحميد بن باديس، وصاغ قانونها الداخلي الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، غير أن تلك الخطوة لم تتحقق و فشلت، لتكون بداية نجاح جمعية العلماء المسلمين فيما بعد.[4]

و إذا أردنا التوقف عند الجمعية بحسبها ردة فعل على الممارسة الاستعمارية، لابد من الإحاطة بمجمل مواقفها، و هذا كما نجده في سجل الجمعية دائما.

---

[1] ينظر، المصدر نفسه، ص ص: 48،47.

[2] المصدر نفسه، ص: 48.

[3] ينظر، المصدر نفسه، ص: 49.

[4] ينظر، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، مصدر سابق، ص: 53.

و أول هذه المواقف، موقفها من الطرق:(إذ ترى الجمعية أنها علة العلل في الإفساد، و منبع الشرور و إن كل ما هو متفش في الأمة من ابتداع في الدين و ضلال في العقيدة، و جهل بكل شيء، و غفلة عن الحياة، و إلحاد في الناشئة، فمنشؤه من الطرق و مرجعه إليها..)[1]

و لما كانت الطرقية ــ باعتبارها الفساد ــ هي التحدي الذي يواجه رجال الإصلاح في الجمعية، فإن آليات هذه المواجهة هي التعليم، الذي بات من أبرز مواقفها، حيث سعت الجمعية إلى العمل على إحداث المكاتب الحرة، و المعاهد لتعليم الصغار، و تنظيم الدروس و المحاضرات في الوعظ و الإرشاد الديني وفي التهذيب و شؤون الحياة العامة في المساجد و النوادي للكبار.[2]

و من مواقف هذه الجمعية أيضا، ما كان من تصديها للبدع و المنكرات العامة حيث أنكرتها بشدة مع العمل على محاربتها، و إماتة طقوسها، و هذا في مقابل إحياء سنة رسول الله محمد صلى الله عليه و سلم بما يتوافق و الدين الصحيح.[3]

كما أن للجمعية موقفها من الإلحاد؛ فيما يتعلق بخروج أبناء الجزائر ــ المتعلمين في المدارس الفرنسية ــ تعلما فرنسيا عن الدين لطبيعة مادة تعلمهم، و رؤيتهم لدينهم الأصلي على حد ما تقدمه به الطرقية في شكله المشوه، و صيغته الفاسدة، و الذي من خلاله أدركت الخلل، و أسهمت في مداواة العلة،

---

[1] ينظر، المصدر نفسه، ص: 61.

[2] ينظر، المصدر نفسه، ص ص: 63، 64.

[3] المصدر نفسه، ص:68.

بالعمل على إدراج أمثال هؤلاء في النوادي، وتعريفهم بالدين من خلال المحاضرات و الأمسيات و تشجيعهم على استدراك ما فاتهم من العربية.[1]

و في مقابل الإلحاد كان للجمعية موقفها من التبشير الذي مهدت له فرنسا سبل نجاحه نتيجة ما آل إليه المجتمع الجزائري من فقر و جهل، و نتيجة ما يتوفر لهذه الجمعيات من كثرة مال و قوة سند.

و لهذا فإن الجمعية ظلت تعول على فحولة علمائها من المصلحين في توعية الناس و توجيههم، إضافة إلى تعويلها على تصلب الجزائريين في دينهم حتى و إن كانوا من الجاهلين به، فمن برامج الجمعية مقاومة التبشير قدر المستطاع، وإن لم تتوفر لديها الوسائل الكافية لتنظيم مقاومة منتجة، و أهمها المال، إلا أنه وعلى الرغم من ذلك، فقد ارتفعت أصوات حارة بمقاومة التبشير من جو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المحاضرات العامة و الصحف السيارة.[2]

و أخيرا موقفها من سائر الرذائل على اختلافها من خمر وفجور، وترك للصلاة و شهادة زور و غيرها... فالجمعية جدت في محاربة كل ما هو مناف للدين و مخالف لتعاليمه الحنيفة.

ويقر الإبراهيمي في حديثه عن موقف الجمعية من بقية الرذائل بأن من بواكير نجاحاتها إعادة الغاويين من المسلمين إلى حظيرة الدين بمساعدتهم على التوبة و الرجوع عن خطاياهم.[3]

---

[1] ينظر، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، مصدر سابق، ص ص:69 - 71.

[2] ينظر، المصدر نفسه،ص ص: 72،73.

[3] سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، مصدر سابق، ص: 74.

وخلاصة القول هي: أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت نتاج الصراع الثقافي الذي أراد الاستعمار أن يفرض من خلاله النموذج الذي يتماشى و مصالحه الاستعمارية، وهذا كما تجلى في جملة مواقفها بحمولاتها الأيديولوجية النابعة من صميم الشخصية الوطنية الجزائرية، و التي تسعى إلى المحافظة على الدين الإسلامي و تمجيد تاريخه و محاربة الخرافات و البدع، و إحياء اللغة العربية و آدابها.

وإذا كان التعليم بشقيه الموجه للكبار و الصغار من أهم آليات المواجهة لدى جمعية العلماء على نحو ما تم تأكيده في شكل إحدى أهم مواقفها، فإن الصحافة كذلك تعد من أهم وسائل و أشكال المقاومة الثقافية ليس لدى فكر جمعية العلماء فحسب، بل و كما نجده حتى عند الأوائل من المصلحين، و هذا لما للنشر من أهمية وما للصحافة من أثر سواء أتعلق الأمر بمجال البناء و العمل الصالح، أم ارتبط بالعكس حين توجهها نحو الهدم و التدمير. فهي على حد تعبير بعضهم (**أقلام الحق لكن إذا صحت مبادئها، و ألسنة الصدق، ولكن إذا استقامت غايتها، و أخلصت للوطن خدمتها، بل هي ـــ و الحالة هذه ـــ لسان الأمة و مرآة أحوالها، و دواء أدوائها.**)[1]

و بداية ظهور الصحافة في الجزائر كانت مع مجيء الاستعمار الذي سخرها في خدمة أغراضه الاستعمارية، أما عن الصحافة العربية الجزائرية فكانت محتشمة قبل سنة (1900م) غير أن الوثبة كانت مع جريدة المغرب (1903-1913م) على الرغم من أن مستواها لم يبلغ درجة الصحف الراقية إلا أن تأثيرها كان كبيرا على الرأي العام، وفيها قال محمد عبده في زيارته للجزائر

[1] علي مرحوم:(نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية) مجلة الثقافة، ع42، ديسمبر 1978، ص: 23.

سنة (1903م) (**أنها كانت مفيدة للجزائريين الذين جردوا من الصحف العربية الوطنية.**)[1]
و أكد أبو القاسم سعد الله دورها الخطير، فهي من بين الجرائد التي أثرت على الرأي العام الجزائري،[2] و يذكرها علي مرحوم من بين الصحف العربية التي أنشأها الأجانب لأغراض مادية.[3]

و جمعية العلماء المسلمين لم تكن لتهمل دور الصحافة ومدى نجاعتها في تبليغ أفكار الجمعية و في خدمة برنامجها الإصلاحي المقاوم، فكان أن أصدرت مجموعة من الصحف على التوالي، ظهرت ثلاثتها سنة (1933م) و هي السنة النبوية، و الشريعة، و الصراط السوي.
و نرسم الجدول التالي لتوضيح تاريخ ظهورها، و انتهائها، ثم عدد الأعداد التي ظهرت منها.

(جدول رقم:1): تواريخ ظهور و انتهاء جرائد الجمعية الثلاثة الأولى.

الرقم	الجريدة	تاريخ ظهور عددها الأول	تاريخ ظهور عددها الأخير	الأعداد الصادرة منها
01	السنة النبوية المحمدية	08 دي الحجة 1351ه	10 ربيع الأول 1352ه	13

[1] ينظر، أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية1900-1930، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص: 135.
أو الزبير سيف الإسلام: تاريخ الصحافة في الجزار، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص:161
[2] ينظر، أبو القاسم سعد الله:الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، مرجع سابق، ص ص: 134، 135.
[3] علي مرحوم (نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية)، مرجع سابق، ص: 28.

		03 أبريل 1933	03 جويلية 1933م	
02	الشريعة النبوية المحمدية	24 ربيع الأول 1352ه 18 جويلية 1933م	07 جمادي الأول 1352ه 28 أوث 1933م	07
03	الصراط السوي	21 جمادي الأول 1352ه 11 سبتمبر 1933م	08 رمضان 1352ه 25 ديسمبر 1933م	15

إلا أن أهم جرائد الجمعية هي البصائر في سلسلتيها الأولى (1935-1939م) و الثانية (1947-1956م)، و هذا لعمرها الزمني كما هو واضح من امتداد السلسلتين تاريخيا.

وإن رجعنا إلى الشيخ العربي التبسي بوصفه واحدا من كبار رجال الإصلاح في الجمعية وأحد أقلامها و مدرسيها النشطين، فإننا نجد نصوصه التي تمثل بعض نشاطه في إطار الجمعية، و أحد أهم ردات الفعل الثقافية في مقاومة الاستعمار موزعة ــ على حد ما توافر لدينا من كتاباته ــ بين جريدتين من غير جرائد الجمعية: و أولها ــ بحسب تواريخ ظهور هذه الكتابات ــ هي جريدة النجاح (1920- 1956م)،* ثم الشهاب (1925-1929/1929-1939)، و فيما بعد جريدتين من جرائد الجمعية وهما: جريدة السنة، ثم البصائر بسلسلتيها.

* النجاح: لعبد الحفيظ بن الهاشمي، و مامي إسماعيل بقسنطينة، صدرت في 13 غشت سنة 1920، أسبوعية، ثم تحولت إلى يومية في سنة1930، و بعد عامين أو ثلاثة أصبحت تصدر ثلاث مرات في الأسبوع، و امتدت أيام حياتها إلى أن أدركتها نهايتها حوالي سنة 1956. و كانت هذه الجريدة في مطلع إنشائها تعد من الصحف الوطنية، وقد ساهم في تأسيسها و الكتابة فيها الشيخ عبد الحميد بن باديس، ولكنه تخلى عنها وقاطعها، بعد أن وضعت نفسها في خدمة ركاب السياسة الاستعمارية، جهارا نهارا، و لهذا استطاعت أن تعيش أكثر من جميع الصحف و المجلات العربية التي ظهرت

أما عن طبيعة هذه الكتابات موضوعا و أسلوبا و بالتالي توجها فهو ما ستحاول هذه الدراسة إجلاءه في الفصول اللاحقة من هذا البحث.

في الوطن، منذ أوائل هذا القرن (37 سنة) دون أن تمس بسوء. علي مرحوم:(نظرة على تاريخ الصحافة العربية الوطنية الجزائرية)، مرجع سابق، ص: 29.

الفصل الأول /

حياة الشيخ العربي التبسي، وسمات عصره.

1- تمهيد.
2- مولده و نسبه.
3- تعلمه.
4- أثر البيئة التونسية و المصرية على توجهه.
5- سمات عصره.
6- عودته إلى الجزائر.
7- توجهه.
8- نشاطه.
9- دخولـه السـجن.
10- انتقاله إلى العاصمة.
11- استشهاده.

1 – تمهيد:

إذا كنت لا أؤمن بضرورة أن المفكر أو الأديب (ابن بيئته)، فإني لا أنكر في الوقت ذاته أثر البيئة على نتاج الأدباء و المفكرين. أو ارتباط هذا النتاج بالبيئة ارتباط الأديب أو المفكر بها. فكل من الأدب و الفكر أو البنية العليا ــ على حد تعبير الماركسيين ــ هو انعكاس للحياة؛ بمعنى أنها تعبير عن آمال المجتمعات و أحلامهم. و ما الأديب أو المفكر إلا شخص يعبر بقلمه عن فكره، و ضمير مجتمعه، و يخوض المعارك مناضلا بالدفاع عن قضية و التصدي لأخرى.

و نتيجة لهذا فقد صارت الدراسة العلمية تقتضي من الباحث أن يلم بها في إنتاج أدبي لأديب من الأدباء أيا كان مجال إنتاجه، بظروف العصر الذي عاش فيه متناولا جميع المؤثرات العامة و الخاصة... سياسية كانت تلك الظروف أم اجتماعية أم ثقافية أثرت فيه و انطبعت في وجدانه، لأن الأديب يتأثر في حياته و في طريقة تفكيره، و ربما يتأثر حتى مزاجه بظروف مجتمعه و أحداث عصره، و بالتالي فإن ذلك كله يلون أدبه و يوجهه وجهة معينة و يكون روافد تمده بالأفكار، و توجهه إلى طريقة التعبير، و منهج الأداء.[1]

و الشيخ العربي التبسي واحد من أصحاب الحركة الإصلاحية الجزائرية ــ فترة ما قبل استشهاده في الثورة ــ وواحد من أعلامها المبرزين. عاش عصره في خضم الكثير من التغيرات في وطن كان يحيا سطوة الاستعمار و قهره، و هو الشيء الذي قدر له أن يحيا حياته مجاهدا بالعلم في سبيل الله و الوطن، و يموت في نهاية الأمر شهيدا، حيث جاهد في طلب العلم منذ كان صغيرا حتى صار شابا في الثانية و الثلاثين من عمره، و في بيئات ــ على تشابه ما يحيط بها من ظروف ــ كانت مختلفة نسبيا.

كما أنه عاش مجاهدا بعد أن أنهى دراسته و عاد إلى الجزائر مصلحا و مرشدا، يوجه الناس و يعلمهم أمور دينهم و دنياهم. حتى قتلته فرنسا ظنا منها أنها بقتله ستقتل الإسلام و العربية في الجزائر، و ظنا منها كذلك أنها ستقتل الثورة الجزائرية (1954 ــ 1962م). و لم تكن تدري أنها بقتله قد وهبته حياة هي التي كان يطلبها، و يعمل على تهيئة نفسه إليها. و هو من قال يوما: **(إن الرجال لا تسجل أنسابهم و لا صورهم في سجل الإنسانية و شرائعها و رجالها، و إنما تسجل عقائد الذين تصور عقائدهم في نفوس الناس، و إنما تسجل أعمال الذين أخرجوا الناس من فوضى اجتماعية إلى نظام توارثته الإنسانية بعدهم، و إنما تسجل عبقرية أولئك الذين حاموا**

[1] ينظر، عبد القادر رزق الطويل: المقالة في أدب العقاد، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1998، ص: 57.

على الإنسانية حين امتهنت و اعتدى عليها فراعنة العنصرية و جبابرة القوة المادية، و إنما تسجل المبادئ التي تفي إلى ظلالها الأنانية حين تطغى عليها الجوائح التي تجتاح الناس بسوط عذابها و لهيب نيرانها.)[1]

و الإمام من الذين عرفوا كيف يسجلون لأنفسهم سجلا يبقى شاهدا عليهم و على ما قدموه مادام للجزائر علم هو من الذين شاركوا في صنعه ليرفرف فوق سماء أرض تنعم بالحرية.

2 – مولده و نسبه:

هو الشيخ العربي التبسي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات. ولد سنة اثنتي عشرة و ثلاثمائة وألف (1312 م)، الموافق لسنة خمسة وتسعين ثمانمائة وألف (1985 م)، بناحية أسطح جنوب غرب تبسة، البعيدة عنها بحوالي مائة وسبعة عشرة كم.[2] تعرف قبيلته بآجروم النموشية، والنمامشة قبيلة بربرية كبرى من مدينة خنشلة إلى شرق تبسة.[1]

---

[1] العربي التبسي: (الذكرى الثانية عشر لوفاة الأستاذ الإمام عبد الحميد بن باديس)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، جمع وتعليق أحمد شرفي الرفاعي، ج1، ط1، دار االبعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، 1981م، ص: 187.

[2] ينظر، محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1974م، ص: 42.
و العربي التبسي: مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، جمع وتعليق أحمد شرفي الرفاعي، ج2، ط1، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، 1984م، ص: 2.
و عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1980م، ص: 61.

وعبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931، 1945)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996م، ص: 86.

3- تعلمه:

ولد العربي التبسي في بيت علم ودين، حيث تربى فيه على مبادئ الدين وتعلم اللغة العربية. قال عنه محمد علي دبوز في كتابه أعلام الإصلاح في الجزائر، ما يلي: (**كانت أم العربي وأبوه في شدة الغرام بالعلم... فغرسا حب العلم في ابنهما بوجدانهما، وحديثهما، وعملهما في طفولته الأولى. فنشأ محبا للعلم كأبويه.**)[2] بل صار العلم في نظره هو السبيل إلى السعادة والغاية من و جوده. بدأ حياته العلمية تلميذا على يد والده بعد أن بلغ السادسة من العمر، فتعلم القراءة والكتابة، كما حفظ القرآن، واطلع ببعض المقدمات في العقيدة الدينية.

و بعد وفاة والده بقي أربع سنوات بِكُتَّابِ بلده يحفظ القرآن حتى بلغ الثانية عشرة من عمره. انتقل إلى زاوية سيدي ناجي أين حفظ القرآن كله في ثلاث سنوات.

و بعد أن حفظ القرآن الكريم كان قد بلغ الخامسة عشرة من عمره. انتقل إلى زاوية الشيخ مصطفى بن عزوز بنفطة جنوب تونس الغربي، حتى يتوسع أكثر في فهم القرآن وعلوم الدين، علاوة على علوم اللغة العربية. وقد تتلمذ العربي التبسي على يد مجموعة من الأساتذة هناك، منهم: إبراهيم بن الحداد، والشيخ محمد بن أحمد، والشيخ التابعي بن الوادي... وغيرهم.

وبعد أن كون قاعدة علمية متينة في الزوايا التي مرّ بها في تعلمه الأول. انتقل إلى الزيتونة ليتم دراسته الثانوية. ونتيجة الجد الذي أظهره هناك في طلب

ورابح تركي: (الشيخ العربي التبسي نائب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1944 – 1956)، مقال، أشغال الملتقى الوطني للفكر الإصلاحي في الجزائر، 2003، ص: 27، وص: 32. إلاّ أنّ الكاتب أورد تعريفا ثالثا نص فيه على أنّ العربي التبسي ولد سنة 1901 م (انظر ص:21) على خلاف كل المراجع السابقة والتي اتفقت على تاريخ 1895.

[1] ينظر، محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، مرجع سابق، ص: 37.

[2] المرج نفسه، ص: 48.

العلم، والأخلاق العالية التي كان يتحلى بها كان أقرب ما يكون إلى أساتذته يزورونه ويحضرونه مجالسهم الخاصة.

يقول محمد على دبوز: **(وكان أساتذته لإعجابهم بصلاحه، وبره العظيم وبجده وتقدمه في العلم، ولسنه أيضا، وما أورثه من النضوج، يحبونه حبا جما، ويرونه صديقهم فيقربونه، فيزورونه في بيته، ويحضرونه في مجالسهم الخاصة، وكان من مشايخه هؤلاء الشيخ عثمان بن المكي الأستاذ المصلح الغيور. وكان العربي وزملاؤه النجباء شديدي الصلة به خارج الدرس.)**[1]

و في ظل هذا الجو الذي يعكس جد الرجل واجتهاده، واصل دراسته حتى حصوله على شهادة الأهلية، ولما أقبل على شهادة التحصيل، سافر إلى مصر مخلفا هذه الشهادة وراء سفره إلى ما بعد.

فبعد سبع سنوات من التعلم بجامع الزيتونة انتقل إلى مصر؛ أي سنة ألف وتسعمائة وعشرين (1920 م).[2] و هو في سن الخامسة والعشرين من عمره فشهد مصرَ على أحسن أحوالها بعد الحرب الكونية الأولى، خصوصا إذا تعلق الأمر بالعلم، والأدب، وحرية القول والنشر. ويعلق علي دبوز على هذا بقوله: **(لقد أتت نهضتها الحديثة المباركة التي ابتدأت في عهد محمد علي الكبير، وأنعشها بعض حفدته أكلها كاملا في هذا العهد وبعده، وأثمرت مساعي أعلام الإصلاح في مصر الشيخ محمد عبده، وعلى باشا مبارك و غيرهما، فكثرت مدارسها العربية المختلفة، ونشأت جامعاتها المباركة، وازدهر الأزهر بفضل المصلحين له: الشيخ محمد عبده، وتلاميذه من بعده، فتخلص من كثير من جموده، فاختار الكتب النافعة للدراسة، والطرق الناجعة في التدريس، وكثر فيه المدرسون العلماء الماهرون المخلصون، فسطع نجمه وظهرت نتائجه العظيمة، وأنجب طبقات**

---

[1] ينظر، محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، مرجع سابق، ص: 61.

[2] ينظر، أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ج3، ط1، دار الغرب، بيروت، لبنان، 1998م، ص:255. ومحمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، مرجع سابق، ص: 67.

العلماء الفحول والأدباء البلغاء فاتجهت إليه الأنظار من العالم الإسلامي، فتدفقت عليه البعثات العلمية من أنحائه، فكثر طلابه، ودخل في أحسن عهوده.)[1]

وهناك تفرغ العربي بن بلقاسم للدراسة، وانقطع للعلم، كما ألف الحياة بتونس، ومن تونس انتقل إلى مصر حيث دخل الأزهر مع تردده على المكاتب العامة، فدرس الشريعة الإسلامية، والتاريخ، والأدب إلى أن حقق هدفه العلمي بحيازته شهادة العالمية في مصر. يقول علي دبوز: (**وتعمق العربي في فهم الشريعة الإسلامية وعرف فلسفتها . ذلك أنّ طَبْعَهُ، ومشايخه في الأزهر وجهوه إلى كتب أبي إسحاق الشاطبي، فدرس كتاب الموافقات في أجزائه الأربعة، وكتاب الاعتصام، ففهمهما فهما عميقا، وعرف ما فيها، وصدر منها بعلم غزير في فلسفة الشريعة، وبفصاحة، وبلاغة في قلمه، وبقوة في فكره، وعلمته الغوص إلى اللباب في كل أبواب الشريعة، فازداد حبا للشريعة الإسلامية التي هي علم الاجتماع، والتربية وعلم النفس أيضا، وهي أدب، وبلاغة، وتاريخ. فيها كل العلوم التي يهواها العربي.)[2]**

والحق أنّ مسار تعلم العربي التبسي مذ نعومة أظافره إلى أن تخرج في الجامع الأزهر بحصوله على شهادة العالمية، قد أسهم في توجيه شخصيته الإصلاحية نتيجة تشبعه بمبادئ الحركة السلفية، جراء احتكاكه بعلوم الشريعة واللغة العربية اللتين مثلتا نقطة القوة في شخصيته الأصيلة، وهذا ما أهله ليكون فيما بعد من الأسماء المتصدرة للإصلاح إلى جنب أصحابه في جمعية العلماء المسلمين، من أمثال العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس، و محمد البشير الإبراهيمي، والطيب العقبي، و مبارك الميلي... وغيرهم ممن مثلوا راية الإصلاح في الجزائر التي ظلت واقفة في وجه السياسة الاستعمارية الرامية

---

[1] المرجع نفسه، ص ص: 67، 68.

[2] محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، مرجع سابق، ص ص: 68، 69.

إلى تهديم شخصية الجزائريين، وتفتيتها من خلال محاربتها للغة العربية والدين الإسلامي على وجه الخصوص.

4- أثر البيئة التونسية و المصرية على توجهه:

و يضاف إلى الحياة العلمية في تكوين شخصية العربي التبسي الإصلاحية أثر الجو الأدبي والسياسي الذي شهدته كل من تونس ومصر. إذ إنّ العربي لم يكن ليعزل نفسه نتيجة الدراسة عما كان يجري في بلد تعلمه. و الحق أنّ النهضة الفكرية بتونس سبقت نظيرتها في الجزائر، فحوالي سنة (1903م)، وهي السنة نفسها التي حل فيها عبد الحميد بن باديس طالبا بجامع الزيتونة في تونس **(كانت النخبة التونسية في أوج نشاطها الوطني والأدبي، فقد كان شعارها(تونس للتونسيين) بينما كان شعار النخبة الجزائرية (المساواة بالفرنسيين). ومن ثم واجهت النخبة التونسية تحديات خطيرة. فنفت فرنسا على باش جانبه، وهاجر محمد الخضر حسين، وعبد العزيز الثعالبي، وصالح الشريف، وإسماعيل الصفائحي، وغيرهم متوجهين إلى المشرق. وهؤلاء هم الذين سيؤلفون قوة ناطقة باسم استقلال تونس،والجزائر،والمغرب خلال الحرب العالمية الأولى في المشرق و أوروبا.)**[1]

أما سنة:(1913م) فقد كانت تونس ــ على حد تعبير على دبوز ــ تحيا على معالم نهضة من حيث النشاط المعرفي بها، إذ عرفت رواج العربية التي

---

[1] أبو القاسم سعد الله في:(تصديره لمجلة الشهاب) التي أخرجتها دار الغرب الإسلامي، مج16، ط1، المقدمات والفهارس العامة، بيروت، لبنان، 2001 م، ص: 142.

تصلها من مصر على الرغم من حضر الاستعمار لها، إضافة إلى النشاط الخطابي و الصحفي للشيخ عبد العزيز الثعالبي، وبهذا كان الممثل لقيادة الجهاد العلمي والأدبي.[1]

وعن احتكاك العربي التبسي بهذه الأجواء الخارجة عمّا ينهله من جامع الزيتونة. يقول علي دبوز : (**وكان العربي ثائرا بطبعه على الاستعمار ... فوجد جهاد الثعالبي فطرب له، وكان يحضر خطبه، ومحاضراته، و أحاديثه للطلبة في مجالسه، فيزداد إعجابا بشخصيته العظيمة، وبجهاده، ويزداد حماسه وحمقه على الاستعمار والفساد... وكان في تونس بعد الحرب العالمية الثانية عدة جرائد وطنية. كان فيها جريدة الأمة ، ومرشد الأمة ، ومجلة الفجر ، ومجلة البدر ، والمجلة الصادقية، وجريدة التقدّم، والمبشر، والمشير، والوزير، والاتحاد والزهرة وغيرها. وكانت هذه الصحف تندد بالاستعمار الفرنسي، واستبداده وظلمه، وجبروته، وأغراضه الصليبية في المغرب، وتهاجم أمراض المجتمع التونسي، والمغربي، وهي الجهل والإلحاد، والعصبية، و الانحراف عن الدين وتطالب بالدستور، وحياة برلمانية حرة، وكان الشيخ الثعالبي وأنصاره العلماء المجاهدون: الشيخ محمد الريحاني، والشيخ الصادق النيفر، والأستاذ محمد اجعابي، وأحمد بن عمار، ومحمد الصالح ختاش، والأستاذ أحمد توفيق المدني، ومحي الدين الاقليبي، وعلى كاهية، والمنصف المنستيري وغيرهم ينشرون مقالاتهم الحارة الدسمة في اغلب هذه الصحف والمجلات، وكانت لسان الشيخ الثعالبي وأنصاره، تنشر دعوته، وترفع لواء جهاده، فتكون في تونس بصحافتها الوطنية المخلصة جو سياسي إصلاحي قوي يملأ بالحماس والثورة على الاستعمار كل المثقفين، وكان العربي يقرأ من هذه الصحف، والمجلات إذا انتهى من دروسه، فينتشّي بها كل الانتشاء، ويرى كتاب تونس الشجعان المخلصين يهاجمون فرنسا، ويكشفون سوءاتها الكثيرة بالمغرب، ويفلقونها قلقة الضرس العليلة الموجعة لاقتلاعها.**)[2]

وإذا كانت هذه هي الأجواء التي عاشها العربي في تونس وهو بجامع الزيتونة، فإن ذهابه إلى مصر كان له أثره البالغ في تكوين شخصيته الإصلاحية

---

[1] ينظر محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، مرجع سابق، ص: 56.

[2] محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، مرجع سابق، ص ص: 63، 64.

الأكثر صلابة في الوقوف في وجه الاستعمار، ومخططاته ضد الجزائر، فقد عرفت مصر تصاعد الوعي الاجتماعي الوطني (ما بين حوالي: 1919-1950 م) حيث نبغ بها العديد من الكتاب، والشعراء، والعباقرة (**فعمرت بهم أسواق الأدب في مصر، وبلغت بهم الصحف والمجلات المصرية أعلى الآفاق التي بلغتها الصحافة العربية في تاريخ مصر الحديث، وصارت مصر العظيمة مشرقا للنور القوي بصحافتها الراقية المخلصة الإسلامية، بثته في أنحاء العالم الإسلامي، وصارت قلب الأمة الإسلامية النابض يوزع عليها الحياة ويزكي فيها القوة.**)[1]

ففي هذه المرحلة نشطت الساحة الأدبية بفطاحل كبار من أمثال الشعراء: أحمد شوقي، و حافظ إبراهيم، و خليل مطران، وكتاب بارزين كمصطفى صادق الرافعي، والمنفلوطي، والمازني، وعباس محمود العقاد، وطه حسين، وتوفيق الحكيم... و كان هؤلاء الكتاب يطلون على العالم العربي بقصائد من الشعر أو مقالات في شتى الأغراض والموضوعات عبر الصحف والمجلات التي عرفتها مصر في تلك الفترة. من مثل مجلة المنار، والزهراء، والهلال، والمقتطف وصحيفة الأهرام... (**وأقبل العربي على هذه المقالات يقرأها في عمق ونشوة ويتمنى صدور المجلات والصحف التي تنشر فيها، ويسارع لاقتنائها إذا صدرت، فاستفاد أدبا كثيرا وعلما غزيرا من هذه القراءة، وتعلم أسلوب المقالة، وطرق البحث والتفكير العميق، وأعده ذلك للجهاد الصحافي.**)[2]

وبهذا يمكن أن نخلص إلى أن هجرة العربي نحو تونس ومصر للدراسة كان لها أثرها البالغ في تكون شخصية العربي التبسي الإصلاحية، وهذا ليس بحكم ما كان يطبع برامج التدريس، في كل من الزيتونة والأزهر من تقليد مكبل بعدد ثقيل من الرواسب، والمفاهيم السلبية – على حد تعبير الأستاذ احمد شرفي

---

[1] محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، مرجع سابق، ص: 72.

[2] المرجع نفسه، ص: 73.

الرفاعي ــ أو نتيجة الضغط الاستعماري الفرنسي على تونس من خلال جميع جوانب الحياة، أو بسبب السياسة التي كان يستمر فيها البريطانيون في مصر، عملا على تحطيم الحياة الاجتماعية للمسلمين، وإذلالهم عن طريق المصريين أنفسهم.

فعلى الرغم من تدهور الأوضاع في البلدان العربية الإسلامية وفساد الأحوال فقد ظهر النشاط الإصلاحي الذي انعكس على النهضة و عَكَسَهَا، خصوصا في المجال الفكري الذي تبنى الإصلاح مذهبا على النحو الذي أشرنا إليه من خلال ثلة من المصلحين والمفكرين والكتاب، وكانت ثمرة نشاطهم تصاعد المد التحرري، ونيل كل بلدان الوطن العربي استقلالها. وقد استفاد العربي التبسي من هذا كله، وهذا من خلال (**تتبعه لجهاد مصر السياسي في اهتمام شديد، ونشوة بالغة، وحماس كبير، فيقرأ لساستها الكبار، ويحضر خطبهم في نواديهم، نادي الحزب الوطني ونادي الوفد وغيرهما، فازداد علما بالسياسة، ومعرفة للقضايا العربية الوطنية وأمراض الأمة الإسلامية، وأحوال المسلمين في أوطانهم، وازداد معرفة لنفوس المستعمرين وأغراضهم الصليبية في بلاد الإسلام، وتكون في العربي بما شاهد من جهاد تونس ومصر وعي سياسي قوي، ودربه ما شاهد على خوض المعارك الطاحنة، وزاده جرأة وإقداما، وعلمته مصر وتونس أساليب النضال والعراك السياسي، وأجدت مصر جدوى عظيمة على العربي بجهاده السياسي الذي شاهده وانغمس في حماسه وأعدته للجهاد، وأرهفت حده للنضال، وزادت في جرأته وإقدامه، و مقته لأعداء دينه ووطنه.**)[1]

وكما هو واضح من كلام محمد علي دبوز السابق، فقد تأثر الشيخ العربي التبسي بما ساد كلا من تونس ومصر، فبدأ كتابة مقالاته قبل عودته إلى الجزائر، وهو طالب بالأزهر الشريف، ومن ذلك، المقال الذي كتبه سنة: (1927م) بمجلة

---

[1] محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، مرجع سابق، ص: 74.

الشهاب، وعنوانه: (أريد حياته ويريد قتلي) يتألم فيه على ما أصاب الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس من طرف المجرم العليوي في محاولة لاغتياله.

والمقال كما هو واضح، يفصح عن توجه العربي التبسي الإصلاحي المبكر إذ بدت اهتماماته جلية بما يحدث في الجزائر، و لاسيما إذا تعلق الأمر بالمصلحين الذين مثلوا نبراس الصحوة المنير كالشيخ عبد الحميد بن باديس. بدأ مقاله بإطراء للجريدة فهي نعمة، وظاهرة حياتية، وكنز، كما أنها مدرسة عصرية والوسيلة إلى النهي عن المنكر، والأمر بالمعروف يقول: (جريدة الشهاب ــ وأيم الله ــ نعمة من نعم الله على أمم شمال إفريقيا عموما، والجزائر خصوصا يجب أن تؤدي الشكر عليها خالصا...

وجريدة الشهاب ظاهرة من ظواهر الحياة، نرجو منها أثرا طيبا في حياة الجزائر الدينية والأدبية، وفي سمعة الجزائريين الذين لا يكاد يُظَنُّ أن فيهم من هو بمثل هذه الصحيفة جدير.

وجريدة الشهاب كنز من كنوز السنة ينقل إلى قرائه ما لذ و طاب مما تتقطع الأعمار قبل الوصول إليه ليقتبس منها من يريد الله به خيرا.

وجريدة الشهاب مدرسة شعبية عصرية، على أحدث نظام، وأشهى أسلوب، فيها تلتقي الديانة الإسلامية بالمدنية الصحيحة العصرية، لا تفتأ تهدي إلى قرائها من مختلف العلوم، وضروب المعارف ما تقربه العين، وتحسد عليه الجزائر.

وجريدة الشهاب شعبة من شعب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين هما ملاك صلاح الدين ولا نزاع في ديننا ما دام في الأمة من يؤدي منه أضعف الأمر ولو بأدنى الخصال.)[1]

ثم ينتقل إلى الكلام عن الحادثة ممثلة في محاولة اغتيال الشيخ عبد الحميد والتي يراها الشيخ العربي محاولة اغتيال للإسلام الصحيح، متهما أتباع

---

[1] العربي التبسي: (أريد حياته و يريد قتلي عذريك من خليلك من مرادي 1)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص ص: 63، 64.

الطرقية الفاسدة بهذا العمل الشنيع، وبهذا يكون الرجل قد وقف إلى جانب ابن باديس يهنئه بالسلامة، وفي الوقت نفسه يعلن حربا شعواء على الطرقية ممثلة في الطريقة العليوية، ويفضح مذهبهم الفاسد، يقول: (... من ذا الذي لا ينفلق كبده أسفا وغما لما أتاه هذا الأفاك الأثيم العليوي مما يغضب الرحمان، ويثير الأشجان.

ألا فليعلم السفاك، ولي إبليس، أن فعلته التي فعل لم تكن مسددة للأستاذ العظيم ابن باديس، و إنما رمى بسهمه في نحر الإسلام، وأنه إنما أراد هو وشيعته أن يأتوا بدين مزيج من معتقدات الأباء الكاثوليك، والرسل البروتستانتيين، فليس له أن يرغم علماء الإسلام على قبول (بدعته) باسم دينهم، وأن يكم أفواههم حذر أن يبينوا للناس ما آتيتهم به مما ينقض هيكل الإسلام ويحطه لبنة لبنة.

فدون وصولكم إلى غايتكم والله لمس السماء، وفك الشناخب أترم أنوفكم أن جاءكم بالحسنى التي كان يجادل بها رسول الله أعداء الإسلام ؟ فهالكم الأمر، وسدت في وجوههم مدارج الحق، فركنتم إلى الإجرام، وعمدتم إلى قتل من شهد له رسول الله بأنه عدل هذا الخلق، وأنه يحل محل نبي في بني إسرائيل.

ألا إن أعدى المسلمين للإسلام أولئك النفر الذين يظنون من قبل أنفسهم - أنهم أولياء الرحمان وأحباؤه، و ملأوا أنفسهم ومن تبعهم بأماني هي ضلال وما أرادوا بها صوابا. فاستباحوا من الله المحارم، وتعدوا له الحدود، اعرضوا عما فيه من هدى، فاغتر بهم الجهال، وانقاد لهم الأغرار، ودخلوا على الناس في عقائدهم، ولبسوا عليهم أمر دينهم، وزهدوا الأمة الإسلامية في علمائها الذين أمر الله أن يرد إليهم الأمر في التشغيب ونعتهم أجل نعث، وحث على سؤالهم عند حلول أي حادث، بما تحدث به هؤلاء المضللون إلى طغام الأحلام من أن بين الصالحين وبين العلماء خلافا عظيما قديما وضربوا لهم الأمثال،وساقوا عليها الشواهد، وقصوا عليهم من الأغاليط ما جنوا به جنونا حتّى ذهبوا بهذه الأمة في متاهات ...)[1]

---

[1] العربي التبسي: (أريد حياته و يريد قتلي عذريك من خليلك من مرادي 1)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص ص: 65، 66.

و المقال طويل من خلاله، والمناسبة التي قيل فيها نفهم منها أن الشيخ العربي كان على وعي بما يجري في الجزائر فترة بداية الصحوة التي بدأ يشهدها الوطن في مرحلة الإصلاح الأولى. حيث كان يتتبع الأحداث، ويتجاوب معها بتلك المقالات التي كان ينشرها في الجرائد اليومية مثل الشهاب و النجاح. و هذا المقال ليس الأول في حياة العربي التبسي الإصلاحية كاتبا، إذ أنّ تواريخ النشر كما تنبئ عنها الجرائد، والمجلات التي تضمنتها، تدل على مدى نشاطه، وهو طالب في مصر في الجامع الأزهر. ومن أمثلة هذا النشاط الكتابي نذكر عناوين هذه المقالات كما وردت في الجرائد حسب تاريخ نشرها:

- **أزفت ساعة الجماعة وتحرم عصر الفرد**: نشر بالشهاب في عددها الواحد والثلاثين بتاريخ:(14 جوان 1926م).[1]

- **الجزائر تصيح بك أيها الجزائري أينما كنت**: نشر بالشهاب في عددها الربع والثلاثين بتاريخ: (01 جويلية 1926م) .[2]

- **وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهنّ أمان**: وفيه تناول قضية محاولة اغتيال الشيخ عبد الحميد ابن باديس، نشر بالشهاب العدد: الثاني والثمانون بتاريخ: (03 فيفري 1927م). و واضح من هذا التاريخ أنه سبق المقال الذي تمّ الحديث عنه من قبل.[3]

وإذا كان هذا هو حال العربي التبسي الأزهري في الكتابة، فهو دليل على مدى تأثره بالجو الإصلاحي الذي صَحِبَ عصر النهضةالعربية والصحوة الإسلامية التي كان منطلقها مصر آنذاك.

---

[1] العربي التبسي: مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 51.
[2] الصدر نفسه، ص: 59.
[3] الصدر نفسه، ص: 69.

5- سمات عصره.

إن كنا قد تحدثنا عن حياة العربي التبسي طالبا مغتربا عن البيت في الزوايا، ثم عن الوطن في تونس ومصر، فإننا نود أن نشير إلى ما كان يسود الجزائر في الفترة مرحلة نضاله (1927 – 1957م) قبل أن نتحدث عن هذا النضال في الجزائر، وهو ما سيعكس مسيرته الإصلاحية مذ أن أنهى دراسته حتى يوم استشهاده، طبعا هذا بغية الوقوف على أهمية حياة الشيخ العربي كلها، انطلاقا مما كان يحياه، ويبرر الغاية من استمراريته، وقد سبق أن قلت في مقدمة هذا البحث وأنا أبرر سبب اختياري له وعكوفي عليه، أنّ العربي رجل تاريخ، كرس حياته لأجل الجزائر العربية المسلمة في ظل استعمار عمل مدة قرن ونصف القرن على استئصال كل من العربية والإسلام، لتنصهر الجزائر في فرنسا الاستعمارية. إضافة إلى أن الكتاب كثيرا ما تتغير طريقة تعبيرهم حسب الظروف، وحسب المرحلة الإصلاحية، و حسب الموقف والغرض، إذ إن الغرض من كتاباتهم هو تسليط الأضواء على عادات مجتمعهم وتقاليده، لتغيير ما أمكن تغييره من الفساد بما هو مناسب لإصلاحه.[1]

والحق أننا لا نقصد من هذا الكلام ــ الذي سيعكس عصر الشيخ العربي التبسي ــ لذاته بقدر ما سيكون محاولة لإلقاء الضوء على أهم التصورات الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية ذات الصلة بما كان يكتبه العربي، ولأننا بصدد دراسة هذه الكتابات فإننا نأمل أن تتيح لنا قراءة هذه التطورات كشف

---

[1] ينظر، محمد زغينة: فن المقال في كتابات أبي اليقظان، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004 /2005، ص: 12.

الصلة بين آثار الرجل الذي هو من كفاح الشعب الجزائري برمته وبين مظاهر الصراع كله.

(فالمستعمرون من عهد آدم إلى اليوم وإلى أن تتبدل الأرض غير الأرض والسماوات لا يفتحون البلاد لأجل البلاد بل لأنفسهم، ولا يمتلكونها لرفع شأنها، وإصلاح حالها، والأخذ بيدها في طريق الرقي والكمال(كما يقولون) بل لامتصاص دمها، وأكل لحمها، وحرق عظمها، وقتل جميع موارد الحياة فيها. و الأمة إن لم تتول إصلاح شأنها بنفسها لا تصلحها أمة أخرى. مهما حسنت نيتها ونبلت مقاصدها، والإصلاح إن لم ينبت في تربة الأمة نفسها، ويزهر في جوها، ويأتلف مع مزاج أفرادها، وطبيعتهم لا ينفعها ولا يجديها، ويكون مثله مثل الزهرة التي تنقل من مغرسها إلى مغرس آخر فهي تزهر فيه أياما ثم لا تلبث أن تذبل وتذوي.

فإن وجد بين أولئك الطامعين من يذهب في سياسته الاستعمارية مذهب الإصلاح والتشييد، فكما سمن صاحب الشاة شاته ليذبحها، ويأكلها، وكما يتعهد صاحب المزرعة مزرعته بالري والتسميد ليستكثر غلتها، وثمراتها.)[1]

والاستعمار الفرنسي ككل استعمار لا يمكن أن يشذ عن القاعدة من حيث صورة وجوده بالجزائر، فمحمد الميلي يرى ــ وككل الدارسين لتاريخ الجزائر ــ أن فرنسا ارتكزت على ثلاثة محاور: تشويه التاريخ، القضاء على اللغة العربية وتجفيف منابع ثقافتها، و محاربة الإسلام.**(فالصراع الذي نشب سنة 1830 لم يكن يدور حول الحاضر فقط بل امتد إلى الماضي أيضا، وهو ما يؤكد المقولة التاريخية: إنّ الماضي يتغير مع تغير الحاضر.)**[2] والارتكاز على مثل هذه المحاور لا يعكس إلا قتل جميع موارد الحياة في الجزائر. وهذا عن طريق محاولة القضاء على الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر، أو عن طريق نشاط حركة التبشير المسيحي المحمية من

---

[1] مصطفى لطفي المنفلوطي: في سبيل التاج، د ت، دار نتيفيت للنشر، الجزائر، ص: 35.

[2] محمد الميلي: الشيخ مبارك الميلي، حياته العلمية ونضاله السياسي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص:51.

جانب الاستعمار نفسه، أو عن طريق اتباع سياسة الفرنسة و التجنيس التي أرادت دولة الاحتلال فرضها على الجزائر.[1]

وكل هذا في سبيل إلحاق الجزائر بفرنسا وتكريسا لسياسة الاستيطان، ففي: (22 يوليو عام 1934م) صدر قرار مفاده أنّ الجزائر ملكية فرنسية، إضافة إلى مرسوم (1948م) الذي يذهب إلى أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، ناهيك عن ممارسة سياسة التجويع، والاضطهاد السياسي، والاجتماعي، والديني.

وإذا كنا هنا بصدد الحديث عن المرحلة التي عاد فيها الشيخ العربي التبسي إلى الوطن حتى يوم استشهاده؛ أي من سنة: (1927م) حتى سنة: (1957م)، فإنها تعد من أهم المراحل في تاريخ الحركة الوطنية (**وتبدو أهمية هذه المرحلة في أنها تعتبر من ناحية، مرحلة تطور بين الاحتلال الذي كان يعمل جاهدا على القضاء على " الشخصية الوطنية الجزائرية " بأبعادها السياسية والاجتماعية والثقافية بسبب وقوفها حجر عثرة في سبيل تحقيق أهدافه في فرنسة الجزائر، ودمجها في فرنسا، وبين الشعب الجزائري الذي وقف بصلابة ضد أهداف الاحتلال.)**[2]

أ- سياسيا: *و أبرز ما ميز هذه المرحلة من أحداث هو:*

1 - احتفال الاستعمار بمرور مائة عام على احتلال الجزائر سنة: (1930م)، حيث امتدت هذه الاحتفالات مدة ستة أشهر من جانفي حتى جويلية، صاحبها حملة إعلامية من خلال مقالات استفزازية تتحدث عن عظم فرنسا، وقوة

---

[1] هذه النقاط مفصلة في كتاب تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م، ص124 وما بعدها.

[2] المرجع نفسه، ص:64.

حضارتها التي قهرت الشعوب البربرية، إضافة إلى حديثها عن انتصار المسيحية على الإسلام.[1]

بيد أن الاحتفالات انتهت بنتائج عكسية خلافا لما توقعه الاستعمار، فقد خلفت الأثر العميق في نفوس الجزائريين وهو ما دفعهم للتحرك دفاعا عن الدين والوطن.(**ومن هنا كانت هذه الاحتفالات نقطة تحول في التاريخ الجزائري الحديث لأنها أيقظت من كان نائما، ونبهت من كان غافلا فأحس المفكرون في الجزائر بضرورة العمل المثمر.**)[2]

2- تأسيس جمعية العلماء المسلمين سنة: (1931م): وهو الحدث الثاني الأكثر بروزا بعد الاحتفالات بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر.[3]

3- ظهور الحركات السياسية كحركة نجم شمال إفريقيا التي تأسست بباريس سنة: (1926م).

- حزب الشعب الجزائري: تأسس في: (11 مارس 1937م) على أنقاض النجم حيث تبنى مبادئه التي تنادي باستقلال الجزائر التام في نطاق حضارتها العربية الإسلامية.
- حركة اتحاد المنتخبين الجزائريين سنة: (1930م).
- حركة أحباب البيان والحرية سنة: (1945م).
- حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري سنة: (1946م)، بزعامة فرحات عباس.
- حركة الانتصار للحريات الديمقراطية سنة: (1946م) بزعامة مصالي الحاج.

---

[1] عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مرجع سابق، ص ص:87،86.

[2] ينظر، تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص:66.

[3] ثم الحديث عن جمعية العلماء المسلمين في التمهيد.

و الحقيقة أن كلا من الحزبين الأخيرين يلتقيان مع جمعية العلماء المسلمين في العمل

على المحافظة على الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها الروحية، والفكرية واللغوية.[1]

- جبهة التحرير الوطني سنة: (1954م) التي أعلنت الثورة في الفاتح من نوفمبر، وقد انضمت إليها كل العناصر النشطة من مختلف الأحزاب والهيئات السابقة الذكر. وعملت على استقلال الجزائر حتى تحصلت عليه سنة: (1962م).

من خلال التعريج على أهم الأحداث، وطرق أهم التشكيلات السياسية التي عرفتها الجزائر ما بعد الحرب العالمية الأولى حتى الاستقلال. نفهم بوضوح أن المرحلة تمثل نقطة اليقظة القومية الشاملة، حيث كانت حيز تكون جل هذه الحركات الوطنية ذات الأدوار المهمة في النضال السياسي، أو الثقافي والاجتماعي كل حسب طبيعة توجهه، وحسب الوسائل التي يراها أصلح لفك البلاد من محنتها.[2]

غير أنه و على الرغم من هذا الوعي المتبلور مع ما شهدته هذه المرحلة من تطورات مست ما تم عرضه من تشكيلات سياسية، وثقافية. تطورت معها مطالب الحركة على تباينها بين مختلف هذه التشكيلات، وبقي الاستعمار على الطريقة نفسها التي دخل بها الجزائر.

(فمن الناحية السياسية ظلت مشاريعه التي كان يعلن عنها بين حين وآخر ـــ بهدف امتصاص الغضب الشعبي العام ضده ـــ تدور كلها في سياسة إدماج الجزائر في فرنسا.

---

[1] تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص: 66.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص: 72.

و من الناحية القومية ظلت سياسته كذلك ثابتة في محاربة الشخصية الوطنية للشعب الجزائري بكل مقوماتها اللغوية والثقافية، والروحية والحضارية، بقصد القضاء عليها باعتبارها العقبة الكبرى التي وقفت في وجه مخططاته لابتلاع الجزائر نهائيا.)[1]

بل إن الاستعمار الفرنسي لم يكن ليرض على نفسه من خلال ردوده الرافضة لكل المطالب الهادفة إلى رفع الظلم وإزالة الغبن، واحترام مقومات الشخصية الجزائرية ــ على حد ما عبر به تركي رابح ــ إذ كان يتصيد كل مرة ما يبرر تصفيته الواضحة لهذا الشعب - طبعا هذا من وجهة نظر المستعمر المتطرف - وما حوادث(08 ماي 1945م) إلا خير مثال عن هذا الكلام.

أما عن أسباب هذه المجازر فهي مثلما أوردها بشير خلدون في مجلة المعالم، العدد الرابع من سنة: (1990م) تتمثل في النقاط التالية:

1. *الفرحة بانتهاء الحرب العالمية، وانتصار الديمقراطية على الفاشية والنازية.*
2. حالة الدمار، والجوع، والخوف، والوحشية التي عرفتها الإنسانية أثناء الحرب العالمية، فكان من المنطقي أن تجعل الدول الاستعمارية تتخلى عن الاستعمار والسيطرة.
3. اعتقاد الشعوب المغلوبة والمستعمرة، بأن الحلفاء أصحاب تصريح شمال الأطلسي الذي ينص: على منح الشعوب حق تقرير المصير والحرية للشعوب المغلوبة على أمرها.
4. وقبل هذا لبى الجزائريون استغاثة فرنسا عند اندلاع الحرب، وتطوعوا في جيشها وبذلوا دماءهم وأموالهم من أجل تحرير فرنسا، لما احتضنت الجزائر حكومة فرنسا المؤقتة.

---

[1] تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص: 74.

5. كما كانت الجزائر طيلة مدة الحرب تخضع لقانون الطوارئ الصارم، فقد حلت الأحزاب والهيئات الجزائرية ونفي قادتها إلى أماكن نائية في الجنوب أو خارج حدود الوطن.

6. إضافة إلى تعجيل الحرب بانتشار الوعي القومي، فتدعمت الحركة الوطنية، وتجاوز النواب مطالبهم القديمة بالاندماج في إطار الشخصية الإسلامية.[1]

وإذا كانت هذه هي جملة الأسباب التي دعت الجزائريين للخروج في مظاهرات سلمية كسائر شعوب العالم فرحة بانتهاء الحرب المدمرة، وأملا في أن تفي فرنسا بوعودها، فإن المؤامرة حبكت في الظلام - على حد تعبير الكاتب نفسه - وبدأ اصطياد الجزائريين... وأطلق العنان لوحشية المستعمر، وكانت النتيجة: أن حصدت الآلة العسكرية خمسة وأربعين ألف شهيد في بضعة أيام وأبيد في خراطة كل جزائري يتراوح سنه ما بين 15 و50 سنة.[2]

وإضافة إلى اعتقال الآلاف، والحكم عليهم إما بالإعدام، أو بالسجن مع الأشغال الشاقة لمدة طويلة، أطلق سراح بعضهم في سنة: (1962م).

غير أن هذه المجازر كان لها أيضا ــ كما كان للاحتفالات بالذكرى المئوية لاستعمار الجزائر ــ أثر في نفوس الجزائريين، فتأكد الشعب من أن المعمرين هم الأسياد، ولا يمكن أن يتنازلوا عن أنانيتهم، إلا تحت الضغط والإكراه، بل إنهم متشبثون بامتيازاتهم، وبالنظام الذي يحفظها لهم بكل ما أوتوا من قوة، كما تأكد الشعب، وممثليه سياسيا من إفلاس سياسة المطالب، والكفاح السياسي في ظل الشرعية الاستعمارية، وضرورة إيجاد سبل أخرى للكفاح

---

[1] بشير خلدون: (عناصر حول حوادث 8 ماي 1945م)، مجلة العالم، العدد الرابع، السداسي الأول، 1990م، ص ص: 16، 17.

[2] ينظر المصدر نفسه، ص: 18.

المفيد، وهو ما مهد لقيام الثورة المباركة في الفاتح من: (نوفمبر 1954م) التي جاءت باستقلال الجزائر وتخليص شعبها من الاستعمار.

وبهذا يمكن القول إن هذه المجازر تعد نقطة تحول مهمة في تاريخ الحركة الوطنية، ونضالها السياسي نتيجة ما خلفته من وعي قومي جعل الحركة تعيد حساباتها، وتستعد لأن تخوض كفاحا ثوريا جديدا.(**فالمذبحة المروعة هزت ضمير الإنسان الجزائري وآلمته حتى ظلت شاخصة بكل أبعادها، فمدت جسرا بينها وبين ثورة نوفمبر سنة 1945.**)[1]

يقول الأديب الجزائري كاتب ياسين: (**أنّه كان صغيرا حينما شهد هذه الأحداث، ولكنها ظلت ماثلة أمامه حتى تحركت من جديد في اليوم الأول من نوفمبر 1954، ولذا يعتبر أنّ مولد الثورة الكبرى كان يوم الثامن من مايو - أيار عام 1945.**)[2]

والحق أنّ أحداث(08 ماي 1945م) قد تعدى تأثيرها الجزائريين إلى الفرنسيين أنفسهم فهذا (**الطبيب (ج توماس) الذي كان يعمل في الجزائر أثناء الحرب الثانية... يقول... لقد عشت في مدينة الجزائر فترة طويلة، وقد رأيت فرقا بين الأطفال في أسمال بالية يجنون قوت يومهم، ابتداء من سن الخامسة، يبيع الجرائد ومسح الأحذية، ورأيت أعشاش القصدير في الأحياء العربية، وهي أماكن تعتبر عارا على الحضارة، وأثناء جني الكروم التقيت بعمال المزارع يمشون مسافة مئات الأميال عن أماكن العمل، ينامون في الليل في الحفر، ويتغذون ببعض حبات من التمر ومن العنب، لقد كنت خجلا من كوني فرنسيا، إنني كنت في الجزائر سنة 1945، وفي وقت المجاعة عندما كان الناس يموتون جوعا خلال السنة من الجفاف، وقد شاهدت القمع المروع الذي نتج عند موت ستين ألف شخص،* وشاهدت أطفالا عمرهم سنة واحدة يأكلون التراب كما شاهدت مائتي شخص يموتون من الملاريا في بضعة أيام بغرداية**

---

[1] عبد الجاسم الساعدي: الشعر الوطني الجزائري بين حركة الإصلاح والثورة، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر 2002 م، ص:20.

[2] المرجع نفسه، ص: 20.

* يشير إلى المذابح التي اقترفها الفرنسيون يوم:(8 ماي 1945 م).

فكيف لا نحصد الثورة عندما نكون قد زرعنا خلال هذه المدة الطويلة الحقد والإهانات والبؤس؟)[1]

وقبل الثورة وما بعد سنة: (1946م) أرادت فرنسا أن تعالج الوضع بالجزائر جراء استئناف الحركة الوطنية نشاطها بقوة وضغطها المتواصل على الاحتلال، من خلال مشاريع بائسة قوبلت بالرفض من طرف الجزائريين و تتمثل في:

1- إعلان قسنطينة سنة 1943.

2- قانون 20 سبتمبر 1947.

3- القانون الإداري الصادر في يناير 1958 أثناء الثورة الجزائرية.

4- مشروع ديغول 16 سبتمبر 1959 أثناء الثورة.*

ب - اقتصاديا:

أما من الناحية الاقتصادية فقد تدهور الوضع الاقتصادي للجزائريين إلى درجة كبيرة، حتى صار الأوروبيون أنفسهم يصفون الجزائر بمملكة البؤس، وهذا جراء استيلاء الأوروبيين على مصادر الثروة في البلاد.

والحق أنّ اقتصاد المجتمع الجزائري كان قائما على نشاطين أساسيين هما: **(زراعة الحبوب وتربية الماشية، ففي السهول وحتى تخوم الصحراء كانت تسود الإقامة في مناطق الكلأ...وتتغير نسبة تربية الماشية وزراعة الحبوب تبعا لاتجاهنا شمالا أو جنوبا، أما في السهول الداخلية المرتفعة فقد كان النشاطان يتشابكان، بحيث يكون الواحد دعما للآخر.)**[2]

---

[1] عبد الجاسم الساعدي: الشعر الوطني الجزائري بين حركة الإصلاح والثورة، مرجع سابق، ص، ص: 20، 21.

* للتفصيل في صيغة هذه الإصلاحات، ينظر، تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص: 78، 84.

[2] ينظر، عدي الهواري: الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي الاجتماعي 1830 - 1960، ترجمة جو زيف عبد الله، ط1، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1983م، ص: 15.

غير أنّ النقطة التي يمكن الإشارة إليها هي الوجود الدائم لتجمعات سكنية مدنية رغم ميول المجتمع الجزائري إلى البدوية والريفية بدرجة كبيرة.

وكل من البداوة والريفية حتمتا على الفرد أن يكون في إطار الجماعة ممثلة في القبيلة، والتي تخضع إلى نمط حياتي معين لتؤمن له بالمقابل التضامن والتماثل الاجتماعي. وكل من التضامن والتماثل يبينان العلاقة الوطيدة بين أفراد المجتمع الجزائري الناتج عن ضرورة الإنتاج الجماعي في اشتغاله على الأرض.

(شكل رقم: 1): الملكية الجماعية للأرض و التضامن في القبيلة.

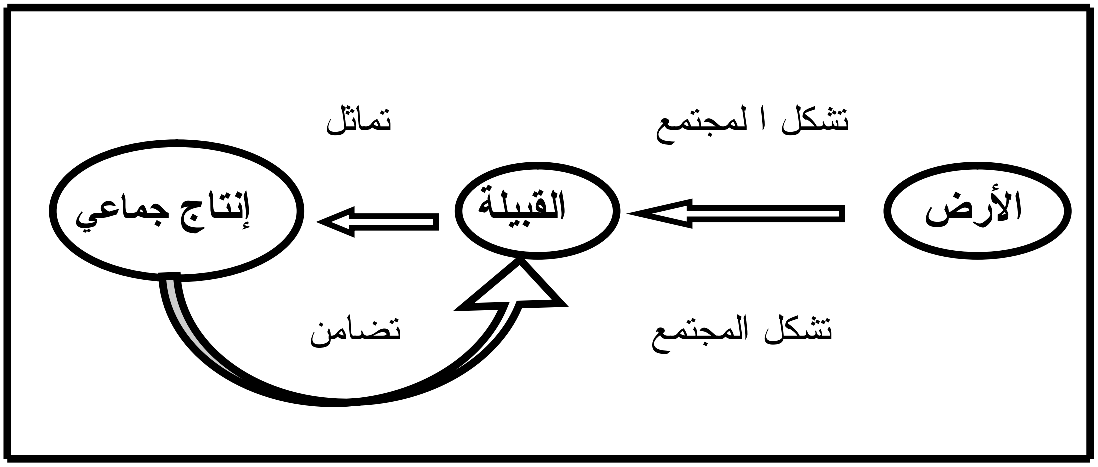

و جلي أن فرنسا منذ أن دخلت الجزائر بدأت الرهان على هذه الأرض، باستعمال مجموعة من القوانين تهدف إلى مصادرتها (الأرض) وهذا بغية هدفين اثنين:

- أولها: قمع انتفاضات الجزائريين ضد الوجود الفرنسي.

- ثانيها: الحصول على الأرض التي كان نقصها يشكل عائقا أمام التوسع الاستيطاني.

ولا يستبعد أن يكون هناك هدف ثالث يتمثل في ضرب المجتمع الجزائري وذلك بالعمل على تفكيكه بعزل الفرد عن الجماعة، ففي إطار الأرض يضمن الأفراد انصهارهم داخل جماعة واحدة في جو تضامني، **وهذا ما يؤدي إلى تهديد وجود فرنسا الاستعمارية في الجزائر.**

وليس هذا الكلام غريبا، و من قوانين فرنسا ما ينص على (**توزيع أفراد القبيلةالواحد بين مختلف الدواوير و القرى التي تنتمي إليها القبيلة الواحدة.**)[1]

وانتزاع الأراضي الزراعية من سكان الريف الجزائري بشكل واسع النطاق، أدى إلى تمركز الأراضي الخصبة بأيدي الأوروبيين، ولم يبق أمام الجزائريين إلا المناطق الجبلية والصحراوية. ولأن الأرض هي مصدر الرزق الأساسي لدى الجزائريين، فإنّ نزع الملكية الزراعية منهم أحدث خلخلة عنيفة في البناء الاقتصادي الذي عرف تدهورا كبيرا.

وفي إطار السياسة الاستعمارية الاقتصادية بالجزائر عبر الدكتور يحي بوعزيز في كتابه الموسوم بـــ(**السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري**) عما أسماه قمعا اقتصاديا، فالاستعمار في جوهره اقتصادي،* وتعسفه لم

---

[1] القبيلة إطار اجتماعي يعترف أعضاؤه ببعضهم البعض من خلال الانتماء إلى جد أطلق اسمه على القبيلة (وهو شخصية تاريخية تزدهر حولها السير العظيمة، ومنه تبدأ شجرة النسب التي ترخي ظلالها على كل الذرية) غالبا ما- تكون روابط القرابة بين أفراد القبيلة روابط وهمية، وغالبا ما تتكون القبيلة من عائلة موسوعة تكون صاحبة نفوذ وقوة، تنظم إليها عائلات أخرى من أجل الدفاع عن مصالح مشتركة، وتتعزز الروابط بفعل المصاهرة داخل هذه المجموعة، فالقرابة داخل المجموعة قرابة اجتماعية لا قرابة دموية، ينظر: عدي الهواري: الاستعمار الفرنسي في الجزائر، مرجع سابق.

و أبو القاسم سعد الله يرى أن مصادرة الأملاك ترجع إلى هدفين: إحداهما سياسي و الآخر اقتصادي، أما الأول فراجع إلى القوة التي سيكتسبها الزعماء الدينيون و السياسيون المسلمون المعارضون لوجود فرنسا، بينما الثاني فيكمن في غنى المسلمين إن بقيت الأملاك في أيديهم الشيء الذي يجنبهم الحاجة إلى السلطة الجديدة.ينظر، أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية ج1، ق1،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص: 69.

* في الحقيقة أنّ الاستعمار كان وليد ظروف اقتصادية، وهو أحد افرازات الثورة الصناعية في أوروبا.

يقتصر على المجال السياسي العسكري فحسب، فالقروض ورخص الإيراد والإصدار مرفوضة للصناع والتجار المسلمين الذين لا يبرهنون على ولائهم للاستعمار، إضافة إلى الضرائب الفادحة وإغلاق المقاهي الإسلامية، وتشجيع الصناعات المماثلة التي استطاع المسلمون أن يبرزوا فيها، زيـــــــادة على استصفاء الأموال والمحاكمات والمصادرات وعزل العمال والموظفين المسلمين.[1]

وبهذا نلاحظ أن الأراضي صودرت في المناطق الزراعية، كما أخرجت الملكية العقارية من أيدي الجزائريين في المدن. إضافة إلى الاستيلاء كذلك على التجارة الداخلية والخارجية عن طريق البنوك وشركات الاحتكار الفرنسية، ليصير الجزائريون بعدها يدا عاملة لدى الأوروبيين في ظل الفقر والبؤس والحرمان.

وأصبحت الجزائر في ظل هذه السياسة سوقا رئيسيا للتجارة الفرنسية وموردا ضخما لجلب المواد الخام التي تحتاج إليها الصناعة في فرنسا بثمن زهيد.[2]

والواقع أنّ مجمل العوامل التي أدت إلى تكون الحالة الاقتصادية هي:

1- هدف الاستعمار المتمثل في إنشاء اقتصاد استعماري تكميلي.
2- احتكار الأقلية الاستعمارية كل الخيرات في البلاد بكل الوسائل.
3- تفضيل الإدارة المكلفة بالسهر على إتقان تطبيق مبادئ هذا الاقتصاد التكميلي للطائفة الاستعمارية، وإقصائها للمستعمرين عن إدارة بلادهم.

---

[1] ينظر، يحي بوعزيز: السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري 1830 -1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص:83.

[2] ينظر، تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص: 88، 89.

4- عدم السماح للجماهير الأهلية للتدخل في هذا الاقتصاد إلا كآلة موضوع للاستغلال الاستعماري.[1]

وتطبيق مثل هذه السياسة أدى إلى تحديد الوضع الطبقي لدى الجزائريين حيث انحصر في طبقتين اجتماعيتين فقط:

1- **الطبقة العاملة**: وتشمل الأغلبية الساحقة و تتكون من عمال الفلاحة في الريف الذين يمثلون 91 % من جملة السكان، ثم من العمال اليدويين والمهنيين.[2]

2- **الطبقة المتوسطة**: وتتكون من كبار التجار وصغارهم في المدن، ومن القلة المثقفة من ذوي المهن الحرة، وبعض الموظفين في إدارة الاحتلال، وكذلك من ملاك الأراضي في الريف، غير أن مجموع أفراد هذه الطبقة ضئيل جدا.[3]

بهذا يمكن أن نخلص في النهاية إلى أن السياسة الفرنسية في جانبها الاقتصادي كان الهدف من ورائها هو نسف المجتمع الجزائري، وإقحامه في دوامة الفقر والبؤس حتى لا يتمكن مهما أراد مقاومة من الاستعمار الذي صار يمثل قوة أمام جميع الضعفاء.

فالهدف الأهم الذي عملت لأجله فرنسا بكل ما أوتيت من وسائل هو محو شخصية هذا الشعب حتى يتم ضم أرضه إليها.

---

[1] ينظر، يحي بوعزير: السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري 1830 -1954، مرجع سابق، ص: 82.

[2] ينظر، تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص: 93.

[3] ينظر، المرجع نفسه، ص: 92، 93.

ج - ثقافيا ودينيا:

لعل البداية ستكون من خلال طرق قضية التعليم وما آل إليه بعد الاستعمار مباشرة. فمنذ أن دخل هذا الجزائر عمد إلى ممارسة سياسة التجهيل في محاولة لعرقلة اللغة العربية، إضافة إلى أنه لم يسمح حتى بالتعليم الفرنسي للأهالي إلا بمقدار ما يجعل منهم قادرين على ممارسة بعض النشاطات التي تخدم المعمرين على أرض الجزائر.

وسياسة منع التعليم (تعليم اللغة العربية كانت إما عن طريق مصادرة وتوقيف الهياكل والمؤسسات التعليمية من مثل الزوايا والمساجد... وتحويلها إلى ثكنات أو مستشفيات وكنائس أو الاستحواذ على الأوقاف التي تمثل مصدر تمويل هذه العملية، وإما عن طريق المنع من خلال إصدار القوانين، ومن مثلها القانون الصادر في **24** ديسمبر **1904** ونصه (لا يسوغ أي مسلم أن يتولى إدارة مكتب لتعليم اللغة العربية بدون رخصة يمنحه إياها عامل العمالة أو قائد الفيلق العسكري، وفتح مكتب بدون رخصة يعد اعتداء على حدود القوانين الخاصة بالأهالي.)[1]

كما جاء أيضا في القانون نفسه(يجوز لنفس السلطة أن تسحب رخصة التعليم لأجل معين أو نهائيا من المعلمين الذين يرتكبون أي عمل من شأنه أن يمس بحسن السلوك أو بالأخلاق، كما يجوز لها أن تأمر بغلق أبواب المكاتب بصفة تهديبية وفي الأخير فإنه لا يجوز للمكاتب العربية أن تفتح الأبواب للأولاد الذين هم في سن التعليم أثناء ساعات التعليم للمكتب الفرنسي.)[2]

---

[1] ينظر، تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص: 92، 93.

[2] يحي بوعزير: السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب، مرجع سابق، ص: 96.

وأكثر عمليات العرقلة على غرار ما جاء في نص القانون المذكور أعلاه صدر قانون شوطال في (08 مارس1938م) القاضي بمنع تعليم اللغة العربية، لأنها أجنبية ولهذا كان التعليم في جميع المدارس الحديثة باللغة الفرنسية وحدها.[1]

وزيادة على أن اللغة العربية أجنبية، فقد قسمها إلى ثلاث لغات: عربية فصحى، عربية عامية، وعربية حديثة، ثم قرر منع تدريسها في المدارس الابتدائية وجعلها لغة اختيارية في التعليم الثانوي.[2]

وفي مقابل منع تدريس اللغة العربية، وعرقلة تعليمها في أحسن الأحوال، أوجدت فرنسا المدارس الخاصة، والتي ظهر أنها تعمل على مسخ الأجيال، وتنشئ العملاء عن طريق طاقم من الرهبان والمتدينين أغلبتهم الساحقة من أصل فرنسي.[3]

وهكذا واجه التعليم في الجزائر معركة ضخمة ــ على حد تعبير أنور الجندي ــ بعيدة المدى، فقد حاول الاستعمار القضاء عليه وتحويله إلى تخريجية لأدوات استعمارية تعمل في الدواوين والوظائف كما تعمل على تخريج مثقفين عملاء يتقنون اللغة الفرنسية وينهلون من ثقافتها ويؤمنون بها، ويزدرون الثقافة العربية.

والحق أنّ كل هذا ليست الغاية منه سوى مسح شخصية الجزائري المبنية على أساس الإسلام. وهكذا حتى تتهيأ لنشر المسيحية عن طريق توسيع عمليات

---

[1] ينظر، المرجع نفسه، ص:96.

[2] ينظر، تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص: 104.

[3] الجرشي صلاح الدين: تجربة في الإصلاح، ابن باديس، دار الراية، تونس، 1978م، نقلا عن أنور الجندي: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، ص: 131.

التنصير،* الذي يبدو أكثر ضمانا لبقاء الجزائر فرنسية على حد ادعاء الفرنسيين وقتها.

وعمليات التنصير واضحة منذ اليوم الأول لاحتلال الجزائر، إذ بات سببا كافيا لإقناع الدول الأوروبية بهذا الاحتلال، بل ووسيلة ناجعة لتحميس المشاركين في الحرب على الجزائر.

ولا أدلّ على هذا ما كتبه شارل العاشر في رسالته إلى جميع الدول الأوروبية (**إنّ غزو الجزائر في صالح النصرانية كلها**) ومن هذا الكلام نفسه ما قاله غالبير:(**إنّ احتلال عاصمة يضمن انتصار كل الحضارة والمسيحية في الوقت نفسه في أرض إفريقيا.**)[1]

وفي سنة:(1932م) صرح سكرتير الحاكم العام قائلا: (**إنّ آخر أيام الإسلام قد دنت وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر اله غير المسيح، ونحن إذا أمكننا أن نشك في أنّ هذه الأرض تملكها فرنسا، فلا يمكننا أن نشك على أي حال بأنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد.**

أمّا العرب فلن يكونوا رعايا لفرنسا إلاّ إذا أصبحوا مسيحيين جميعا.)[2]

وبهذا كانت الجزائر مباشرة بعد سنة(1830م) مسرحا للسياسة التبشيرية الواسعة النطاق قصد تنصير الجزائريين حتى يتم القضاء على الإسلام بعدما بدا عاملا قويا من عوامل تماسك الشخصية الجزائرية.

---

* فالاستعمار منذ دخوله إلى العاصمة، عمل على تحويل المساجد إلى كنائس وثكنات عسكرية أو هدمها إذا رأوا عدم الحاجة إليها لتكون كنيسة أو ثكنة عسكرية، وعلى غرار المساجد الزوايا فقد واجهت المصير نفسه وقد كانت من قبل مأوى للعجزة والغرباء، وبعضها كان للتعليم والعبادة (مركز إشعاع علمي وخيري) كما هدمت القباب و الأضرحة، وخربت المقابر الإسلامية.

[1] نايت بلقاسم مولود قاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1، ط2، دار البعث، الجزائر، 1985م، ص: 251.

[2] المرجع نفسه، ص: 251.

وفي مقابل هذه السياسة الفرنسية بالجزائر ظهرت استماتة هذا الشعب وقوة محافظته على شخصيته على الرغم من قوة سياسة فرنسا العدوانية، حيث كان صمود الجزائريين أكثر من عناد فرنسا النابع من غطرستها.

و الحق أنّ سمات هذا العصر على اختلافها، والتي هي من مخلفات القهر الاستعماري قد عاشها العربي التبسي وكان على وعي بكل ما ترتب عن نتائجها وما ترسب. لذلك نجد مقالاته ضربا من المقاومة الثقافية، أي مقاومة كل محاولات المستعمر الرامية إلى هدم شخصية الجزائريين. و مما يدل على هذا، المقال الذي نشره بجريدة النجاح،[1] و كان طالبا بمصر في الأزهر الشريف. فوعي العربي بالجزائر وما صارت تحيا عليه واضح من دلالة العنوان (**هذه جزائركم تعتصر أيها الجزائريون فانقذوها**) فما بالك بالمقدمة التي فيها إشارة إلى أسباب هذا التخلف الذي يراه الشيخ في التخلي عن الدين، حتى يصل إلى وصف الحال التي كان يحياها الجزائريون يقول: (**ألق بصرك ذات اليمين وذات الشمال في وطنك الجزائر، سهوله وحزونه، وحواضره وبواديه، متبينا كيف تجد قومك ؟ وفيما يقطعون الأيام والليالي ؟وعمّا تنفق الأموال؟ وما هي حالة أمتك الاجتماعية، وقارن بينها وبين أهل الدنيا، تجد شعبك من أهل هذا العصر الذي لا يعيش فيه إلاّ بالعلم ونوره ؟ أم من بقايا الأجيال الغابرين الذين لم يوح إليهم.**)[2]

ويسترسل في الكلام على هذا النحو إلى أن يقول: (**ولترد على اللغة العربية شبابها، وتحي ذكراها بكل الطرق والذرائع، وليفهم الشعب العربي الإسلامي الذي تحولت لغته إلى رطانة في منطقه، وخلط في مفرداته، حتى أصبح لسانه مزيجا: أن لا دين، ولا قومية، ولا أمة ولا أيّ مقوم أو مميز للأمة إذا هي مضت فيما هي عليه من الجهل بلغتها، والعزلة عن تاريخها،**

---

[1] النجاح، عدد: 13،1925/10/238.

[2] العربي التبسي: (هذه جزائركم تحتضر أيها الجزائريون فأنقهوها)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص:43.

ورضت لنفسها أن تكون في حجاب فيها بين آداب، ومفاخر أسلافها، تلكم المفاخر التي باتت دارسة الرسوم.)[1]

ويذهب الشيخ في مقال آخر، وهو يعالج ما مس الأمة إلى المقارنة بما يفعله الغرب نفسه، وهو يعمل لصالح دينه والإحاطة بالإسلام يقول: (هؤلاء أمم الغرب ما غادرت موفقا من مرافق حياتها إلاّ واتخذت له ما تبلغه المواهب البشرية، كل يكد نفسه على ما تقتضيه طبيعة التطور. فمن أحزاب ضاقت عنها النوادي تعمل ليل نهار على حسب استعدادها ونزعتها بما آنست فيه صالحا لقومها. وقد اجترؤوا على أيديها من المنافع العظام، والمرافق الجسام ما اكسبهم عظة ومنعة ورقيا فاخروا به كل ناهض، فما قصروا من غاية، ولا تنكبوا من خيبة، وما قطعوا سواد ليل أو بياض يوم في غير عمل صريح يقوم لأمتهم. شعارهم نحن لأمتنا وفي سبيلها ما نلاقي.

ومن هيئات إصلاحية ودينية، ما قنعت بالعمل بين أهل جلدتها، وفي محيط شعوبها، بل انجدوا واغوروا لشيء تخيلوا في سعادة أمم مدائنهم. فخرجوا عن حظوظهم، وعافوا الراحة، واستلذوا التزوح عن الأوطان ومفارقة النعيم الذي شبوا عليه. وسخت نفوسهم بالخروج عن أموالهم بطيب نفس، وانشراح صدر، ونزلوا على كل عزيز وراء ما إليه راغبون.

كلمتهم واحدة وصفوفهم متراصة، وغايتهم منفردة. موقنين بأن ليس لدهر الطالبين فناء.

وعلى القارئ أن يلقي نظرة على جمعيات التبشير التي يرأسها الدكتور (رومير) فإن هذه العصابة أوقفت على نشر الديانة المسيحية كل ما أعطوه من قوة، وماوهبوا من حيل و قد كان الفشل يظلهم، و الخيبة تسبقهم، على خطورة المساعي التي يبدلونها وراء نفرهم إلى كل قطر من الأقطار، سواء في آسيا أو إفريقيا، فما قنطوا و لا فشلوا، و حملوا أنفسهم على تكاليف و أوصاب لا تقل عن الأصر و الأغلال...)[2]

---

[1] العربي التبسي: (هذه جزائركم تحتضر أيها الجزائريون فأنقهوها)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص:43.

[2] العربي التبسي: (ألا أيها النوام ويحكم هبوا)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 49.

و الأمثلة كثيرة في وعي العربي التبسي تتضمنها كتاباته على امتدادها منذ أن بدأها طالبا كما رأينا إلى أن أصبح رئيسا لجمعية العلماء، ثم إلى أن انتهى به الأمر إلى الاستشهاد سنة: (1957م) وهذا ما سنحاول تبينه في الفصل اللاحق.

6 – عودته إلى الجزائر:

كانت عودته إلى الجزائر سنة: (1346/1345ه) الموافق لسنة:(1927م) على حد رواية محمد علي دبوز، و أبي القاسم سعد الله حيث يقول: (...و حصل **على العالمية و في سنة 1927م رجع إلى الجزائر دون أن يزور أي مكان آخر.)**[1]

وبهذا أنهى الشيخ رحلته العلمية التي بدأها بتعلم الأبجديات في كتاب أبيه ثم زاوية خنقة في سيدي ناجي و منها إلى زاوية نفطة فجامع الزيتونة إلى أن

[1] أبوالقاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، مرجع سابق، ص:255.

انتهى به المطاف إلى الأزهر وقد **(تميزت ثقافته التي استند في تكوينها على العربية و الإسلام، فكانت له بمثابة الدرع الواقي من أي انجراف وراء تيار التغريب الفرنسي، أو انقياد وراء التفكير العقيم الذي كان يسيطر على عقول عدد من العلماء الجامدين، كما وجد في تلك القوة التي مكنته من قيادة جيل هب لنصرة العروبة و الإسلام في الجزائر، بالإضافة إلى أنها طبعت (آثاره) بطابع عربي أصيل مميز...أمارته متانة اللغة و قوة الأسلوب.)**[1]

و هكذا كانت نشأة الشيخ العربي العلمية عبر كل المحطات التي مر بها بمثابة الأرضية الصلدة التي اتكأ عليها طيلة مشواره الدعوي الإصلاحي، حيث عاد إلى الجزائر و عمره اثنان و ثلاثون سنة في عهد القوة و الازدهار و في زمن النضوج بعد أن تزود بالعلم الواسع و الفكر المتحرر، الذي قوامه التجديد الواعي و العزم على الإصلاح الجذري بالثورة ضد الجمود و الجهل.

7 – توجهه:

يرجع توجه العربي التبسي إلى طبيعة نشأته كما سبق الحديث عنه، لاسيما إذا تعلق الأمر بحياته العملية. وقد لا يخالفني أحد الرأي إن قلت إن حياة الشيخ كلها عملية بين التعلم (طالبا) والتعليم (مرشدا ومصلحا).

و الحكم على توجه الرجل بات واضحا، فهو رجل الإصلاح: ابـــن الكتـــاب، فجامع الزيتونة ثم الأزهر، فرجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

[1] عقيلة صخري: فن المقال عند محمد البشير الإبراهيمي، دراسة تحليلية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة عين شمس، مصر، 1990، ص: 13. مخطوط بجامعة قسنطينة.

وكون الرجل ابن الجمعية فهو من المتأثرين بحركة التجديد الإسلامي، وأحـــد أقطاب الحركة الإصلاحية السلفية والتي برزت فيها بعد حركة جمعيـــة العلمـــاء إن لم نقل في ثناياها.

وتعود أصول هذه الحركة إلى جملة من العوامل التي يمكن تصنيفها في:

1- عوامل جزائرية داخلية: وترجع إلى:

- عمل الاستعمار على مسخ الثقافة الجزائرية الإسلامية في الجزائر.
- نشاط حركات التبشير المسيحية.
- سياسة الفرنسة والتجنس.
- انحراف معظم الطـــرق الصـــوفية فـــي الجزائـــر، وانســـياقهم وراء البـــدع والخرافات، وأكثر من هذا تعاون معظمهم مع الإدارة الاستعمارية ضد مصـــالح بلادهم العليا.
- تأثير دروس الشيخ عبد الحميد بن باديس التي كـــان يلقيهـــا لعـــدة ســـنوات في الجامع الأخضر بقسنطينة في الدعوة إلى الإصلاح.[1]

2- عوامل خارجية تمثل امتداد الجزائر في العالم الإسلامي: وترجـــع بـــدورها إلى:

- اليقظة العامة التي دبت في أرجاء العالم الإسلامي والعربي، ومن بينه الجزائر نتيجة احتكاكها بأوروبا ثقافيا وسياسيا وعسكريا ابتداء من النصف الثاني للقـــرن التاسع عشر.
- المجلات والجرائد العربية الشرقية التي كانت تتسرب إلى الجزائر حاملة معها الدعوة الإصلاحية السلفية التي نادى بها جمال الدين الأفغـــاني ومحمـــد عبـــده

---

[1] ينظر، تركي رابح: (ابن باديس ونشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر)، مجلة الأصالة، ع 24 ربيع الأول- ربيع الثاني 1395هــ، مارس أفريل 1975م، ص: 81.

واتباعهما مثل (**العروة الوثقى**)، و(**مجلة المنار**) و(**جريدة المؤيد**) و (**اللواء**) و غيرها من الجرائد والمجلات التي اهتمت بفكرة التجديد الإسلامي.

- عودة الجزائريين الذين درسوا في المشرق العربي إلى وطنهم ومنهم العربي التبسي.

- اليقظة العامة التي دبت في الشعب الجزائري نتيجة الحرب العالمية الأولى، وتطلع الجزائريين إلى الإصلاح الشامل الذي ينهض بهم دينيا واجتماعيا وثقافيا، وسياسيا من الوضعية السيئة التي كانوا عليها قبل هذه الحرب.[1]

وإن كان الشيخ من رجال هذا التوجه فهو لم يختلف في نظرته الإصلاحية عمن زامنه أو سبقه، فالإصلاح عند هؤلاء عبارة عن عملية مترابطة لا ينفك بعضها عن بعض تنصب جميعها على: إصلاح النفس، و تربية النشء، وتنوير المجتمع.[*]

أما عن الأولى فيروي عنه حفناوي زاغر في إحدى محاضراته التي قدمها في المهرجان الرابع لذكرى استشهاد العربي التبسي يقول: (**كان رحمه الله لا ينقطع لحظة عن تربية نفسه وتهذيبها، والشدة في محاسبتها، والقسوة عليها، وإدمان ترويضها على السير وفق منهج تقي صارم واضح المعالم، محدد بين الجنبات، لا تحيد عنه لتزداد روحه صفاء ورهافة.**)[2]

ويورد الكاتب نفسه هذا الكلام الذي جاء في إحدى خطابات الشيخ التوجيهية، ارتجالا أمام الهيئة المديرة لجمعية العلماء سنة:(1952م) (... **يجب علينا أن نتعلم محاسبة أنفسنا قبل أن نحاسب الناس، وقبل أن يحاسبنا الناس، يجب علينا أن نكون أشداء على أنفسنا حتى نستطيع الحفاظ على هذا الميراث العظيم، وأن نبلغه سليما لأبنائنا من**

---

[1] ينظر، تركي رابح: (ابن باديس ونشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر)، مرجع سابق، ص:82.

[*] يأتي تفصيل الكلام في الفصل الثاني من هذا البحث.

[2] ينظر، حفناوي زاغز: (الإمام الشيخ العربي التبسي)، مجلة الثقافة، تصدرها وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر ع 94، يونيو- أغسطس 1986، ص: 130- 131.

بعدنا، ويجب علينا ونحن حاملوا راية الدين والقرآن أن نكون أقوى روحا، وأعظم همة، وأكثر تضحية، إذ لا يمكننا إرضاء الإسلام والوطن وإرضاء الزوجة والأبناء في وقت واحـــد، إنـــه لا يمكن للإنسان أن يؤدي واجبه التام إلا بالتضحية.)[1]

ويذكر الإبراهيمي ما يزيد هذا الطرح تأكيدا يقول: (وإن أنس فلا أنس قولـــه لإخوانه المشايخ المدرسين يوم اجتماعنا لنقرر مناهج السير في التعليم:

أيها الإخوان:

(إن التعليم بوطنكم هذا، وفي أمتكم هذه ميدان تضحية وجهاد، لا مسرح راحـــة ونعـــيم، فلنكن جنود العلم في هذه السنة الأولى ولنسكن في المعهد كأبنائنا الطلبة، ولـــنعش عيشـــهم: عيش الاغتراب عن الأهل، فانسوا الأهل والعشيرة ولا تزوروهم إلا لماما، أنا أضيقكم درعـــا بالعيال للبعد وعدم وجود الكافي، ومع ذلك فأنا فاعل فافعلوا، وها أنا بادئ فاتبعوا.)

ويواصل الإبراهيمي معلقا على هذا بقوله: (فكانت كلماته هذه مؤثرة في المشايخ، ماسحة كل ما كان يساورهم من قلق، ومضت السنة الدراسية على أتم ما يكون مـــن النظـــام الإداري، وعلى أكمل ما يكون من الألفة والانسجام بين المشائخ بعضهم مع بعـــض، وبينـــهم وبين مديرهم، حتى كأنهم أبناء أسرة واحدة.)[2]

وبهذا نفهم حقا أن إصلاح النفس هو المنطلق إلى كل أنواع الإصلاح الأخرى أيا كانت تسميتها، وهو ما سخر الشيخ العربي نفسه لخدمته.

---

[1] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمـــي، ج 2، ط 1، دار الغـــرب الإســـلامي، بيروت، 1997، ص، ص: 217، 218.

[2] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 2، مصـــدر ســـابق، ص ص: 217، 218.

8- نشـــاطه:

والحديث عن نشاط العربي يرجع بنا إلى ما قلناه عن توجهه بل وعن حياته وهو طالب. فنشأته العلمية كانت مبررا واضحا للتيار الذي أندمج فيه، وانضوى تحت لوائه، فالعربي التبسي رجل الإصلاح لا يمكن إلا أن يكون من العاملين على بعث قيم الدين الإسلامي، وفي الوقت نفسه مقاومة ما بدا قد مس هذه القيم من فساد، وتعداه إلى ما نختصره في الثقافة الجزائرية، باعتبار أن الثقافة هي الكل المركب من العادات و التقاليد... وكل ما يميز مجتمع عن سائر المجتمعات الأخرى.

وآليات مثل هذا العمل لا نتصور أن يكون بسيطا، خصوصا في مثل تلك الظروف التي كان يحياها الجزائريون، وفيها تمثل نشاط الشيخ العربي وكل

من المنشغلين على العمل الإصلاحي. فقبل سنة: (1927م) حين كان طالبا بالأزهر الشريف عمل بالكتابة المقالية، وهذا ما أشرت إليه سلفا. وأما بعد أن عاد إلى الجزائر واستقر أول الأمر بتبسة فقد عمل مدرسا، ومرشدا، واستمر على هذا العمل بعد أن انتقل إلى مدينة سيق بالغرب الجزائري، ثم عودته إلى تبسة، فقسنطينة، وأخيرا الجزائر العاصمة، حيث اقتصر عمله فيها على إدارة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والخطابة بالمسجد الذي بقي يحمل اسمه حتى الآن.

والحق أن العربي ومنذ سنة: (1927 حتى 1957م) وهو يرتحل بين مختلف مدن الجزائر شرقا وغربا بل وفي الشرق بين قسنطينة وتبسة، وحتى بعد أن انتهى الأمر به إلى الوسط في العاصمة ظل يمارس نشاطات مختلفة (**الصحافة- الخطابة- التدريس- الإدارة**) الهدف منها واحد هو إصلاح الفساد الذي لحق بالمجتمع ومعتقده متمثلا في الدين الإسلامي.

وبين تنوع النشاطات التي قام بها الشيخ وحركته نتيجة التنقل بين أنحاء الوطن سأحاول الوقوف على أهم محاور اشتغاله: كصحفي، وخطيب إضافة إلى كونه مدرسا وداعية، فصاحب إدارة.

1- الصحـــافة:

سبق وأن أشرت إلى أن بداية عمل العربي التبسي كان منبره في الصحافة، وذلك من خلال المقالات التي بدأ ينشرها في جريدة النجاح، ثم في الشهاب وهو بعد طالب بالجامع الأزهر.

إن التوجه الصحفي الذي ميز بداية نشاط الشيخ يرجع إلى الأثر الذي تركته كل من البيئة التونسية والمصرية على وجه الخصوص نتيجة ما شهدته هذه البلدان من نهضة فكرية نتج عنها تيار ظل يعمل من أجل مناهضة الاستعمار، ومقاومة الجمود الذي غرسه هذا الأخير في الوطن العربي. وإذا كنا

قد تبينا أن العربي التبسي كان على وعي بما لحق المجتمع الجزائري من فساد فإن الرجل لم يبق مكتوف الأيدي ليتفرج عليه، بل عمل بعد التشخيص (تشخيص المرض)على تقديم ما يسهم في معالجة الوضع بمجموعة من المقالات اختلفت موضوعاتها بين الثورة على الطرقية الفاسدة، والدعوة إلى التمسك بقيم الدين. وتبلورت فكرة الرجل فيما بعد لينادي بالعمل على تكثيف الجهود، والعمل بالتعاون بين جميع الجزائريين وخصوصا أهل العلم من المصلحين، سنستنتج ذلك من قوله في مقال نشره بالنجاح سنة: (1925م): **(إن الشعب الذي لا ينتظم تحت مبدأ واحد، ويلتف حول جامع فرد، إليه يعمل الكل، منذر بالانهيار، مقضي عليه بالفناء العاجل، وهذا صحته لا تحتاج إلى بينة..)**[1]

إلى أن يقول في سياق الدعوة نفسها: **(نحن نفهم والعالم يدري أن الفرد الجزائري قوي، أبي، كريم، صدوق، قد وهب من دروب الكمال ما لم تنله أفراد، وتجمعه جماعات من غير استثناء ولكن صلاح الأمم ومصير الشعوب ليس من مقدور الفرد، ووظائف الآحاد ! وإنما هي مرتبطة بالجماعة ارتباط العلة بالمعلول والسبب بالمسببات فهيوا بنا إلى العمل متضامنين، مجتمعين، ويد الله مع الجماعة، والخير فيما رأت الأمة، ومن قدر أن ينفع أخاه فليفعل، ولعمري إنهم لحق عليكم إصلاح أمتكم وما لكم لا تفعلون؟ واذكروا تلك الآية الجامعة: «مَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ »[2] أما إذا بقيتم كما كنتم، وعلى ما عرفتم، ورضيتم النقيصة « في دينكم » ودنياكم وجماعتكم ولفتكم، فإياكم عنى الشاعر:**

إن دام هذا ولم تحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود.)[3]

وحول هذا النشاط الصحفي الذي ميز إحدى جوانب الكفاح عند العربي يقول علي دبوز: (**كان الشيخ العربي جادا في مقالاته متقنا لها معنى، لا يكتب إلا في المواضيع**

---

[1] الشيخ العربي التبسي: (هذه جزائر كم أيها الجزائريـــون فأنقهوهـــا)، جريـــدة النجـــاح، ع 238، 1925/10/13م، أو مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 43.

[2] سورة الزلزلة، الآية:7.

[3] الشيخ العربي التبسي: (هذه جزائر كم أيها الجزائريون فانقذوها)، جريدة النجاح، ع 240،1925/10/20، أو مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص ص: 45 46.

المهمة التي تشغل باله وبال الأمة، وإلا في قضايا الإصلاح، وما يعم نفعه، وقد شرح في مقالاته أمراض الأمة النفسية وبين أسبابها وعللها، فكانت دروسا عظيمة في التربية والأخلاق وعلم الاجتماع... إن الشيخ العربي لم يؤلف لنا كتابا لأنه أعطى نفسه للإصلاح، فوقته في ليله ونهاره عامرا بما يشغله عن التأليف، ولكنه ترك لنا مقالاته الكثيرة التي لو جمعت لنا كتابا لكانت في أجزاء،* إنها أصلح وألذ غذاء نقدمه للأمة وإلى مدارسنا وجامعاتنا فيصحون.)[1]

و القارئ لكتابات الشيخ يجدها فعلا قوية اللهجة، بالغة الصراحة تعكس شجاعة الرجل وعمق معانيه، ومنطق حجته وسلاسة أسلوبه، إضافة إلى كونها متنوعة بتنوع المواقف التي عاشها العربي التبسي بدءا بما نشره في النجاح حتى البصائر الثانية.

ويمكن بعد قراءة كتاباته أن نجعلها مجموعات كتابية بحسب الموضوعات المخوض فيها، وقد ارتأيتها ستة مجموعات هي كما يلي:

المجموعة الأولى: في الدعوة إلى تكثيف الجهـــود والالتفـــاف حـــول العمل الإصلاحي و هي:

1- هذه جزائر كم أيها الجزائريون فأنقهوها.

2- ألا أيها القوم ويحكم هبوا.

3- أزفت ساعة الجماعة و تصرم عصر الفرد.

4- الجزائر تصيح بك أيها الجزائري أينما كنت.

5- نداء إلى رجال الدين بالجزائر

---

* هذا الكلام لعلي دبوز سابق لجهود الشرقي الرفاعي في العمل على جمع مقالات العربي التبسي، لكن الرفاعي جمع معظم هذه المقالات و هو الجهد الذي يشكر عليه.

[1] محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 2، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1976م، ص: 55.

المجموعة الثانية: في الثورة على الطرقية وكشف مفاسدها:

1- أريد حياته ويريد قتلي.

2- وإذا العناية لاحظتك عيونها.

3- الخلوة العليوية هل هي من الإسلام؟

4- الإضرار بالدين باسم الدين و واجب المصلحين.

5- لقد سمعنا باطلك فأين هو حقك؟

6- إذا كنت حاملا فلدي غلاما.

7- قد ضل من كان مثل هذا يهديه.

8- ما هو الإخلاص ومن هو المخلص.

9- لجنة الديانات تركت وظيفتها وانشغلت بتحريف حقائق الإسلام.

10- من غشنا فليس منا أيها الطرقيون.

11- صدى الاعتداء على الأستاذ في الأزهر الشريف.

12- بدعة الطرائق في الإسلام ــ 1 ــ

13- بدعة الطرائق في الإسلام ــ 2 ــ

14- بدعة الطرائق في الإسلام ــ 3 ــ

المجموعة الثالثة: الإرشاد والإصلاح:

1- جمعية العلماء وواجب الوعظ والإصلاح.

2- الإرشاد العام.

3- الحاجة إلى الإرشاد وتوقف الإسلام عليه.

4- وجوب القيام بالإرشاد شرعا.

5- حالة الإرشاد قبل اليوم.

6- ما ينبغي أن يكون عليه الإرشاد.

7- العناية بالمجتمع حق ديني على العلماء.

8- كلمة إلى دينية ذوي الأحلام و النهى.

9- هذه جريدة "السنة" يا أهل السنة.

10- كلمة الجزائر المسلمة إلى النواب المسلمين.

المجموعة الرابعة: رمضان والوعظ الديني:

1- مواعيظ ليالي رمضان.

2- مواعيظ ليالي رمضان واجب ديني على المسلمين (01)

3- مواعيظ ليالي رمضان واجب ديني على المسلمين (02)

4- مواعيظ ليالي رمضان واجب ديني على المسلمين (03)

5- مواعيظ ليالي رمضان واجب ديني على المسلمين (04)

6- مواعيظ ليالي رمضان واجب ديني على المسلمين (05)

7- مواعيظ ليالي رمضان واجب ديني على المسلمين (06)

8- استعدوا لإحياء ليالي رمضان.

المجموعة الخامسة: الدين والدولة (سياسة الاستعمار)

1- فصل الحكومة الجزائرية عن المساجـــــد.

2- تقرير السيد مصباح.

3- فصل الدين عن الدولة قضية ولا قاضي لها.

4- فصل الدين عن الدولة مناف توصله بها.

5- فصل الدين عن الدولة.

6- هل الحكومة تستعد لنقض وعدها بإنصاف الدين الإسلامي.

المجموعة السادسة: المعهد الباديسي:

1- ما يجب أن يكون عليه المعهد في السنة الآتية.

2- حفل انتهاء السنة الدراسية.

3- معهد عبد الحميد بن باديس.

4- المعهد الباديسي في سنته الرابعة.

5- افتتاح الدراسة بالمعهد وشروط قبول التلاميذ.

6- خطاب في الاحتفال بختم الدروس بالمعهد.

7- الاحتفال الشعبي العظيم فافتتاح دار الطلبة.

8- افتتاح دروس المعهد الباديسي.

ومن خلال هذه المجموعات على تنوع موضوعاتها يتبين بوضوح مدى إسهام الشيخ بما كان يغذي صحافة الإصلاح إن استثنينا جريدة النجاح،* غير أنه لا بد من الإشارة إلى أن هذه المواضيع ليست في مجملها مقالات إذ تتخللها مجموعة من الخطب سجلت ونشرت، فاحتسبناها من بين النشاطات الكتابية التي مثلت إسهام الشيخ في الصحافة الجزائرية.

2- الخطـــابة:

ويبدو أنها النشاط الأكثر هيمنة على شخصية الشيخ الإصلاحية لملاءمتها والدور الذي اختاره لنفسه في الحياة (الإصلاح)، إضافة إلى كونها الوسيلة إلى ممارسته النشاطات الأخرى من مثل التعليم المسجدي منه والمدرسي (المعهد) وحتى الإدارة.

والحق أن شخصية العربي التبسي أقرب إلى الخاطبة لما يتوفر فيه من صفات الخطيب (**فقد كان ضليعا في معارف عصره، متمكنا من مختلف فروع العلم**

* لكونها كانت موالية للإدارة الاستعمارية، أما الصحافة الإصلاحية التي نشر فيها الشيخ فأقصد بها: (الشهاب، السنة، البصائر)، ينظر، التمهيد.

التي كانت تجود بها كليتا الزيتونة والأزهر، واسع الإطلاع على كل ما ينشر ويطبع أو ينقل إلى العربية من علم أو أدب، وفن، غير أن تفوقه تجلى في علوم الشريعة وأصول الفقه، وقواعد اللغة، وفنون الأدب.)[1]إضافة إلى حفظه للقرآن وحسن فهمه لمعانيه، وعنايته بالآداب العربية.

ويروي علي دبوز فيما أورده عن شخصية الشيخ العربي التبسي فيقول: (كان الشيخ العربي رحمه الله قوي البنية، ربعة القد، جميل المنظر، أبيض الوجه تشوبه حمرة، وكانت الحمرة تزداد في وجهه فتحسب أن الدم سيسيل منه، وكان سليم الحواس حديد البصر، جهوري الصوت، حماسي اللهجة في دروسه وخطبه، يمشي في اتزان وقوة واندفاع، لقوة حزمه، وجثمانه، واعتداده بنفسه.)[2]

وفي الوصف نفسه يقول حفناوي زاغز: (كان رحمه الله متكامل البنية، متناسق الأعضاء، مهيب الطلعة، قوى الشخصية، فولاذي الملامح، يتسم بالجدية والصدق في القول والعمل، كان يتميز بعينين آسرتين، وابتسامة تشيع الطمأنينة في النفس، كان ظاهرة فريدة، حتى كنت أتخيله لشدة ورعه وزهده في الحياة، والصغائر، أنه أحد أقطاب السلف الصالح جاء في زيارة عجلى لهذا العصر كي تثبت به الإنسانية قدرتها على صياغة الإنسان المتكامل المتوازن في زمن الندرة والعقم، ليكون القدوة والمثل، والنموذج خلال فترة محددة،ثم يختفي فجأة لتبقى اللوعة والذكرى.)[3]

فالشيخ متوقد الذكاء قوي المحافظة، مشوب الوجدان، شديد الولوع بالعلم محبا للجمال، كما انه حاد الطبع قوي النفس وكل هذا من صفات الخطيب الذي يملك القدرة على مشافهة الجمهور وإقناعه.

ونتيجة ما اجتمع لدى الرجل من مؤهلات خطابية و علمية، لعبت شخصيته دورا أساسيا في تنوير عقول الجزائريين وتخليصها من براثين الجهل

---

[1] حفناوي زاغز: (الإمام الشيخ العربي التبسي)، مرجع سابق، ص: 128.

[2] محمد دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 2، مرجع سابق، ص: 59.

[3] حفناوي زاغز: (الإمام الشيخ العربي التبسي)، مرجع سابق، ص: 125.

حيث بدأ بالنمامشة، فحارب العصبيات القبلية، ووحد سكان المنطقة ضد الاستعمار.

والحق أن العربي التبسي لم يقتصر نشاطه الخطابي في منطقة النمامشة بحكم انتسابه و نشأته، بل كانت الكلمة هي سلاحه أينما حل يواجه به الضلال والظلم والفساد الذي لحق بالجزائريين نتيجة الوجود الاستعماري.

وفي حديث محمد الميلي ما يشير إلى سبب ارتكاز الشيخ على الخطابة التي تعتمد على المشافهة دون الكتابة يقول: **(أما الشيخ العربي التبسي فلم يترك إلا بعض مقلات، ذلك أن الشيخ العربي مارس نشاطه الإصلاحي وعمله النضالي، في وسط من أصعب المناطق الجزائرية، وهي التي يسميها الجغرافيون الفرنسيون الأوراس النمامشة، فهي منطقة تتجاور فيها قبائل شديدة المراس، تأخذ بمخانقها عادات وتقاليد جاهلية، تعتبر فيها أخذ الثأر واجبا مقدسا، يكفي أن يتظلم فيها أحد مستنفرا عشيرته حتى يهب رجالها لنصرته بالهجوم على ناس العشيرة التي ينتمي إليها خصمه، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث عما إذا كان ظالما أو مظلوما، وغالبا ما تنتهي المعركة برحى وأحيانا تسفر عن قتلى...)**[1]

وبعد أن يعرض الكاتب لجهل سكان المنطقة يواصل قوله: **(... ومن تم كان نشاط الشيخ العربي التبسي يعتمد على الخطاب الشفهي، ومخاطبة جماهير الأرياف بلغة يفهمونها، مستعملا منطقا وبيانا ينفذ إلى نفسياتهم، وكان فصيحا بليغا مما يجعل لخطاباته أبلغ التأثير، لم تكن جماهيره تقرأ، لذلك لم يترك من الكتابات إلا القليل، وهذا على الرغم من أنه كان عندما يتحدث إلى جمهور متعلم، يتحدث لغة يمكن أن تنقل كتابة كما هي...**

و قد كانت قوة شخصيته بالإضافة إلى أهمية قبيلته، خير مساعد له على تحريك منطقة شديدة التخلف أثر فيها بدروسه وخطبه، وبما أنشأه في جهاتها من مدارس ونواد ومســــاجد...)[2]

[1] محمد الميلي: الشيخ مبارك الميلي حياته العلمية ونضاله الوطني، مرجع سابق، ص ص: 32، 33.

[2] المرجع نفسه، ص: 33.

ومن هذا نفهم أن الاستعداد الخطابي الذي كان في ذات الرجل كما رأينا قد لاءم الحال الذي كان يعيشه الجزائريون، إذ أن الجهل لم يكن يعني النمامشة وحدها بقدر ما كان يمثل وضعا يدخل حيزه كل الجزائريين، على ما يوجد بين منطقة وأخرى من تفاوت كان يبدو واضحا من خلال طرح محمد الميلي.

3- التعليـــم:

والحديث عنه سيعود بنا إلى ما قلناه عن الصحافة والخطابة لأن غاية كل منهما هي التعليم، إن أخذنا معنى التعليم مما تدل عليه الكلمة في ذاتها، لكن إذا تكلمنا عنه (التعليم) من منطلق أنه نشاط مخصوص سيوجهنا إلى الحديث عن الشيخ الأستاذ في القسم أو الحجرة داخل المعهد، أو المدرسة. وإن عدنا إلى أول محطة مارس فيها العربي التبسي التعليم نجد أنها تبسة، وفيها انشأ مدرسة البنين والبنات بعد رجوعه من مصر.

ويرى أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي أن الوجه التعليمي الذي مارسه الشيخ بعد عودته يعود إلى تأثره بالتجربة الرائدة التي قام بها السيد عباس بن حمانة سنة: (1913م) بتبسة، فهي على حد رأى الكاتب نفسه أول مدرسة قرآنية عصرية حرة. ويرجع في السياق نفسه أسباب بزوغ مثل هذا المشروع إلى:

- بوادر النهضة التي أخذت تلوح في الأفق في عهد الحاكم العام شارل جونار حين برزت الصحافة والجمعيات والنوادي في المدن الرئيسية (قسنطينة ــ العاصمة) كما يزيد إلى هذه الأسباب زيارة الشيخ محمد عبده وانعقاد مؤتمر المستشرقين، ثم فرض التجنيد على الشباب سنة: (1912م)...

- إضافة إلى إحداث مدارس مشابهة في تونس منذ سنة 1907.[1]

---

[1] ينظر، أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، مرجع سابق، ص: 242.

ويواصل وصف ذات المدرسة بقوله: (**وكانت المدرسة مكتبة وصيدلية ومطبخا، واعتمدت في تعليمها برنامجا حديثا يهتم بالتربية الإسلامية وبالقرآن والأخلاق، والتاريخ الإسلامي بما في ذلك تاريخ الجزائر والجغرافيا، كما أشتمل على المواد الرياضية والرياضة البدنية واللغة الفرنسية، ونص البرنامج على أن تكون مدة الدراسة ثماني سنوات، وللتلاميذ الواردين من بعيد قسم داخلي للإقامة... وكان للمدرسة قانون داخلي طبع في تونس نص على أن هدفها هو إحياء اللغة العربية في تبسة.**)[1]

وإذا كان هذا الكلام ينفي سبق الشيخ العربي التبسي إلى فكرة التعليم عن طريق تأسيس مدرسة، فإنه لا ينفي نجاح ذات الفكرة معه، إن كانت قد فشلت مع عباس بن حمانة الذي توقفت مدرسته بعد بضعة أشهر من نشاطها، ولا يهم إن كان العربي قد تأثر بفكرة السيد بن حمانة أو بالأسباب نفسها التي تأثر بها حمانة ذاته، بقدر ما يهمنا مدى الكفاءة التي أظهرها الشيخ في هذا النشاط الذي تميز فيه إضافة إلى النشاطات الأخرى.

والحق أن الشيخ العربي لم يؤسس مدرسة تهذيب البنين والبنات مباشرة بعد رجوعه من مصر بل كان ذلك بعد رجوعه من مدينة سيق في الغرب الجزائري والتي حل بها بعد أن شعر بمضايقة المستعمر ومن والاه من الطرقيين. كما أنه أيضا لم يقتصر في حياته التعليمية على هذه المدرسة، فبعد أن تأسس المعهد الباديسي بقسنطينة انتقل إلى العمل هناك مديرا ومدرسا، وبهذا شمل عمل الرجل التعليمي الجزائر من شرقها حتى غربها، وكل محطاته تعكس جد الشيخ العربي واجتهاده مما جعله يؤدي واجبه على أحسن وجه.

وقد أثنى على هذا النجاح المجلس العلمي الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمكتب الرئاسة بقسنطينة، فبعد أن قرر استمرار التعليم المسجدي الديني لتلاميذ الجامع الأخضر كالعادة الجارية في السنتين الماضيتين

---

[1] المرجع نفسه، ص: 242.

لدوافع ضرورية قاهرة. يقول الإبراهيمي في بيان المجلس الذي انعقد يوم: (19 أكتوبر 1943م): **(واسند كالمعتاد القيام بذلك التعليم إلى كفاءة الأستاذ النفاع الشيخ العربي التبسي الكاتب العام لجمعية العلماء مع التنويه بذكره والإفصاح عن شكره على ما قام به في السنتين الماضيتين، من المواضبة على تلك الدروس النافعة لأبناء الأمة في دينهم ولغتهم، وما بذله من جهد وأظهره من حزم وعزم على استمرارها على أكمل وجه.)**[1]

4- الإدارة:

أما الممارسة الإدارية فهي الأخرى كانت موازية لكل النشاطات التي اشتغل عليها الشيخ، وبداية هذا العمل كانت مع تأسيسه لمدرسة تهذيب البنين والبنات حيث تولى مسؤولية تسييرها. إضافة إلى الانشغال بالتعليم، وبعد أن أنشأت جمعية العلماء المسلمين المعهد الباديسي بقسنطينة استقدمه الإبراهيمي ليكون مديره هناك إضافة إلى كونه أستاذا بنفس المعهد، ونائبا لرئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد أن صارت رئاستها للإبراهيمي بعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس.

وبهذا كان نشاط الشيخ في مجال الإدارة يشمل جانبا هاما من حياته الإصلاحية، وواحدة من النجاحات التي حققها في هذا المجال، وهذا ما قاله الشيخ البشير الإبراهيمي بعد تعيين الشيخ العربي مديرا للمعهد الباديسي: **(ونحن قوم نقرأ لكل شيء حسابه، ولا تقدم لجلائل الأعمال إلا الأكفاء من الرجال، وقد كنت مدخرا لإدارة المعهد كفؤها الممتاز وجديها المحنك الأخ الأستاذ العربي التبسي الذي كانت تمنعه موانع قاهرة من تولي الإدارة... أرضينا سكان تبسة الكرام الذين كانوا يعدون انتقال الأستاذ التبسي عنهم كبيرة يرتكبها من كان يتسبب فيها، واقتناعهم بأن الشيخ رجل أمة كاملة لا رجل بلدة واحدة، ورجل الأعمال العظيمة لا الأعمال الصغيرة.)**[2]

---

[1] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ج2، مصدر سابق، ص: 131.

[2] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ج2، مصدر سابق، ص: 217.

وشهادة مثل هذه ليست تقتصر على حسن إدارة الشيخ الربي التبسي بقدر ما تدل على كامل نجاحه في حياته الإصلاحية، كيف لا وهو ممن(خرجته **الكليتان الزيتونة والأزهر في العلم وخرجه القرآن والسيرة النبوية في التدين الصحيح والأخلاق المتينة، وأعانه ذكاؤه وألمعيته على فهم النفوس، وأعانته عزته ونزاهته على التزام الصدق، والتصلب في الحق، وإن أغضب جميع الناس، وألزمته وظيفته الصادقة بالذوبان في الأمة والانقطاع لخدمتها بأنفع الأعمال، وأعانه بيانه ويقينه على نصر الحق بالحجة الناهضة ومقارعة الاستعمار في جميع مظاهره، فجاءتنا هذه العوامل مجتمعة منه برجل يملأ جوامع الدين ومجامع العلم وحافل الأدب ومجالس الجمعيات ونوادي السياسة ومكاتب الإدارات ومعاهد التربية. والأستاذ التبسي في إدارته يتساهل في حقوق نفسه الأدبية درجة التنازل والتضييع، ولا يتساهل في فتيل النظام أو الوقت أو الأخلاق أو الحدود المرسومة، ولقد كان زيادة على الدروس التي يلقيها بنفسه، يطوف على الأقسام كلها بالتناوب متفقدا، فيسمع المشائخ يلقون أو يسألون، والتلاميذ يجيبون. ولقد كان بين المشائخ في أول السنة تفاوت وبين التلاميذ تباين عظيم، وكنت أنا ألمح هذا في الشهرين الأولين كلما اختليت إلى المعهد. فما مضى شهران حتى رأيت بعيني أن ذاك التفاوت صار انسجاما، وأن ذاك التباين انقلب اتحادا ظهرت آثاره في آداب التلاميذ، وأخلاقهم وشهد هيئات الدخول والخروج والنوم والأكل وسائر التصرفات، وما جاء ذلك إلا من ضبط المدير وحزمه.)**[1]

وإن كان هذا النص للإبراهيمي حديثا عن دور الرجل الإداري في المعهد الباديسي الذي يعكس قوة الأداء نتيجة الجدية في العمل، فإن ما يأتي دليلا على مراس الرجل وخبرته الناتجة عن اختلافه بين شرق الجزائر وغربها يقول: **(وليس الأستاذ التبسي جديدا في سياسة التعليم والارتياض على الإدارة، فقد باشر التعليم سنين عدة بمدرسة سيق وباشر الإدارة والتعليم بالمسجد المدرسي، وباشر الإدارة والتعليم المسجدي والمدرسي سنين بمدرسة تبسة ومسجدها اللذين أنشأهما بجهده ونفوذه، ثم اضطلع بالتعليم المسجدي وإدارته لتلاميذ الجامع الأخضر بعد موت الأستاذ الرئيس عبد الحميد بن**

---

[1] المصدر نفسه، ص: 218.

باديس وانتقال التلاميذ إلى تبسة في أيام الهزائز والفتن. وإن من تلامذته في ذلك العهد رجالا هم زينة مدارسنا اليوم ومنهم من هاجر إلى الشرق ليكمل دراسته فأوفى وبرز.)[1]

ونتيجة هذا العمل ومشاركته الواسعة بأعمال وإن كانت إصلاحية فهي متشعبة ويختلف بعضها عن بعض.

ولعل تميز العربي بهذا النشاط الواسع جعل شخصه يحتل مكانة كبيرة في قلوب زملائه في الإصلاح وكل من كان يتعامل معه، وفي قدرته على فرض نفسه داخل المحيط الذي ينتمي إليه يقول حفناوي زاغز: (... وإنما كان صنفا آخر يفرض على النخبة إقراره والاعتراف به، لأنه كان متميزا،... لا يملك الرفاق (وهم من هم علما وفضلا) إلا الشهادة له والأشهاد به.)[2]

ثم يورد مباشرة قول الشيخ عبد الحميد بن باديس فيه: (... إن الأستاذ العربي ابن الزيتونة، والأزهر مشارك مشاركة قوية في علوم الشريعة والآداب، ذكي الفؤاد صحيح الفكر والعلم، فصيح اللسان، محجاج قوي الحجة، حلو العبارة... شديد الحب لدينه ووطنه، شديد في الدفاع عنهما.)[3]

وقد سبق أن أوردت شهادة الإبراهيمي في حديثي عن نشاطه مدرسا ومديرا، إن الشيخ البشير يذهب إلى أكثر من ذلك حين قال: (والأستاذ التبسي عالم عريق النسبة في الإصلاح، بعيد الغور في التفكير، سديد النظر في الحكم على الأشياء، عزوف الهمة عن المظاهر والسفاسف، انتهى به العلم والتجربة وأحداث الزمان إلى أن تونس والجزائر والمغرب شيء واحد، وأنها لا تفلح في الحياة ولا تنصر في الجهاد لها إلا إذا أصبحت هذه الثلاثة شيئا واحدا، ثم انتهى به العمل إلى هذه المقاصد العالية إلى معرفة حظ العالم من العمل، وخطه

---

[1] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ج2، مصدر سابق، ص: 219.

[2] حفناوي زاغز: (الإمام الشيخ العربي التبسي)، مرجع سابق، ص: 128.

[3] المرجع نفسه، ص: 128.

من تبعة التقصير فيه، ولذلك كله أصبح علما فردافي قيادة الأمة في جميع ميادين حياتها، ولذلك سمت همته...)[1]

وقال فيه الأستاذ توفيق المدني: (**كـــــان الشيخ العربي بطلا من أبطال الجزائر والإسلام، وكان مجاهدا ومثالا حيا للنضال الإسلامي الخالص النزيه، لم يكن لديه طمع في الدنيا على الإطلاق، وكان لا يقصد في جهاده إلا وجه الله ونفع المجتمع وإخراج الوطن من الظلمات إلى النور، وكان عالما غزير العلم سيما في الفقه الإسلامي، وكان راوية لفقه مالك، ولا أرى أن هناك في العالم العربي من يجاريه في هذا المضمار... وكانت دروسه في التفسير نادرة... لقد كان يأتي بالجديد في تفسيره لا يجمد على ما قال الأولون.)**[2]

وإذا كان هذا هو الحال مع ما ورد من شهادات زملائه فإن العربي التبسي لم يكن ليفوته التأثير في من تخرج على يديه من تلاميذ، بل إن التلاميذ كانوا يحبونه ويهابون شخصه لما يسمعون عنه، وهذا الشرفي الرفاعي يروي في مقدمة الكتاب الذي جمع فيه مقالات الشيخ العربي التبسي يقول: (اسم الشيخ **العربي التبسي لم يكن غريبا عني يوم قصدت قسنطينة أول مرة سنة 1948 للدراسة في معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي كان يديره الشيخ الإمام رحمه الله، شانه في ذلك شأن الشيخ عبد الحميد بن باديس والمصلحين بصفة عامة، فقد سمعت الكثير من شيوخ العائلة عن جمعية العلماء وأعلامها وأعمالها، وكان الحديث عن كل ذلك حديث إعجاب بالموقف وتنويه بالدور، والتزام بالمبدأ في ظرف كانت فيه كلمتا: (الإصلاح والوطنية) تعنيان استئصال الاستعمار، والقضاء على الطرقية.**

فقبل ذلك حدثني المرحوم إبراهيم الشرفي عن الإمام الشيخ العربي التبسي حديث التلميذ عن أستاذه، إذ حضر دروسه في مدينة تبسة بعد وفاة الشيخ عبد الحميد رحمه الله،

---

[1] آثار البشير الإبراهيمي: ج 2، مصدر سابق، ص: 272.

[2] حفناوي زاغز: (الإمام الشيخ العربي التبسي)، مرجع سابق، ص 126.

وكانت أحاديثه كلها عن علم الشيخ العربي، ووطنيته، وتدينه، ومهابته، وتكونت من خلال ما سمعت صورة عن الرجل تبعث على التهيب منه أكثر مما تدعو إلى محبته أو الإعجاب به.)[1]

وباسم جريدة البصائـــــر وخط الإبراهيمي كتبت هذه التعزية للشيخ العربي بعد موت أخيه الشاب البشير فرحات، و ومما جاء فيها: (ويقول الملازمون للأستاذ التبسي من تلامذته والحاضرون بجميع الاقتبلات والأحاديث من خلصائه المقربين: أن أحاديث الأستاذ مع الوفود كانت أحاديث المؤمن القوي، والواثق بالله، الراضي بقضاء الله وكانت أحاديث معز لا معزى.

وأن أحاديثه في الدين والاجتماع كانت كدأبه إذا تكلم في الدين، تجلية حقائق، في نصوع بيان وأن حديثه في السياسة إذا أنجز الحديث إليها كان كله حملات على الاستعمار ومكائده، وأنه لا يرجى منه خير، وأن حديثه عن السياسيين والنواب كان حديث المحايد الحر الذي لا يتحيز لفريق دون فريق، ولا يرضى لنفسه ولمقامه أن يكون فوق دعاية لمبدأ دون مبدأ، لأن مبدأه أسمى منها جميعا، وكان حديث العالم الذي يزن الرجال بأعمالهم، وحيث لا أعمال فلا رجال، ويزن الأحزاب بوضوح مبادئها، وحيث لا وضوح في المبادئ فلا أحـــــزاب.)[2]

ربما هذا غيض من فيض من كلام قيل في الرجل، والمكانة التي احتلها في نفوس من يشتغل إلى جانبهم، أو لأجلهم.

غير أن أبا القاسم سعد الله يقول في سياق آخر ما مفاده أن الشيخ العربي التبسي: (رغم تدينه وإخلاصه لفكرة جمعية العلماء، لم يكن محل تقدير كل أعضاء الجمعية، فقد كان شديد الغيرة على اختصاصاته وشديد الحساسية لشخصه، ولم يكن يتمتع لا بأدب الإبراهيمي ولا بدبلوماسية خير الدين، وكان له مع الجيل القادم حرمة لإخلاصه وتفانيه وتدينه، ولكن الجمعية قد دخلها جيل جديد من الشبان المتفتحين العصريين فكان التبسي لا يقنع أكثرهم لقيادتها، وكانوا يرون فيه شيخا فوضويا في عمله، مع شيء من الغفلة والدروشة

[1] العربي التبسي: مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص:11.

[2] آثار البشير الإبراهيمي: ج2، مصدر سابق، ص: 178.

في تصرفه، ذلك أن اتساع رقعة الجمعية وتشابك القضايا التي أصبحت تعالجها، سياسيا وتربويا واجتماعيا، لم يعد يكفيها الرجل المخلص المتدين فقط.)[1]

والحق أن هذا الكلام ليس غريبا بقدر ما يعكس الحساسيات التي لا تخلوا منها المؤسسات في مثل جمعية العلماء المسلمين، خصوصا إذا تعلق الأمر بقضية محور الصراع فيها الأصالة والمعاصرة، إضافة إلى هذا فهو يعكس كذالك ما سبق وأشرت إليه سلفا، فالشيخ كان ذا طبع قوى النفس، يتسامح في حق نفسه إلى درجة التضيييع، ولا يتساهل في حق النظام والوقت، أو الأخلاق أو الحدود المرسومة.

فالعربي التبسي بحق (يعد من حيث التركيبة الطلائعية للجمعية، كالعمود الفقري من الهيكل البشري للإنسان، وهو الجزء الذي لا تستقيم البنية إلا به ولا تتماسك الأجزاء إلا من خلاله، إنه باختصار كان علامة بارزة في حركة الإصلاح ثابتا كالطود بأخلاقه وإيمانه وتوازنه وانصرافه عما يتهافت الآخرون عليه ماضيا لا يلوي على شيء في سبيل ما عقد العزم على إدراكه والبلوغ إليه، ولو يبقى وحده يقارع الخطوب، ويصارع الأهوال.)[2]

9- دخولـــه الســجن:

[1] أبو القاسم سعد الله: أبحات و آراء في تاريخ الجزائر، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ،1990، ص ص:67،66.

[2] حفناوي زاغز: (الإمام الشيخ العربي التبسي)، مرجع سابق، ص: 128.

ومثل هذا النوع من الرجال في ظل الوجود الاستعماري الفرنسي لا تتصور أن يكون في كامل حريته، بهذا فإن سيرته الإصلاحية ظلت تتخللها عديد العقبات التي يعمل الاستعمار على خلقها كي يعطل المسار الإصلاحي المنافي لتواجده، والمهدد لمصالحه، فالعربي المصلح كثيرا ما تعرض لمضايقات أوصلته السجن من ذلك ما حدث أثناء الحرب العالمية الثانية سنة: (1943م)، وهذا بدعوى تعامله مع الألمان ضد الوجود الفرنسي، وقد أطلق سراحه بعد أن مكث ستة أشهر، وكاد أن يحكم عليه بالإعدام لولا تدخل الشيخ البشير الإبراهيمي، والسيد فرحات عباس الذين اتصلا بالجنرال جيرو الفرنسي وأقنعاه ببراءته.

كما دخل مرة أخرى إثر حوادث: (الثامن ماي سنة 1945م) هو وجماعة من المصلحين منهم، محمد خير الدين، والشيخ السعيد الصالحي، والشيخ محمد المحفوظي، والشيخ محمد قاسمي، والشيخ على مرحوم... ليخرجوا منه سنة: (1946م) بعد صدور العفو العام عن المعتقلين ليرجع إلى تبسة ويواصل عمله الإصلاحي.

10 - انتقالــه إلى العاصمة:

وكان ذلك سنة: (1956م) حيث أغلق المعهد الباديسي في قسنطينة التي صارت منطقة حربية عاصفة على حد تعبير على دبوز، فقد انتقل الشيخ بأسرته واستقر هناك لتولي العديد من المهام على رأسها إدارة مكتب جمعية العلماء المسلمين بعدما رحل رئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي إلى المشرق، إضافة إلى المدارس والنوادي والمساجد المنتشرة في أنحاء الجزائر و التي كانت تحت إشراف الجمعية. وواصل دروسه في التفسير والوعظ والإرشاد بحي بلكور يلمح إلى وجوب الجهاد، و يدعو إلى تأييد الثورة الإسلامية المسلحة قصد تحرير الجزائر، إلا أن المدة التي قضاها الشيخ في العاصمة كانت قصيرة لم تتجاوز السنة حيث انتهت؛ وكانت في الوقت نفسه نهاية مشواره الإصلاحي باستشهاده، بعد أن خطف وقتل من طرف المستعمرين رحمه الله.[1]

11 - استشهــاده:

وقد جاء في قضية استشهاد الشيخ العربي التبسي ببلاغ من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ما نصه: (**في مساء يوم الخميس 04 رمضان 1376 هــ - 04**

[1] محمد دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 2، مرجع سابق، ص ص: 67،66.

أفريل **1957**م، وعلى الساعة الحادية عشر ليلا اقتحم جماعة من الجند الفرنسي التابعين لفرق المظلات سكنى فضيلة الشيخ الأستاذ الجليل الشيخ العربي التبسي، الرئيس الثاني لجمعية العلماء، والمباشر لتسيير شؤونها، وأكبر الشخصيات الدينية الإسلامية بالجزائر، بعد أن حطموا بعض نوافذ الأقسام المدرسية الموجودة تحت الشقة التي يسكن بها بحي بيلكور طريق التوت، وذلك شأنهم في اقتحام ديار المسلمين لا يأتونها غالبا من أبوابها بل من السطوح والنوافذ، لتتم حسب زعمهم المفاجأة، أو ليستتر الإرهاب والنكال، ثم طرقوا باب الشقة، ففتح لهم، وكانوا يرتدون اللباس العسكري الرسمي للجيش الفرنسي، ومسلحين بالأسلحة التي يحاربون بها الشعب الجزائري، والمدنيين المسلمين.

وقد وجدوا فضيلة الشيخ في فراش المرض الملازم له، وقد اشتد عليه منذ أوائل شهر مارس **1957**م، وأخذت نوباته تتوالى عليه –عنيفة- مرات في الأسبوع، فلم يراعوا حرمته الدينية، ولا سننه العالية، ولا مرضه الشديد وأزعجوه من فراش المرض بكل وحشية وفضاضة، ثم أخذوا في التفتيش الدقيق للسكن والملفات والكتب والرسائل بعد أن حجزوا العائلة، وفصلوا عنه أبناءه وبناته، واعتدوا بالضرب على أكبرهم، لما حاول مساعدة والده المريض، ثم أخذوا محفظته بما فيها، ثم أخرجوه حاسر الرأس، حافي القدمين، غير متدثر بأي شيء إلا لبسة المتفضل، ولكنهم أرغموه على ارتداء سروال ولده الإفرنجي ومعطفه، و كلاهما لا يصلح له لباسا لصغره.

وقد كان من المحقق لدى العائلة أنهم ذهبوا به إلى التحقيق معه، وإنما عومل هذه المعاملة لأنهم، لم يشاءوا أن يميزوه عن شعبه زيادة في النكال والاستفزاز، وكان هذا شانهم عند التحصيل على التفويضات الخاصة في مارس **1956**م وخصوصا منذ حجزت الجزائر إلى القائدين لفرق المظلات (ماسو) و (بيجار).

ولكن المفاجأة كانت تامة، عندما سئل عنه في اليوم الموالي والأيام بعده في الإدارة الحكومية المدنية والعسكرية والشرطية والعدلية فتبرأت كل إدارة من وجوده عندها أو من مسؤوليتها عن اعتقاله، أو من العلم بمكانه حتى وصل للإدارة العليا بمقر الوزير المقيم والوالي العام، فتظاهرت بإنكار العلم واستنكار الفعل، ووعدت بالبحث وقد بقيت المسألة كذلك إلى أن أرسل مكاتب جريدة (لوموند) الباريسية بخبر صغير نشر في زاوية مهملة يعلن فيها أن

رجال المظلات قد اعتقلوا الشيخ العربي التبسي وهو عضو هام في جمعية العلماء، وأنه تحت أيديهم لأجل الاستنطاق والتحقيق، وكان ذلك بعد يومين من اعتقاله، وإذا بشركة الصحافة الفرنسية، وهي رسمية تبادر بنشر بلاغ وإذاعته على العالم، تزعم فيه أن الشيخ اختطف من طرف مجهولين وأن وليه التجأ إلى الإدارة العليا، فبادرت بفتح بحث في القضية، انتج أنه اختطف من طرف مجهولين...)[1]

وإذا كانت هذه هي الملابسات التي غيب فيها الشيخ العربي التبسي، فإن الوثيقة ذا1تها ترجع سبب هذا الفعل الإجرامي إلى ما يمكن اختصاره في أن الشيخ الشهيد ظل إلى جنب الثورة، وظل موقفه صريحا منها*، زيادة على أن الفرنسيين حاولوا استعمال الشيخ حتى يطفئوا أجيج نارها ــ وهذا للمكانة التي يحتلها الشيخ في عيون الشعب الجزائري ــ فأبى أن يتكلم في الموضوع وكان في كل مرة يفوض الجبهة التحريرية لأنها الطرف الوحيد الذي يمكنه الفصل في هذا، وقد ورد في توضيح هذا ما معناه في الوثيقة نفسها: أنهم أرسلوا إليه في:(نوفمبر 1956م) كاتب الحزب الاشتراكي (م. كومان) ليتفاوض معه فرفض الشيخ، فكتم الاستعمار هذا الخبر ولم يصرح بالمقابلة.

ثم أرسلوا إليه في: (جانفي 1957م) مبعوث جريدة لومونود الباريسية ليحاول أخذ حديث منه ينشرونه فيما بعد، ثم يعلقون عليه بما يريدون فاعتذر له، ورفض مقابلته ويشير البيان نفسه إلى أن بعض رجال الحكومة الكبار في الإدارة الجزائرية حاولوا استدراج الشيخ لمقابلتهم، والتفاهم معه، فلم يمكنهم ذلك.[2]

---

[1] (بلاغ من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في قضية اعتقال الأستاذ الشيخ العربي التبسي الرئيس الثاني لجمعية العلماء، و مدير معهد ابن باديس،)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص: 150، 151.

[2] (بلاغ من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في قضية اعتقال الأستاذ الشيخ العربي التبسي الرئيس الثاني لجمعية العلماء، و مدير معهد ابن باديس،)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص: 151، 152.

ويرجع علي دبوز سبب اختطاف الشيخ وقتله إلى شدة عداوتهم له، ولجهاده الطويل في رفع راية الدين وإحياء الأمة الجزائرية فثارت عليه، ولما يعلمون من تأييده للثورة، ولحقدهم على المسلمين وجمعيتهم.

وقد كان اغتيال الفدائيين (لأفروجي) إحدى الشخصيات الفرنسية (رئيس بلدية بوفاريك) سببا في قتل الشيخ العربي، الذي رد به الجيش السري (اليد الحمراء) على الجزائريين.[1]

وإذا كان قتل الشيخ التبسي بعد مسيرته الإصلاحية الحافلة هو انتقام فرنسي من الجزائريين وثورتهم، وتعبير عن طبع الاستعمار الذي لا يفهم من الحياة إلا ما يخدم مصلحته ويشبع نهمه، فإنه لم يستطع القضاء على الثورة التحريرية التي كان منبعها أفكار مثل هذا الرجل وجهوده ونضاله. وقد ورد عنه قوله في الثورة والثوار: **(إنهم رجال تململوا وتحركوا وتبتت فيهم روح الحياة الحرة الجامحة التي تحطم أمامها كل متعرض مهما كان قويا، وتقدموا إلى الأمام ولا يتقهقرون أبدا إلى الخلف.)**[2] وقال أيضا: **(أيها السادة قضية انقلاب كامل لا قضية إصلاحات جزئية، قضية شعب يريد دولة وحكومة وديموقراطية صحيحة ودستورا يحقق سيادة الأمة كل الأمة لا يريد لقمة خبز تلقى لإسكات الجياع وحفنة من الرماد تذر في العيون.)**[3]

---

[1] ينظر محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج2، مرجع سابق، ص: 71.

و على هامش ملتقى ذكرى الشهيد الأديب أحمد رضا حوحو في جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، حدثني أحد المجاهدين و هو السيد: محمد حجار (ولاية الأوراس) عن استشهاد الشيخ العربي التبسي فقال: أنه كان من ضمن ضحايا الجنرال بيجار (قائد المظليين في الجيش الفرنسي) حيث احتجز العديد من رجال الحركة الوطنية المساندين للثورة التحريرية سنة 1957م ثم ألقى بجثتهم في البحر بعد أن وضع الإسمنت على أرجلهم، و سماهم بـ: **Les crevettes de bizarres**(كان الحديث يوم: 29 مارس 2006.)

[2] حسن عريبي: (استشهاد العربي التبسي ذكرى وعبرة)، أعمال الملتقى الوطني الأول حول الفكر الإصلاحي في الجزائر، 2003، ص: 70.

[3] حسن عريبي: (استشهاد العربي التبسي ذكرى وعبرة)، أعمال الملتقى الوطني الأول حول الفكر الإصلاحي في الجزائر، 2003، ص: 70.

وفي رده عن سؤال جريدة لوموند حين سأله متى انضممتم إلى هذا الموقف المتشدد؟

كان جوابه: (**أما كشخص فقد كان هذا موقفي دائما، وأما كجمعية فعزمنا هذا قد أعلنا عنه منذ يناير الأخير.**)[1]

كيف لا يقول مثل هذا الكلام؟ وكيف لا يتبنى مثل هذه المواقف؟ وهو الذي كرس حياته لأجلها ومات مناضلا في سببها!. وفعلا فقد مات وهو يحمل معه كراهية فرنسا كما قال يوما: (**يجب أن نضغن على فرنسا ونكره فرنسا ما دمنا أحياء، وإذا متنا فلنحمل معنا كراهية فرنسا إلى قبورنا.**)[2]

---

[1] المرجع نفسه، ص:70.

[2] عثمان شركيوة: (في ذكرى الشيخ العربي التبسي)، أعمال الملتقى الوطني الأول حول الفكر الإصلاحي في الجزائر، 2003، ص: 59.

الفصل الثاني/

الأشكال الكتابية، و الخصائص المضمونية في آثار العربي التبسي

1 - تمهيد.

2 – الأشكال الكتابية.

أ - المقال.

ب - الخطبة.

3- الخصائص المضمونية.

أ _ الالتزام في كتابات الشيخ.

ب- صورة الأنا والآخر في آثار الشيخ.

1- تمهيد :

يجدر _ أن نشير _ قبل تفصيل الكلام في أشكال الكتابة التي جاءت وفقها أدبيات العربي التبسي إلى تعريف الأدب، ثم نحدد مفهوم النثر كواحد من أقسامه، حيث يندرج تحت هذا القسم ما كان يكتب فيه هذا الكاتب من أنواع أدبية اصطلحنا عليها هنا اسم الأشكال الكتابية. وإذا كان من الصعوبة أن نقف على تعريف (شامل مانع) _ كما يقال _ للأدب فإنه بإمكاننا أن نقتحم هذا المفهوم على أساس أنه(تجربة شعورية في صورة موحية)[1]؛ أي أنه انعكاس لعاطفة

---

[1] سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشرق، القاهرة، 1990، ص:09.

الأديب وفق معطى فني يثير ما في المتلقي من عواطف ذات اتصال بذات العاطفة المنعكسة عن الذات المبدعة.

و الحق أن الأدب كتجربة، منبعها الإثارة وهدفها من الأصل نفسه فيها (الإثارة)؛ ماهيته أربعة حدود هي: الفكر (المعني)، العاطفة، الخيال، الأسلوب.[1] و تجلي هذه الحدود في أي عمل أدبي لا يكون وفق وتيرة تقنن عملية خلقه. و هيمنة حد معين في النص تحكمه مجموعة من المقاسات التي تفرض عملية الخلق الأدبي ذاتها، إضافة إلى ما يجب أن يتماشى مع النوع ثم الشكل الذي يختاره الأديب لإثارة مثل هذه العواطف والتي هي المغزى من عملية الإبداع هذه.

فالشعر مثلا تطغى عليه العاطفة؛ ويكون المنطلق فيها قوة الخيال حين ارتكازه على عملية الخرق، سواء على مستوى اللغة أم على مستوى الفكرة. وفي الغالب على مستواهما معا. بينما النثر الفني ــ خصوصا إذا تعلق الأمر بأشكال من مثل المقالة والخطبة ــ فيرتكز فيه الأديب على الفكرة التي لا تنفك تستعمل كلا من العناصر الأخرى ــ بحسب القدرة الإبداعية عند الأديب ــ لفرض نفسها.

أما الأسلوب، فهو ترجمة هذه التجربة الشعورية إلى فعل لغوي يتراوح بين المباشرة والتعقيد حسب ميل الأديب بين المعنى والعاطفة.ومن ثمة فإن الأدب تعبير يتناول تجربة شعورية منبعها حقائق علمية بحتة.[2] ومن حيث توقفت أبدأ بطرح مجموعة من الأسئلة العالقة بماهية الأدب. هل بمقدور العمل الأدبي أن يعطينا حقائق عقلية و يناقش قضايا فلسفية أو أي شيء من هذا القبيل ؟ و إذا لم

---

[1] ينظر، أحمد أمين: النقد الأدبي، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1983، ص ص: 20-56.

[2] سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، مرجع سابق، ص: 10.

يكن كذلك حسب ما تروج له (مدرسة الفن للفن) فهل هذا يعني أن لا غاية له ؟ أم أنه غاية في ذاته كما تذهب المدرسة ذاتها ؟

إن طرح هذه الأسئلة لا يعني الإفاضة في مناقشتها بقدر ما سيجعلنا نحدد المنطلق الذي نبني عليه ما سيتم دراسته، والتعليق عليه من خلال هذه الدراسة.

ولما كنا سنتناول جانبا نثريا من الأعمال الأدبية، فسأحاول الوقوف على ماهية هذا القسم وتعريفه:

جاء في لسان العرب: النثر الشيء بيدك ترمي به متفرقا مثل نثر الجوز واللوز والسكر، وكذلك نثر الحب إذا يبذر. وهو النثار وقد نثره نثرا...

ورجل نثر بين النثر، و منثر كلاهما كثير الكلام. والأنثى نثرة فقط.[1]

يتضح من الكلام السابق الفرق بين الدلالة المعجمية للكلمة وأصلها في اصطلاح الفنون الأدبية، خصوصا إذا تعلق الأمر بكون النثر هو أن ترمي بالشيء متفرقا؛ فالمنثور من الكلام وإن لم يكن موزونا فيه من الاتساق والانسجام ما يضمن له الترابط بين المفردات داخل الجمل، وبين الجمل في الفقرات، كذلك بين الفقرات في النصوص وهكذا... ولا يشترط في النثر الطول والقصر، بل إن الشكل الذي يأتي عليه (النثر) هو الذي يتطلب هذا أو ذاك. فمنه المصنف على طوله ومنه أيضا: الحكمة والمثل وكلاهما غاية في الإيجاز. وقد كانت العرب قديما تؤخره عن الشعر، حتى إن كتابهم كانوا يمارسون النثر الفني دون وعي واضح دقيق لمزية الفن المتوفرة في كتاباتهم.

وعثمان بن بحر الجاحظ من الذين انتبهوا إلى قيمة النثر البلاغية المتصلة بنقل المعاني حيث يقول: (**فقد صح أن الكتب أبلغ في تقييد المآثر عن الشعر**)،[1] ويقصد بالمآثر فكر السابقين من الأمم.

---

[1] ينظر، ابن منظور: لسان العرب، م14، ط3، دار صادر بيروت، لبنان، 2004 ،، ص: 188.

2– الأشكال الكتابية:

لَمَّا كان العربي التبسي رجل فكر، و إصلاح بالدرجة الأولى، فقد كانت كتاباته من هذا القسم الأدبي الذي اصطلح عليه باسم النثر، بل من أنواع النثر الأكثر اهتماما بالفكر الذي بدا مهيمنا على سائر العناصر الأدبية الأخرى في مثل هذه النصوص والتي نسميها مقالا أو خطبة، و إنما تأتي صلة آثاره بالأدب من خلال ثقافته ذات المنابع التراثية بالمفهوم الواسع للتراث بما في ذلك الأدب شعره و نثره، و أيضا من خلال صلته بالحركة الإصلاحية التي هي جزء من الحركة الوطنية الجزائرية، و من حيث أن هذه الحركة الإصلاحية تمتد في ثقافتها إلى التراث العربي بكل أنواعه، و هو سندها الفكري و اللغوي

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان، شرح و تحقيق يحيى الشامي، م1، ط2، دار و مكتبة الهــلال، بيــروت، لبنان، 1990، ص: 51.

و التعبيري ، و الأهم من ذلك كله أن صلة آثار العربي التبسي بالأدب إنما تتجلى من خلال الأسلوب الذي هو مزج نوعي بين ما في الفكرة و اللغة، لذلك سمينا دراستنا هذه بــ(ثار العربي التبسي دراسة فنية)، و على كل حال فإن نوع اللغة بداية من المفردات إلى الجمل إلى صياغة المقالة أو ارتجال الخطبة أو كتابتها هي المعيار في مدى علاقة هذه الآثار بالأدب ، أم بغيره من أنواع الكتابة.

أ- المقـــالة:

كلمة مقال قديمة في الاستعمال اللغوي،[1] لكن التطور الفكري الحديث قد أفاض عليها معنى اصطلاحيا جديدا، وأكثر ما تعنيه اليوم هو كونها (**قطعة**

---

1 جاء في لسان العرب: قول، القول: الكلام على الترتيب وهو عند المحقق كل لفظ قال به اللسان، تاما كان أو ناقصا، تقول قال يقول قولا، والفاعل قائل والمفعول مقول؛ قال سبويه: وأعلم أن (قلت) في الكلام العربي إنما وقعت على أن تحكي بها ما كان كلاما لا قولا، يعني بالكلام الجمل كقولك. زيد منطلق، وقام زيد، ويعني بالقول الألفاظ المفردة التي ينبني الكلام منها... فأما تجوزهم تسميتهم الاعتقادات و الآراء قولا، فلأن الاعتقاد يخفى ولا يعرف إلا بالقول، أو بما يقوم مقام القول من شاهد الحال، فلما كانت لا تظهر إلا بالقول سميت قولا، إذ كانت سببا له، وكان القول دليلا عليها،

نثرية موجزة محتفل بها في موضوع يستوفيه الكاتب أو ينجمه على مقالات تستوعب الواحدة جانبا منه في أسلوب حسن وبعبارة بليغة وألفاظ منتقاة، وتعبر عن وجهة نظر كاتبها.)[1]

ويذهب العديد من النقاد إلى الإقرار بأن تعريف المقالة ظل حتى اليوم يطرح إشكالا جراء انسياق النقاد وراء التعاريف من زواياهم الخاصة، أو رصدها من عدة زوايا متغيرة ناظرين إلى مجال أو عدة مجالات من مجالاتها متأثرين بسمات مقالات مرحلتهم الزمنية، فكل التعاريف مهما حاول الدارس تتبعها سيجدها دالة على:

- التشابك في التعاريف القديمة والحديثة، ثم الغربية والشرقية العربية.
- الخلط بين المقال الصحفي والمقال الأدبي ومقال الخاطرة، مثلما حدث بالنسبة للقصة والرواية في الأدب العربي الحديث جراء الخلط بين الأصالة والتقليد والاستيراد.
- إضافة إلى الاختلاف في شكل المقال وحجمه من حيث الطول و القصر.[2] والحق أننا اعتمدنا التعريف السابق على الرغم مما تطرحه الساحة النقدية من خلاف لتناسبه مع ما كان يكتبه الشيخ العربي التبسي، فمقالاته فيها القصيرة والمتوسطة والطويلة وكذلك حتى المتسلسلة حيث يمكن أن تُكَوِّنَ كتابا، إضافة إلى دقتها شكلا وخصوبتها من حيث المعنى

كما يسمى الشيء باسم غيره إذا كان ملابسا له، وكأن القول دليلا عليه، فإن قيل: كيف عبروا عن الاعتقادات والآراء بالقول ولم يعبروا عنها بالكلام، ولو سووا بينها أو قلبوا الاستعمال فيهما كان ماذا؟ فالجواب أنهم فعلوا ذلك من حيث كان القول بالاعتقاد كان أشبة من الكلام وذلك أن الاعتقاد لا يفهم إلا بغيره، وهو العبارة عنه، كما أن القول قد لا يتم معناه إلا بغيره... وإذا جاز أن يسمى الرأي بالاعتقاد قولا، وإن لم يكن صوتا. كان تسميتهم ما هو أصوات قولا أجدر بالجواز... والجمع أقوال وأقاويل جمع الجمع؛ قال يقول قولا وقيلا و قولة ومقالا ومقالة... (ينظر، ابن منظور: لسان العرب، م12، ط3، دار صادر ، بيروت، لبنان، 2004، ص: 221.)

[1] عبد القادر رزق الطويل: المقالة في أدب العقاد، مرجع سابق، ص ص: 33، 34.

[2] ينظر، محمد زغنية: فن المقال في كتابات أبي اليقظان، مرجع سابق، ص ص: 10،11.

الهادف الذي يتوضح في انتقاده للمجتمع وتبيين ما أحاط به من فساد و مظالم أو محاسن.

و لقد قسم النقاد المقال إلى ذاتي وموضوعي، ومن هذين القسمين يتفرع المقال إلى عدة أنواع، بحسب الموضوع الذي يعالجه.* أما الذاتي فيرجع إلى البناء القائم على التأمل العميق، والتجربة الذاتية والتأنق في الأسلوب، بحيث يتوافر له كثير من ملامح الجمالية. بينما الموضوعي نجده ينبنى على العناية بالمضمون والمحتوى، ويعنى فيه الكاتب بالموضوعات العلمية، لتقديم النصح والإرشاد إلى طبقة خاصة من الناس.[1]

وبربط هذا الكلام بما هو موجود لدى الصحافة الجزائرية الإصلاحية قبل الثورة، وخصوصا إذا تعلق الأمر بكتابات العربي التبسي، نجد أنه يمكن تصنيفها ضمن هذا النوع الثاني الذي يصطلح عليه النقاد اسم الموضوعي، فكتاباته موجهة لطبقة اجتماعية، والهدف منها هو الإصلاح ومحاربة البدع والخرافات، أو الدعوة إلى التمسك بالشخصية الوطنية التي نتميز بها عن الفرنسيين.

أما من الناحية الشكلية فأسلوبه عموما (**لا يخرج عن الأساليب العتيقة ومزاوجتها بالأساليب الحديثة لأنه يميل إلى الأخذ بالأصالة والمعاصرة ويبتعد عن التعقيد والوضوح المسف، كما يهتم بالشكل والمضمون مراعاة لمقتضى الحال والتزام القواعد النحوية والتنويع في الأسلوب بين الشدة واللين والجد والهزل والتصوير والمباشرة.**)[2] الشيء الذي جعل مقلاته متنوعة الخصائص، وسنسعى إلى توضيح بعضها و بخاصة تلك التي نجد فيها

---

* و أنواع المقال عند العربي التبسي حسب هذا التقسيم يمكن إدراجها تحت اسم المقال الإصلاحي، بشكل عام، على أن الإصلاح عنده شمل الجوانب الدينية و الثقافية و السياسية، فالكتابة عنده في هذا الشكل تشمل المقال الاجتماعي والمقال السياسي والديني...

[1] ينظر، عبد اللطيف حمزة: المدخل في فن التحرير الصحفي، ط4، دار الفكر العربي، د ت، ص:255.

[2] محمد زغينة: فن المقال، مرجع سابق، ص: 14.

سبيلا إلى الجوانب الأدبية من حيث التعبير و ذلك بعد الحديث عن الشكل الثاني المتضمن في آثاره.

ب - الخطبة:

وهي ثاني الأشكال الأدبية التي ميزت كتابات الشيخ العربي التبسي، وإن كان المقال كما تمت الإشارة إليه، قد طرح إشكالا من الناحية المفهومية في ساحة النقد الأدبي، فإن الخطبة*وبإجماع الدارسين في القديم والحديث لا تخرج أن تكون (مشافهة الجمهور وإقناعه و استمالته)،[1] و قد عرفها علي محفوظ في كتابه فن الخطابة بأنها:(مجموع قوانين يقتدر بها على الإقناع الممكن في أي موضوع يراد)،[2]مشيرا في السياق ذاته إلى أن هذا التعريف ليس بعيدا عما جاء به أرسطو منذ القديم، حيث قال: (هي قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأشياء المفردة)؛[3]أي أنها ملكة إقناع المخاطب في إي أمر يدعي المخاطب أنه صحيح.

ومن ثمة فإن غاية الخطابة هي الحصول على قوة التمكن من الإقناع قصد إرشاد الناس إلى الحقائق، وحملهم على ما ينفع في العاجل والآجل.

أما من حيث التقسيم فقد ذهب أرسطو إلى أنها ثلاثة أنواع طبقا لأصول الزمان فهي: تبيينية أو بيانية، إن اختصت بالزمن الحاضر، مدح فترغيب، أو ذم فتنفير، أو شورية إذا تعلقت بالمستقبل لحمل السامعين على جلب النفع للأمة أو دفع الضرر عنها، وإما قضائية في حال ارتباطها بالماضي؛ وهذا قصد الدفاع عن متهم لتبرئته أو الحكم عليه بإدانته.

---

* الخطابة في اللغة مصدر كالخطاب وتفيد توجيه الكلام نحو الغير للإفهام.

[1] أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة،نهضة مصر العربية، القاهرة، مصر، 2001، ص: 5.

[2] علي محفوظ: فن الخطابة وإعداد الخطيب، مكتبة رحاب، الجزائر، دت، ص: 13.

[3] علي محفوظ: فن الخطابة وإعداد الخطيب، مرجع سابق، ص: 14.

إلا أن هذا التقسيم لم يلبث أن تجاوزه الزمن نظرا للتطور الحاصل في الحياة، وتعقد المعيشة المدنية والسياسية والدينية، وصار اعتماد التقسيم ناجما عن موضوعات الخطابة والمواقف الداعية إليها، فهي: علمية، وسياسية، وقضائية، وعسكرية، ودينية...[1]

ومن هذا نفهم أن تقسيم الخطابة صار على النسق نفسه الذي تمت الإشارة إليه في تقسمينا للمقال. وإذا تعلق الأمر بتصنيف خطب الشيخ العربي التبسي، فهي تنطلق من الثقافة العربية الإسلامية، يتفرع عنها ما هو ثقافي علمي، وما هو ديني واجتماعي بحسب التنوع في الأغراض والمواقف، وهذا ما يوضحه الرسم:

(شكل رقم:2) تنوع مواضيع الشيخ العربي و أهدافها.

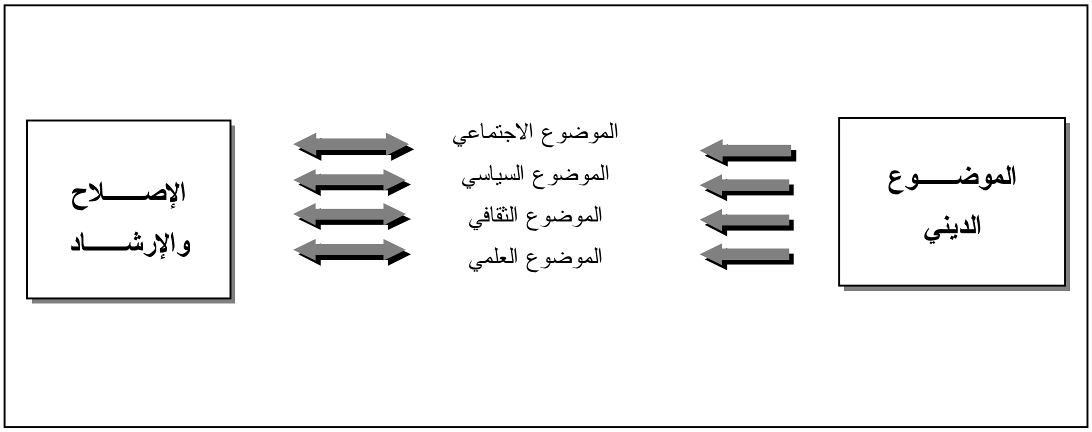

فالمخطط يوضح أن المنطلق واحد والهدف واحد كذلك على الرغم من التنوع في الموضوعات التي استلزمها المنطلق وهي من صميم الهدف،

---

[1] المرجع نفسه، ص، 69.

و إلياء الحاوي: فن الخطابة و تطوره عند العرب، دار الثقافة ، بيروت ، دت ، ص ص: 23-25.

الشيء الذي يجعلنا نختزل هذه الأنواع على اختلافها فيما نسميه بالخطابة الإصلاحية.

وبذلك نكون قد سلمنا حتى الآن بأن أشكال الكتابة عند الشيخ العربي التبسي هي: المقالة و الخطابة ــ وإن كان الأصل في الخطابة المشافهة، فنحن وجدناها نصوصا مكتوبة ــ و كلها تندرج بشكل عام تحث ما أسميناه بالكتابة الإصلاحية.

ولأننا نتعامل مع خطب العربي التبسي كنصوص مكتوبة نشرتها الصحافة الإصلاحية في ظل نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قررت من حيث الدراسة جمعها إلى جنب المقال فدرستهما معا أكانت هذه الدراسة مضمونية أم أسلوبية، ولتوضيح أكثر يمكن القول إن دراسة آثار الشيخ جمعا و على الرغم من اختلافها بين المقالة و الخطابة ليس من باب الخلط بينهما، و إلا فلما انتقلنا من تعريف الأدب حتى وصلنا إلى مفهوم كل جنس أدبي (المقالة والخطبة) على حدة. لكن إدراجهما تحت اسم "كتابات" ودراستهما في آن واحد، له مبرراته، وتتمثل هذه المبررات في نقطتين اثنتين أولهما: النبرة الخطابية التي تهيمن على أسلوب العربي في مقالاته، وثانيهما: كون النصوص الخطابية التي اعتمدناها مكتوبة ولذلك صار كل جنس يحمل من خصائص الآخر ما يجعله في الخانة نفسها، إضافة إلى أن لهما المنطلقات والغايات (الأهداف) نفسها على نحو ما شرحت في المخطط السابق أثناء حديثي عن تصنيف خطب الشيخ العربي.

والتداخل بين الخطبة والمقال بدا واضحا في نظر النقد العربي القديم إن نحن سلمنا بأن الرسائل هي الأقرب إلى شكل المقال في كتاباتهم، ومن هذا ما ذهب إليه أبو هلال العسكري في كلامه عن الشعر والنثر: (فعنده أن الرسائل والخطب متشاكلان في أنها كلام لا يلحقه وزن ولا تفقيه، وقد يتشاكلان أيضا من جهة الألفاظ والفواصل، فألفاظ الخطباء تشبه ألفاظ الكتابة، في السهولة والعذوبة وكذلك فواصل الخطب، مثل فواصل الرسائل، ولا فرق بينهما إلا في الخطبة يشافه بها، والرسالة يكتب بها، والرسالة

تجعل خطبة والخطبة تجعل رسالة، في أيسر كلفة، ولا يتهيأ مثل هذا كذلك في الشعر من سرعة قلبه وإحـــــالته إلـــــى الرســــائل بتكلف.)[1]

وقد عرض القلقشندي للتعليق على مذهب أبي هلال في صبح الأعشى بقوله: **(إن الخطب جزء من أجزاء الكتابة ونوع من أنواعها، يحتاج الكاتب إليها في صدور بعض المكاتبات، وفي المبيعات والعهود والتقاليد والتفاويض وكبار التواقيع والمناشير... و المعقول أن الذي يحسن إعداد الخطبة يحسن بسهولة إنشاء الرسالة.)**[2]

و على هذا الأساس فقد تم الجمع بين مقالات العربي التبسي وخطبه دون الفصل بينهما في الدراسة إلا من خلال الإشارة التي يتطلبها منهج البحث في بعض العناصر سواء كانت من حيث الموضوعات في هذا الفصل، أم من حيث الخصائص الأسلوبية في الفصل اللاحق.

و عناصر مثل هذه الكتابات (المقالة والخطبة): المضمون والمنهج إضافة إلى الأسلوب وحديثنا عنه هو الفصل الثالث كما أشرنا في تفصيل خطة البحث.

أما المضمون فهو المادة الفكرية شعورية كانت أم علمية يهدف الكاتب أو الخطيب إلى عرضها من خلال المنهج، فلا كاتب يكتب أو خطيب يرتجل من فراغ دون هدف، فكل من المقالة والخطبة هما رسالة يقصد بها المتلقي، والرسالة تحمل فكرة أو أفكارا تمثل وجهة نظر، ولا نتصور وجود مقالة أو خطبة دون فكرة مهما كان مستواها، ويشكل الكتاب والخطباء أفكارهم من تجاربهم وتجارب الآخرين في الحياة، ومن خلال ثقافتهم العامة وتعليمهم وقراءاتهم المستمرة.

---

[1] زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع، ج1، منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت، لبنان، د ت، ص ص: 24، 25.

[2] هامش المرجع نفسه، ص29.

وعنصر الفكرة أساسي في هذين الجنسين فهو الذي يجعل لها معنى، ويحدد الهدف منها. لكن لا نتوقع أن تقوم المقالة أو الخطبة بعرض أفكار عميقة معقدة بعيدة عن التناول. فالجنسان يركزان على فكرة محددة لتوضيحها وإعطاء صورة عنها.[1]

بينما المنهج فمنطلقه التمهيد للتعريف بالموضوع، أو الإشارة إليه، أو التنبيه إلى فكرته الرئيسية، ويجب أن تشمل المقدمة على جملة محورية Topic Sentance تحوي الفكرة الرئيسية التي سوف يتم مناقشتها، وقد تكون هذه الجملة الشاملة في أول النص غالبا و قد ترد في منتصف المقدمة، و يجوز تأخيرها بحيث تختم بها فقرة المقدمة و غاية هذا القسم من النص المقالي أو الخطابي هو تهيئة القارئ للموضوع، و إعطاؤه فكرة عامة عنه ويستحسن أن تشتمل على إثارة اهتمام أو استغراب المتلقي حتى ينجذب إلى النص قراءة أو إصغاء.[2]

ففي مقال العربي التبسي:**(الجزائر تصيح بك أيها الجزائري أينما كنت)** تطالعنا المقدمة بقوله: **(عقيدة محبة الوطن نشأت من صلب طبائع البشر، ونمت بنمو الإنسان، وتطورت بتطوره، وقويت بقوته، وضعفت بضعفه).**[3]

فالعبارة إشارة إلى مضمون " الفكرة المحور " في النص أو ما يعرف بالفكرة المسيطرة (Controlling idea). وقد بدت عبارات الفكرة مترابطة تخدم المعنى الواحد المتمثل في حب الوطن، فقد نشأ ثم ينمو، وبعدها يتطور ويقوى ثم يصير إلى الضعف.

---

1 ينظر، صالح أبو أصبع، محمد عبد الله: فن المقالة، أصول نظرية، تطبيقات، نماذج، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2001، ص:25.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص ص: 28،29 .

[3] العربي التبسي: (الجزائر تصيح بك أيها الجزائري أينما كنت)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 59.

ومن الشروط التي يجب مراعاتها في المقدمة:

1- اشتمالها على الفكرة المسيطرة.

2- يفضل أن تكون في بداية النص: لأن كتابة فقرة تشرح فكرة رئيسية أسهل من كتابة الأجزاء لتقود إلى تلك الفكرة.

3- الفكرة المسيطرة هي الجزء الأساسي في صلب الموضوع.

4- يجب تجنب حمل الموضوعات ذات النهاية المغلقة التي يعوزها الفكرة المسيطرة ولا تقود إلى أي اتجاه، فلكي نطور جملة الموضوع يجب أن نختار جملا متشعبة أو ممتدة قابلة للتطور والتفصيل، فالجملة المغلقة يصعب إتمام الكلام بعدها.

5- يجب تجنب صيغة السؤال الصريح أو التنبوء في جمل الموضوع، لكن يمكن اللجوء إلى ما يثير الاستفهام الضمني لإثارة الاهتمام والانجذاب، أو استخدام السؤال بأسلوب ملائم، كي لا تبدو المقالة أشبه بأوراق الاختبارات.[1]

وإن كان الكلام السابق ألصق بفن كتابة المقال، فإنه أصلح للخطابة فن مواجهة الجمهور ومشافهته، والحق أن خطب الشيخ الإمام العربي التبسي فيها ما يتوافر على كثير من هذه النقاط، و فيها كذلك ما يختلف عنها نظرا لتحرر الشيخ الكاتب من هذه المقاسات، وتقيده بما يتطلبه الموقف الذي يكتب أو يخطب منه.

و من هذا مقدمة خطبته التي عنوانها (**جمعية العلماء وواجب الوعظ والإرشاد**) جاء فيها: (**الحمد لله الذي أحيا هذه الأمة بعد أن قال الناس عنها: حضر أجلها أو كاد**

[1] ينظر، صالح أبو أصبع، محمد عبيد الله: فن المقالة، أصول نظرية، تطبيقات، نماذج، مرجع سابق، ص: 31.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جعل النجاة في الاهتداء بهديه، والهلاك في إيثار رأي غيره.)[1]

فالمقدمة على شدة إيجازها، يبدو الإمام فيها غير متقيد بالجاهز من المقدمات الذي اعتاد الخطباء البدء به، زيادة على أنه طرح الإشكال بطريقة غير مباشرة ففكرته المسيطرة جاءت آخر المقدمة وهي قوله: **(الذي جعل النجاة في الاهتداء بهديه والهلاك في إيثار رأي غيره.)**

فالرسول هو أكثر الناس خدمة للدين الإسلامي، و من ثمة فهو نموذج الإرشاد ونموذج الوعظ والإصلاح. و خطبة الإمام كما هو واضح من العنوان، موضوعها هو الدعوة إلى الإقتداء بهذا النموذج من خلال الانتساب لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ومن الكلام السابق نفهم أن الشيخ العربي كان موفقا في استغلال المقدمة التي افتتح بها خطبته، وإن كان قد تمرد فيها على بعض شروط كتابة المقدمات، كما سبق وأن عرضناها في الطرح السابق، مثلما نجد أنه استوفى بعضها، وهذا في إطار ما يخدم نصه الخطابي كموضوع يحتوى على فكرة وليس كنص يتمثل في فن الخطابة ويتميز عن المقال، و في هذا شي من الجمالية الخطابية.

وعلى مثل الخطبة تطالعنا مقدمة مقاله: **(الجزائر تصيح بك أيها الجزائري أينما كنت)** بما يلي:

(عقيدة محبة الوطن نشأت في صلب طبائع البشر، ونمت بنمو الإنسان، وتطورت بتطوره، وقويت بقوته، وضعفت بضعفه، حتى أنك لو أخذت لتفصل بينها وبين مقومات

[1] العربي التبسي: (جمعية العلماء و واجب الوعظ و الإرشاد)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص:22.

الإنسان لتضعه بعيدا عنها، لم تجد في صناعة الجدل وما يعضد لك صنيعا، أو يقدم سببا لدعواك.)[1]

و قد جاءت الجملة المحورية في مطلع النص، لاشتمالها على ما يعرف بالفكرة المسيطرة، إذ أنها تلخيص للفكرة الرئيسية التي يقوم الإمام بمناقشتها فيما بعد وتتمثل في حب الوطن الذي يتطلب العمل الجاد والمستمر قصد النهوض بكيانه المرتكز على الدين واللغة العربية والتاريخ...

و المقدمتان نموذج عما كان العربي التبسي يستهل بها كتاباته فتكون مدخلا إلى مواضيعه لشد انتباه المتلقي، وجعله يتأهب لتقبل الأفكار التي سيقدمها في صلب هذه الموضوعات، فالكاتب كالشاعر على حد تعبير إيلياء الحاوي: (**لا يؤثر في السامع إلا إذا وفق في تخديره، وبث الغفلة والذهول في قواه المدركة حين يتقبل المعاني والأفكار وينفعل بها، ويتصرف بتأثيرها تصرفا يوافق هواه.)**[2]

وانتقاء المقدمات دليل على امتلاك الأديب لناصية الكتابة و القول، وحاسة التوصيل المقنعة، ولذلك كان كبار الكتاب والخطباء يبدؤون بالمقدمات التي تستثير القارئ وتجذب انتباهه، وتنزع به من حال إلى أخرى لأن نجاح النص وفشله يتوقفان عليها.[3]

ولهذا كثيرا ما يصطنع الكتاب والخطباء مقدمات عاطفية ينطلقون فيها من التعبير عن مشاعرهم لإثارة مشاعر متلقيهم، إلى أن يستوي لهم النص ثم يخلصون (**إلى المنطق والتحليل والتعليل والإتيان بوسائل الإقناع لأن التعبير الفني كثير التقمص والتحول يترح من الوضوح إلى الغموض ويوجد بين باعث جلي وبواعث أخرى بعيدة الغور في النفس لكنه في تلك الأحوال جميعا ليس إلا تمثيل خارجي مادي للظلال والتجارب**

---

[1] العربي التبسي:(الجزائر تصيح بك أيها الجزائري أينما كنت)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص:59.

[2] إيلياء الحاوي: فن الخطابة وتطوره عند العرب، مرجع سابق، ص:19.

[3] ينظر، محمد زغينة: فن المقال في كتابات أبي يقظان، مرجع سابق، ص ص: 28، 29.

المعنوية التي يعانيها الإنسان، فيما يحاول أن يحقق ذاته، وواقع وجوده الأسمى، ولذلك تكون المقدمة أكثر من ضرورة فيما يكون المتلقي عازما على التلقي.)[1] وهذا ما كان يقوم به الإمام الشيخ، والعديد من كتاب الحركة الإصلاحية في جمعية العلماء المسلمين،[*] بعد أن فهموا نفسية متلقيهم وأدركوا أهمية المقدمات في تهيئة نفوس المتلقين، فالمقدمة هي التي تجعل القراء يحكمون على النصوص بالموت أو الحياة.

ومما نمثل به لهذا النوع من المقدمات ما قدم به لمقالته التي عنوانها **(دين في ذمة الأمة يقضى)** يقول: **(إذا قال جيراننا بالقطرين الشقيقين: المغرب وتونس، وقال إخواننا في الشرق: إن الأمة الجزائرية جعلت من وطنها مقبرة للعلوم الإسلامية واللغة العربية، فما ظلموا الجزائر في الجملة، إذ أنهم الأقطار العربية يفد عليهم أبناؤنا على مختلف أسنانهم صغارا، وكبارا، وعلى اختلاف درجاتهم العلمية ابتدائية وثانوية لطلب العلوم على اختلاف فنونها، دينية ولغوية ورياضية.)**[2]

فهذه المقدمة عاطفية وجدانية تجعل القارئ الجزائري يحس بالغيرة على وطنه ولغته ودينه وهو ما يثير فيه الحماس ويدفعه إلى العمل من أجل تحقيق ما يخدم هذه القيم داخل بلاده، حتى يكون في مستوى جيرانه بالقطرين الشقيقين: المغرب وتونس، ومستوى إخوانه العرب في المشرق العربي، بعد دفعه للتساؤل عن السبب، وعن وسيلة المقارنة التي اهتدى بها الكاتب إلى هذا الحكم، وهو الشيء الذي يجعل المتلقي شديد الحرص على متابعة قراءة المقال واستكشاف ما يصل إليه من نتائج أو يقدمه من حلول.

---

[1] المرجع نفسه، ص: 29.

[*] و منهم: عبد الحميد بن باديس، محمد البشير الإبراهيمي، أبو اليقظان، مبارك الميلي، الطيب العقبي، الهادي السنوسي، محمد السعيد الزاهري ... و غيرهم.

[2] العربي التبسي: (دين في ذمة الأمة يقضى)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص ص: 149، 150.

ومن المقدمات أيضا ما افتتح به كلامه في الذكرى الثانية عشرة لوفاة الأستاذ الإمام عبد الحميد بن باديس: (**إن الرجال لا تسجل أنسابهم ولا صورهم ولا أموالهم في سجل الإنسانية وشرائعها ورجالها، وإنما تسجل عقائد الذين غرسوا عقائدهم في نفوس الناس، وإنما تسجل أعمال الذين أخرجوا الناس من فوضى اجتماعية إلى نظام اجتماعي توارثته الإنسانية بعدهم، إنما تسجل عبقرية أولئك الذين حاموا على الإنسانية حين امتهنت واعتدي عليها فراعنة العنصرية، وجبابرة القوة المادية، وإنما تسجل المبادئ التي تفئ إلى ظلها الإنسانية حين تطغى على الإنسانية الجوائح التي تجتاح الناس بسوط عذابها ولهيب نيرانها).**[1]

فقوة العاطفة في هذه المقدمة منبعها النزعة الإنسانية ذات البعد الأخلاقي الذي فيه تعلو الروح على المادة، وتجعل المشتغل عليها صاحب مقام عال يشهد له التاريخ، وتقدس مكانته من خلال الدور الذي يلعبه في النهوض بنفوس الناس ونظمهم الاجتماعية، وحمايتهم من الظلم والطغيان والعنصرية وكل أساليب القهر التي عرفتها المجتمعات.

إضافة إلى هذه المقدمات المثيرة حينا والموحية حينا آخر، هناك مقدمات جاءت في شكل تعاريف للمواضيع التي يريد الشيخ الإمام الخوض فيها ومن مثل هذا، المقدمة التي بدأ بها موضوعه الذي عنوانه: **(الإرشاد العام)** يقول:(**الإرشاد اسم يدل ويفهم ما يفهمه قول النبي صلى الله عليه وسلم «الدين النصيحة» فلنعتبر أن لفظ الإرشاد يساوي لفظ النصيحة، والنصيحة قد حصر فيها الدين حصرا يكاد يكون حقيقيا.**

وإن لاسم الإرشاد في لغة العرب، من صحة الإطلاق على ما يعم جميع المنافع والخدمات الإنسانية، ما نجده في كل معاجم اللغة.

ذلك أن هذا اللفظ في لغة العرب مصدر أرشد، إذا نصح ودل على خير، وهو ضد أغوى... فيكون الإرشاد إذن متناولا لكل ما ينفع، وأنواع النفع كثيرة، تتناول ما ينفع البدن

---

[1] العربي التبسي: (الذكرى الثانية عشر لوفاة الأستاذ الإمام عبد الحميد بن باديس)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص ص: 149.

في إقامة الحياة، وطرق المعايش، وما يقدم العقل وينوره وينصحه ويزكيه، وفي زكاة العقل زرع الأخلاق الفاضلة، وبث الآداب الطاهرة، فبالإرشاد الحق من المرشدين البصراء ذوي النيات الصادقة، استقامت الحياة البدنية على أسس متينة قوية، وتثقفت العقول بالثقافتين الدينية الملقاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والثقافية الدراسية المأخوذة عن أهلها من علماء الإنسانية.)[1]

وميزة هذا النوع من المقدمات تكمن في الإحاطة بماهية الموضوع قبل الخوض في تحليله وتجلية عناصره، فالمقدمة انعكاس لنظرة الشيخ إلى الإرشاد إضافة إلى دلالتها على ثقافته المركزة ومنهجيته في تناول الموضوعات وهذا ما يبينه التدرج في الطرح، الذي كان منطلقه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة)، وبعد جمعه بين مفهوم النصيحة والإرشاد، انتقل إلى تحديد مدلول الكلمة اللغوي كما جاءت عليه في القاموس، ليصل في الأخير إلى ضرورة الإرشاد وأهمية الدور الذي يقوم به المرشدون في حياة الناس، ومثل هذا الكلام الذي جاء مقدمة لهذا النص، جدير بأن يلفت انتباه القارئ ويشده إلى تتبع كل ما جاء فيه من أفكار.

وهنالك أيضا من المقدمات الوجدانية ما جاء تنويها أو مدحا، وهذا في مثل ما بدأ به كلامه في المقال الثاني من جريدة السنة في عددها الثاني الصادر يوم17 أفريل سنة: (1933) يقول فيه: (**إني أحمد الله أن أعان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فتغلبوا على الصعاب الكثيرة التي قامت في وجوههم، وغالبوا الظروف القاسية وقاهم ربهم بحبهم لدينه ونشر سنة نبيه محمد صلى على الله عليه وسلم على إصدار صحيفة سنة حقا مهمتها من أجل المهمات وغايتها من أنبل الغايات وعملها من أشرف الأعمال.)**[2]

1العربي التبسي: (الإرشاد العام)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص: 24.

2 العربي التبسي: (هذه جريدة السنة يا أهل السنة)، ع2، 17 أبريل 1933، درا الغرب الإسلامي بيروت، 2003، ص:2.

والحق أن هذه المقدمة تشعر القارئ لها أنه أمام خطيب وليس أمام كاتب مقال وبهذا نفهم أن العربي التبسي لم يكن يعطي الأهمية للشكل الفني من حيث تلك الخصائص التي تميزه عن غيره من الأشكال الأخرى، وإن كانت قريبة من حيث اشتراكها في بعض الخصائص، وهو الشيء الذي يؤكد تداخل الخطابة مع الكتابة المقالية عند الرجل. إلا أن المقدمة وكما يبدوا، الغاية منها الإثارة ودفع المتلقي إلى القراءة بتركيز عن طريق استغلال العاطفة الدينية. و هو الشيء الذي يفسره عنوان المقال: **(هذه جريدة السنة يا أهل السنة)**، فهو يشعر القارئ المسلم باستعماله هذا النداء في العنوان قبل المقدمة أن الكلام يهمه، وبالتالي بات ضروريا أن يتتبع ما ورد فيه من أفكار.

و خلاصة القول هي: أن مقدمات الشيخ العربي كانت مختارة وما يتناسب مع الموضوع الذي سيطرقه في نصه الخطابي أو المقالي مراعيا فيها مستوى الحال، ومستوى المتلقي، فهي تختلف باختلاف هذه الموضوعات المطروقة، لأنها وكما يذهب إيلياء الحاوي **(تختلف باختلاف الموضوع، فهناك موضوعات مثيرة بحد ذاتها كالموضوعات السياسية والقومية في بعض الأحيان، كما أن ثمة موضوعات يكثر الصد عنها خاصة التي تعني بالوعظ والإرشاد.)**[1]

وكل الكلام السابق مفاده أن الشيخ الإمام من حيث انتقاؤه للمقدمات وتنويعه فيها كان ملما بتقنيات الكتابة المقالية، و ارتجال الخطب الشيء الذي يكشف لنا عن شخصه الفنان والمصلح في الوقت ذاته، لولا بعض الخلط الواضح بين ما هو من المقال وما هو من الخطبة كما بدا جليا في المثال السابق.

و بعد التمهيد أو المقدمة يصل الكاتب أو الخطيب إلى الجسم (العرض/المناقشة)، وفيه يعرض إلى الأفكار الجزئية، يتناولها على التوالي

---

[1] إيلياء الحاوي: فن الخطابة، مرجع سابق، ص: 19.

أو ينظر، محمد زغينة: فن المقال عند أبي اليقظان، مرجع سابق، ص: 37.

بالشرح والتحليل حتى يستوفي كل العناصر، وينتهي بخلاصة أو استنتاج وهو ما يصطلح عليه باسم الخاتمة.

والمناقشة قسم يشكل الجزء الأساسي في هذه الكتابات (**فيه يتم عرض البيانات والحقائق والأدلة التي تحاول أن تؤيد ما جاء في المقدمة وخاصة جملة الفكرة الرئيسية أو جملة الموضوع، وجسم المقالة يشكل المجال الحيوي الذي يحاول فيه الكاتب إقناع المتلقي بوجهة نظره، بأسلوب يعتمد على التسلسل في عرض الأفكار وتقديم المعلومات الضرورية وتحليل وتفسير ما هو بصدد عرضه من أفكار أو ظواهر أو أعمال أو منجزات.**

ويتكون جسم هذه الكتابات من فقرة أو عدة فقرات، وكل فقرة يجب أن تتسم بالوحدة والتماسك، والترتيب، ويتحقق ذلك إذا كانت جميع الجمل في الفقرة ذات صلة بالفكرة المسيطرة، فالفكرة السابقة فيها تؤدي إلى اللاحقة وتختم الفقرة عادة بجملة إستنتاجية.)[1]

و لما كانت المناقشة هي الجزء الصالح لسرد الأدلة وبسط الحجج أثناء عرض الأفكار ومناقشتها، فإن هناك من النقاد الغربيين من يرى أن هذا النوع من الكتابات ينقسم من حيث المنهج إلى أربعة أقسام، ويجعل من المناقشة قسمين وهما: السرد ثم البرهنة، وبذلك يكون منهج هذه الكتابات عنده وفق التالي:

1- المقدمة: وعليها أن تجعل القارئ/المستمع منتبها، متقبلا، ومرحبا، ويتم ذلك وغيره بفصل مواضع التقديم.

2- السرد: (الحكي من توالي الوقائع): ويطلب فيه أن تقدم الوقائع للقارئ أو السامع بطريقة مختصرة، واضحة ومقبولة.

3- الاحتجاج: البرهان يرفع أحيانا إلى تبرير إيجابي، وتبرير سلبي، ويمكن أن يطبع هذا الجزء من الخطاب بالموضوعية والانفعال تبعا للتأثير الذي يرغب الخطيب في إحداثه.

---

1 صالح أبو أصبع، محمد عبيد الله: فن المقالة، أصول نظرية، تطبيقات، نماذج، مرجع سابق، ص ص: 31، 32.

- الخاتمة: وتضم عادة ملخصا موجزا للبرهنة على المقدمة، ودعوة للانفعال (مثل الرحمة و الغضب).[1]

و القارئ لكتابات الإمام يجد أنها متقيدة بهذا المنهج الذي ضمن لها التسلسل، وهو ما يحقق ترابط الأجزاء فيما بينها، إضافة إلى وضوح القصد وجلاء الغاية التي يطمح الشيخ إلى إيصالها إلى من يكتب إليهم، أو يخطب فيهم.

وإذا كان الجسم أو المناقشة على حد ما بينا هو الجزء الأساسي في بنية هذه النصوص مقالية كانت أو خطابية، فهو يتكون من فقرة أو مجوعة فقرات بحسب جمل المناقشة التي تم عرضها في هذه النصوص، الشيء الذي ينجر عنه تذبب المقالات بين الطول والقصر، فكلما ازداد عدد جمل المناقشة كلما ازداد عدد الفقرات وبالتالي صار النص طويلا والعكس صحيح. وإن كانت كتابات الشيخ قد اتسمت بانتقاء المقدمات وتنويعها، فإنها اختلفت كذلك طولا وقصرا، ففيها الطويلة التي تمتد إلى أن تكون بحثا، وفيها كذلك القصيرة الموجزة، وبين هذه وتلك المتوسطة. و هذا يعود إلى الموقف دائما؛ الذي يكون الشيخ بصدد معالجته والتصدي له بالشرح والمناقشة.

ومن كتاباته الطويلة ما يشكل بحوثا يمكن أن نجمعها تحت عنوان **(الإرشاد والإصلاح)** وقد ضمت تحتها مجموعة من العناوين يمكن اعتبارها عناصرَ لهذا البحث وهي: **جمعية العلماء وواجب الوعظ والإرشاد،**[2] **الإرشاد العام،**[3] **سعادة و شقاء،**[4]

---

[1] ينظر، هينرش بليث: البلاغة و الأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ت محمد العمري، ط2، إفريقيا الشرق و المغرب، 1990، ص: 45.

[2] العربي التبسي: مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص ص: 22، 23.

[3] المصدر نفسه، ص: 24.

[4] المصدر نفسه، ص، ص:25، 26.

الحاجة إلى الإرشاد وتوقف الإسلام عليه،[1] ووجوبا القيام بالإرشاد شرعا،[2] حالة الإرشاد قبل اليوم،[3] ما ينبغي أن يكون عليه الإرشاد.[4]

وإضافة إلى هذه السلسلة هناك سلسلة: (مواعيظ ليالي رمضان وفيها تمانية أجزاء).[5]

كما أن هناك مجوعة أخرى من المقالات تعالج قضية فصل الدين عن الدولة وهي: **فصل الحكومة الجزائرية عن المساجد،[6] تقرير السيد مصالح (1) و (2)،[7] فصل الدين عن الدولة قضية ولا قاضي لها،[8] فصل الدين عن الدولة منافي لوصلها بها،[9] فصل الدين عن الدولة.[10]**

ويأتي فيما بعد المجموعات الكتابية، كتابات أخرى أطول نسبيا ويمكن وصفها بالمتوسطة الطول، وهذا مثل مقالة **(إن كنت حاملا فلدي غلام)**،[11] و **(قد ضل من كان مثل هذا يهدية)**،[12] **(إعداد الوسائل للعناية بالمجتمع)**،[13] **(ما هو الإخلاص ومن هو المخلص)**،[14] **(دين في ذمة الأمة يقضى)**،[1] **(خطاب يوم 19 أوت 1951 في اجتماع الجبهة)**.[2]

---

[1] المصدر نفسه، ص:27، 28.

[2] المصدر نفسه، ص، ص:29- 31.

[3] المصدر نفسه، ص، ص:32- 34.

[4] المصدر نفسه، ص، ص:35- 39.

[5] العربي التبسي: مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص، ص: 40- 75.

[6] المصدر نفسه، ص: 76.

[7] المصدر نفسه، ص:78.

[8] العربي التبسي: مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص:88.

[9] المصدر نفسه، ص: 92.

[10] المصدر نفسه، ص:96.

[11] العربي التبسي، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مدر سابق ص: 89.

[12] المصدر نفسه، ص:105.

[13] المصدر نفسه، ص:117.

[14] المصدر نفسه، ص:127.

و تمتاز كل هذه المقالات بخصائص الكتابة التي تميز بها كتاب الحركة الإصلاحية، وذلك من حيث التسلسل في الطرح، وحسن السبك، وجمال التعبير وصدق العاطفة، وزيادة على هذا نجدها تعتمد على منهج علمي رصين، ويفسر محمد ناصر طول هذه الكتابات برغبة رجال الإصلاح في تلك الفترة في إيصال ما يريدون قوله إلى متلقيهم ومحاولة إقناعهم، وهو ما يدفع بهم إلى التفصيل والتعليل والتحليل بل والتكرار في بعض الأحيان.[3]

و الحق أن كتابات الشيخ طويلة كانت أم متوسطة الطول، جاءت منفردة الموضوعات وممثلة لوجهة نظره فيها، زيادة على أنها انعكاس لحصيلة خبرة من خبراته.

ومنهج الإمام في عرض موضوعاته؛ يكمن في أنه يعرض ملخص موضوعه، أو يقوم بتعريفه، ثم يأتي إلى التفصيل فيعرض آراءه، أو آراء مخالفيه فينتقدها، ويدعم هذا بضرب الأمثلة المتعددة، لكي يخلص في النهاية إلى النتيجة التي يريد تأكيدها من خلال هذه الكتابات.

إضافة إلى هذا، نجد أن الفقرات الأخيرة من كتاباته مكثفة إن لم تكن تلخيصا أو استنتاجا. ولهذا فإن الخاتمة عنده تمثل خلاصة ما يريد قوله، فتكون تقييما أو دعوة للمشاركة أو اتخاذا للمواقف، أو عبرة للناس... مما يؤيد هدفه

---

[1] المصدر نفسه، ص:149.

[2] المصدر نفسه، ص:179.

[3] ينظر، محمد زغينة: فن المقال في كتابات أبي اليقظان، مرجع سابق، ص:22. نقلا عن، محمد ناصر: أبو يقظان وجهاد الكلمة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980، ص:165.

ويوصله إلى الغاية التي يكتب من أجلها، كما أنه في بعض الأحيان يعمد إلى صيغ لغوية تشعر القارئ بالخاتمة. وهذا من مثل ما ورد في قوله: (**وقبل أن أضع القلم ألقي كلمة في أدن الناصر معروف، هذه الكلمة هي أني أنصح لهم بأن يريحوا أنفسهم...**)[1]

وإلى جنب هذه العناصر في منهج كتابات العربي التبسي (مقال/خطبة). نجد (**العنوان**)[*]الذي يرى الكثير من النقاد أنه إحدى عناصر الكتابة المقالية ولا نجد الخطبة تفتقد إليه، فصالح أبو أصبح، ومحمد عبد الله يريان في كتابهما (فن المقالة، أصول نظرية ــ تطبيقات ــ نماذج)أن العنوان ينهض (**بدور كبير في جدب القارئ، أو تشويقه للإطلاع على نص المقالة، كما يجب أن يكون واضحا بعيدا عن الغموض، ودالا شاملا بحيث يشير إلى القضية التي يناقشها أو يعالجها الكاتب.**)[2]

وبعد تحديدهما لدور العنوان كواحد من عناصر المقال يسردان الشروط التي يجب أن تراعى في كتابته على حد ما ذهب إليه كل من ستانلي جونسون، و جليوان هاريس ومنها:

1- تجنب تكرار الأفكار، وتجنب تكرار الألفاظ الواردة في العنوان، وإن كان تجنب تكرار الأفكار شيء وارد بل وواجب، فإن تكرار ألفاظ العنوان لا نراه عيبا، أو إخلالا بهذا الفن خصوصا إذا كان توظيف هذه الألفاظ في المكان الذي يصلح أن تعاد فيه.

2- تجنب العناوين التي تسبب اضطرابا أو غموضا.

- يفضل استخدام الفعل المبني للمعلوم على المبني للمجهول.

---

[1] العربي التبسي: (إن كنت حاملا فلدي غلاما ــ 2 ــ)، مقالات في الدعوةإلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 103.

[*] المفروض أن نبدأ بذكر العنوان كعنصر من عناصر الكتابة عند الشيخ، لكن تأخيره كان مطلبا اقتضته منهجية البحث.

[2] صالح أبو أصبع، محمد عبيد الله: فن المقالة، مرجع سابق، ص ص: 28،29.

4- ينبغي للعنوان أن يكون واضح العبارة تبدو عليه الجدة، وأن يتجنب العبارة المهجورة.

5- اختيار الكلمات التي تنقل الفكرة المطلوبة.

6- تجنب استخدام اللهجة العامية.

7- ينبغي عدم إقحام الرأي في العنوان، أي يفضل إضفاء طابع الحياد والموضوعية ما أمكن.[1]

وعناوين كتابات العربي التبسي وقد عرضت كاملة في الفصل السابق لم تكن لتخرج عن هذه الشروط، ولو أنها لا تتفق جميعا من حيث الدقة في تأديتها للمعاني التي تعكس موضوعاتها. إضافة إلى أنها تختلف بين الطول والقصر، فمثلا (**هذه جزائركم تحتضر أيها الجزائريون فأنقذوها**)[2] نجده يتكون من ست كلمات، فيما نجد (**الإرشاد العام**)[3]مكونا من كلمتين فقط. وإن كان أغلب العناوين يميل إلى الطول إن لم يكن طويلا. ولعل طول عناوين المقالات عند التبسي يعود إلى ثقافته الموسوعية وتأثره بالثقافة العربية القديمة التي تميزت عناوين مؤلفاتها بالطول، حتى إننا نجد عنوان إحدى مقالاته بيتا شعريا. (**و إذا العناية لاحظتها عيونها نم فالمخوف كلهن أمان**).[4] وهناك ما جاء حديثا للرسول صلى الله عليه وسلم كـــ: (**من غشنا فليس منا أيها الطرقيون**).[5] وهو دليل على اختياره لما ينقل فكرته

---

[1] ينظر، صالح أبو أصبع، محمد عبيد الله: فن المقالة، مرجع سابق، ص ص: 30،31.

[2] العربي التبسي: مقالات في الدعوةإلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق ص: 41.

[3] العربي التبسي: مقالات في الدعوةإلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص:24.

[4] العربي التبسي: مقالات في الدعوةإلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص:69.

[5] المصدر نفسه، ص:209.

المطلوبة. و نجد في عناوينه بعض السخرية مثل: **(إن كنت حاملا فلدي غلاما)**.[1]
كما أن منها ما جاء استفهاميا كـــ: **(ما هو الإخلاص، ومن هو المخلص ؟)**.[2]

و مرد هذا التنوع في العناوين عند الشيخ يعود إلى طبيعة الموضوعات التي يكتب فيها، أو إلى الحالة النفسية التي يكون عليها حين كتابته لمثل هذه الموضوعات.

وخلاصة القول في عناوين الشيخ التي جعلها مفتاح كتاباته هي أنها وإن كانت طويلة تقليدية تبقى مثيرة وجديدة خصوصا إذا تم ربط التعليق عليها بسياقها التاريخي.

و تبيانا للأشكال الكتابية عند العربي التبسي نرسم هذا المخطط الذي يمثل تصورها:

(شكل رقم:3) بنية نص المقال، أو الخطبة في كتابات الشيخ العربي.

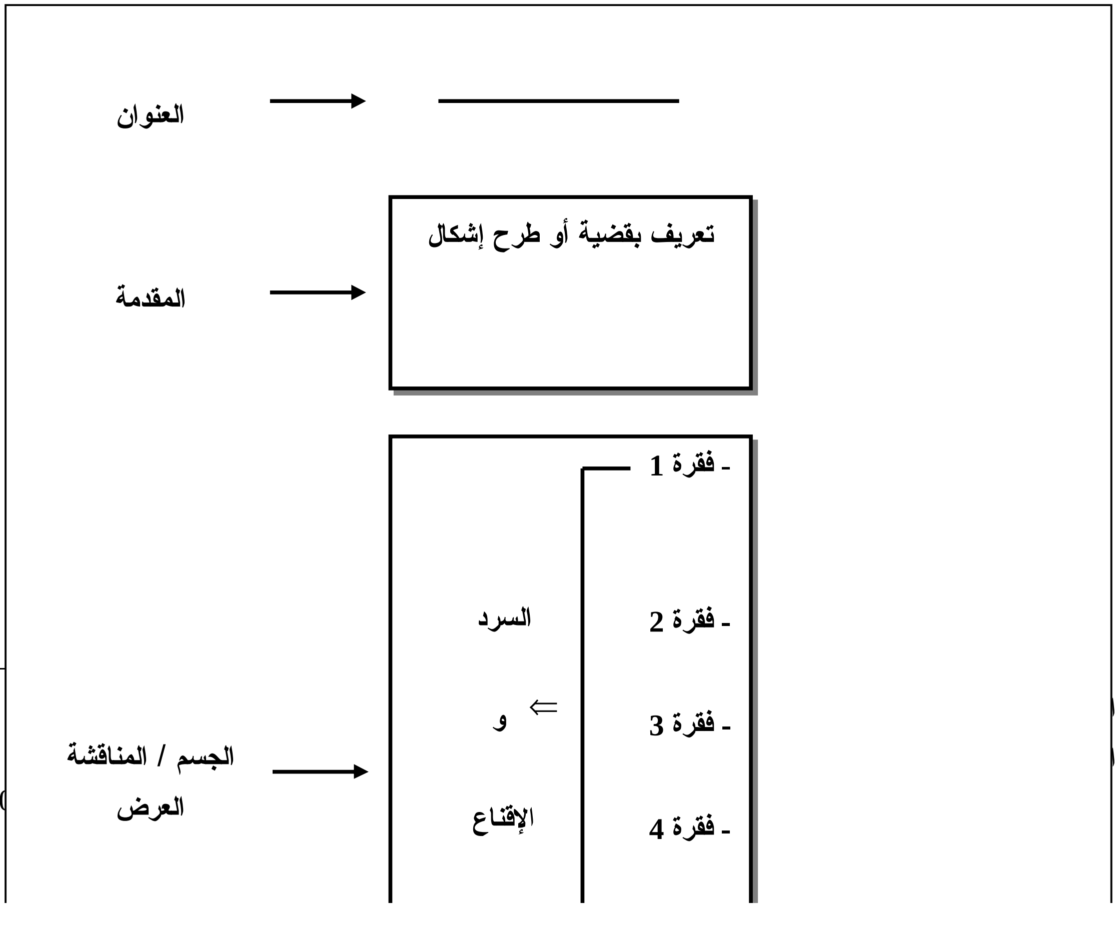

3- الخصائص المضمونية:

بعد أن تعرفنا على الأشكال الكتابية عند الإمام الشيخ العربي ومنهجها، بدا واضحا أنه اختص فيما من خلاله يستطيع التعبير عن مواقفه، ودفع الناس إلى الاقتناع بها. فكانت كتاباته نقدا للحياة، وخبرة تضاف إلى رصيد المتلقي. و من ثمة فهو رجل موقف، وصاحب قضية، وبمصطلح أدق: (خطيب وكاتب) ملتزم.

أ- الالتزام في كتابات الشيخ:

إذا كان الالتزام لغة من **يلزم الشيء فلا يفارقه، واللزام، الملازمة للشيء والدوام عليه.**[1] فإنه اصطلاحا قد ظل مرتبطا بما يطلق اليوم في معرض الكلام على الفكر والأدب والفن، إذا ما ارتبط بمشاركة واعية في القضايا الإنسانية الكبرى: السياسية والاجتماعية والفكرية... وهذا باتخاذ موقف تطبعه الصراحة و الوضوح و الإخلاص والصدق. مع الاستعداد بالتزام المحافظة على هذا الموقف، وتحمل ما يترتب عليه. و لهذا فهو لصيق بالعقيدة، منبثق من شدة الإيمان بها، صادر في جميع أشكاله وأحواله عن أيديولوجية معينة.[2]

1 ينظر، ابن منظور: لسان العرب، م13، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، 2004، ص: 190.

2 ينظر، أحمد أبو حاقة: الالتزام في الشعر والأدب، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،1979، ص ص:12، 13.

ويشترط في الالتزام حرية اختيار الموقف فليس ملتزما من كان التزامه صادرا عن قصر أو مجاورة أو ممالات أو نفاق، والحرية في الالتزام تجعل المفكر أو الأديب مسؤولا أمام الضمير والمعتقد، وحتى أمام المجتمع الذي ينتمي إليه، والإنسانية قاطبة. فللالتزام هدف هو الكشف عن الواقع الراهن، والسعي إلى تغييره، أو تغيير ما ليس سليما فيه، لأن المفكر أو الأديب يعاينان ما ليس حقا ولا عدلا ولا خيرا، فينددان به وهذا بالكلمة التي يطلقانها بين الناس لتنبيههم وتوجيههم إلى السلوك الكفيل لإحداث ذلك التغيير المطلوب.[1]

فالكلمات(**مسدسات عامرة بقدائفها**) وتكلم الكاتب تصويب، لهذا يجب عليه تحديد الهدف قبل أن يطلق ما سيرمي به، وتحديد الهدف ثم الرمي يعني التورط في الموقف وفيما يجري، والتورط في الموقف يعني أن يشعر بالمسؤولية إزاء هذا الموقف، والشعور بالمسؤولية، يعني أن يلتزم ترجمة التزامه سلوكا وفكرا.[2]

وهذا لأن الالتزام على حد تعبير أمين العالم (**ليس مجرد تأييد نظري للفكرة وإنما هو السعي إلى تحقيقها**)[3]

وقد تبلور مفهوم كلمة الالتزام على هذا النحو بعد ظهور الواقعية الاشتراكية،[*]حيث ترى أن أساس الابتكار الفني هو إدراك الفنان للحقيقة الموضوعية، لا الخيالية الذاتية الشخصية. والذي يقرر درجة الإنتاج الفني في الأدب الواقعي هو مدى قدرة الصورة الفنية على دعم الحياة الاشتراكية.[4]

---

[1] ينظر، أحمد أبو حاقة: الالتزام في الشعر والأدب، مرج سابق، ص: 14،15.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص: 15.

[3] المرجع نفسه، ص 15. نقلا عن، محمود أمين العالم: الثقافة والثروة، دار الأدب، بيروت، 1970، ص:45.

[*] يرتكز الالتزام في النظرية الماركسية على العلاقة القائمة بين الأدب والفن والمجتمع؛ انطلاقا من نظرية الانعكاس التي تجعل من المعاناة في الأدب والفنون إنعكاسا للواقع المعيش، فمفهوم الالتزام جاء كتعبير عن العلاقات بين الفن والمجتمع. ينظر، رمضان الصباغ: الالتزام في الأدب والفن، ط3، دار الأدب، 1973، ص:39.

[4] ينظر، بدوي طبانة: قضايا النقد الأدبي، دار المريخ للنشر، الرياض، 1984: ص: 16.

ويلتصق الأدب بالعمل في فلسفة كارل ماكس التصاقا وثيقا لأنه (شكل من أشكال العمل، الذي هو نشاط خاص بالجنس البشري هدفه جعل الأشياء الخارجة ملائمة للحاجات الإنسانية، وهو ضرورة طبيعية للحياة البشرية. التي تسعى للسيطرة على الطبيعة، وتحويلها بواسطة العمل نفسه إلى ما يلبي حاجاتها، ومن وظيفة العمل الأدبي السعي إلى إيجاد التوازن بين الإنسان وبين العالم الذي يعيش فيه، فكلما ازداد الواقع اقترابا من التوازن المطلوب تناقصت الحاجة إلى الأعمال الأدبية والفنية، ولكن ما دام هذا التوازن المنشود بين الإنسان وعالمه أمرا مستبعدا حتى في أرقى أشكال المجتمعات، فإن الأدب سيكون ضرورة في الماضي والحاضر والمستقبل، ملازما لطبيعة الإنسان الطموح دائما إلى تجاوز نفسه ليصبح أكثر اكتمالا وأعظم مما هو، ولن يتيسر له ذلك إلا بالخروج من جزئية حياته الفردية إلى حياة كلية يرجوها ويحلم بها بأن نلقى فيها العدل والعقل والمنطق و السعادة)[1]

وكلما كان العمل الأدبي راسخا بأصوله في العصر الذي كتب فيه والمجتمع الذي انبثق منه يكون أكثر أهمية وأعظم قيمة، و رغم أن الأدب بتمثيله (البنية العليا) شديد الاتصال (بالبنية الدنيا)[*] يبقى قوة اجتماعية فاعلة عظيمة التأثير في المجتمع، ولهذا اعتبر الماركسيون الأدباء:(مهندسو الأرواح البشرية)[2]

وإن كان منشأ الالتزام ــ على حد ما سبق ــ اشتراكيا فإن الفكرة ازدادت تبلورا مع الوجوديين، (و الوجودية ليست مذهبا واحدا محدد المعالم و الأبعاد، إنما هي جملة من المبادئ تشترك في اعتبارها أن موضوع الفلسفة هو تحليل الوجود العيني ووصفه من حيث أنه فعل الحرية تتكون بأن تحقق ذاتها، وليس لها أي منشأ أو أساس سوى هذا التحقيق للذات.)[3]

---

[1] أحمد أبو حاقة: الالتزام في الشعر والأدب، مرجع سابق، ص:30.

[*] يعتبر ماركس الإنتاج المادي بنية دنيا (infrastructure)، والإنتاج الفكري بنية عليا (supra structure)، ويرى أن البنية الدنيا هي الأساس في المجتمع لأنها تمثل الاقتصاد وعلاقة الناس بالطبيعة، بينما البنية العليا فشديدة الاتصال بالبنية الدنيا لأنها تنشأ عنها (وعي الناس لا يحدد وجودهم بل العكس).

[2] أحمد أبو حاقة: الالتزام في الشعر والأدب، مرجع سابق، ص: 30.

[3] المرجع نفسه، ص: 38.

وأبرز الممثلين لهذا التيار، وأكثرهم غوصا في قضية الالتزام هو جان بول سارتر، ولعله يتفق والواقعية الاشتراكية، أو بالأحرى وكارل ماركس في أن الالتزام موقف من ورائه قضية يتبناها الكاتب ويدافع عنها بمحض إرادته، بعد اقتناعه بها (القضية). (أي أن يكون اختياره حرا) وهذا بهدف التغيير. غير أن الوجودية تختلف عن الماركسية أو الواقعية الاشتراكية في كون الأدب متصلا بالمادة لا منعكسا عنها، أي أن الحرية نابعة من الذات الكاتبة، وليس من البنية الدنيا على حد ما يذهب إليه كارل ماركس.

إضافة إلى هذه النقطة هناك أخرى متصلة بالجمهور المتلقي، يراه الوجوديون إما واقعيا يتجسد في المواطنين المعاصرين من أبناء المجتمع، أو جمهورا مثاليا يتمثل في أناس غرباء عنه مكانا وزمانا. بينما الواقعيون يرون بأن الجمهور يتجسد في البروليتاريا فحسب.[1]

بل إن أكثر ما حذر منه سارتر هو طغيان الإرادة الجماعية على الإرادة الفردية وعلى ذوات الأدباء وحرياتهم، رغم إقراره بأن الكاتب لا يكتب لنفسه وإلا كان ذلك أروع فشل.

والحق أن سارتر بنى الالتزام على أسس من فلسفته الوجودية وهي كالآتي:

1 - الانسان مصدر الوجود، فهو يكشف الأشياء غير الإنسانية ويعطيها معانيها.

2 - لا قيمة لشيء في الوجود غير الذات الإنسانية الموجودة، فهي التي تحقق بها كل موجود وهي التي تمنح الأشياء قيمتها.

1 ينظر، أحمد أبو حاقة: الالتزام في الشعر والأدب، مرجع سابق، ص:38.

3- الفكر ليس مجرد انعكاس للمادة كما يقول ماركس، وإن كان شديد التأثر بها فهو مستقل عنها، يتمتع بحرية تامة، وهذه الحرية إيجابية تتجاوز الفكر، و تهدف إلى تغيير الموقف عن طريق الوعي وإدراك القيم.

4- الحرية الحقيقة لا تبين عن نفسها إلا بالعمل، فهي تؤلف مع هذا العمل وحدة، وتتمثل في القدرة على التزامه في الزمن الحاضر لبناء المستقبل، ولا يتم بناء المستقبل إلا بعد فهم الحاضر والعمل على تغييره أو تطويره.

5- الإنسان لا يوجد كالأشياء فهو من يختار وجوده الحر وهو مسؤول عن هذا الاختيار على الرغم من كونه حرا، فهو ليس حرا أن لا يختار، فهو ملتزم وعليه المراهنة، هو جزء من أجل أن يختار مصيره، فالتزامه كلي وحريته كلية.

6- الإنسان موقف يتحدد عن طريق وعي القيم، ومدار هذا الوعي حرية الفرد، لكن الفرد ليس منسلخا عن العالم الذي يعيش فيه، فهو جزء من المجتمع يشترك فيه مع وعي الآخرين، هو الذي يكسب الموقف الإنساني كل ماله قيمة.

و سارتر يسمي الكاتب ملتزما حين ينقل الالتزام من حيز الشعور الغريزي إلى حيز التفكير، فلا بد على الكاتب أن يلعب دور الوسيط، بل إن التزامه يكمن في هذه الوساطة، ومن الحق أن يحاسب في إنتاجه على أساس حالته في المجتمع، وحالته لا تنحصر في كونه إنسانا وكفى، بل إنسان وكاتب ومفروض عليه أن يختار لنفسه على أساس ما حدده الآخرون، فالمجتمع يحاصر الكاتب ويقيد مكانته،[1] يقول في هذا الصدد: (**وإنما أسمي الكاتب ملتزما حينما يجتهد في أن يحقق له وعي أكثر... أي عندما ينقل لنفسه ولغيره ذلك الالتزام من حيز الشعور الغريزي الفطري إلى حيز التفكير. والكاتب هو الوسيط الأعظم، وإنما التزامه في وساطته. غير أنه من الحق أن نحاسبه في إنتاجه على أساس حالته في المجتمع، وعلينا أن نكون على ذكر من أن حالته**

[1] ينظر، أحمد أبو حاقة: الالتزام في الشعر والأدب، مرجع سابق، ص:39.

لا تنحصر في أنه إنسان وكفى، بل في أنه ــ على وجه التحديد ــ كاتب أيضا، فقد يكون يهوديا، أو تشيكوسلوفاكيا، أو من أسرة من الفلاحين، ولكنه كاتب يهودي، وكاتب تشيكوسلوفاكي، ومن أرومة ريفية... ضمنيا حاولت في مقال آخر أن أحدد حال اليهودي لم أجد غير هذه العبارة اليهودي إنسان ينظر إليه الآخرون على أنه يهودي، فمفروض أن يختار لنفسه على أساس ما يحدده الآخرون له من موقف، لأن ما بين صفاتنا ما مصدره الوحيد أحكام الآخرين علينا.)[1]

فالأديب على حد هذا الطرح لا يملك إلا أن يكون ملتزما، فموقفه محسوم إزاء ما يعيشه سواء تكلم أم لم يتكلم، لأن الصمت نفسه نوع من الالتزام.

وإذا كان الالتزام يتناول الجانب الفكري من الأعمال الأدبية، وهو يتجلى في الموقف الذي يتخذه الأديب مما يجري حوله ثم في ترجمة هذا الموقف عملا يمس واقع الحياة مسا مباشرا لتغيير ما ليس سليما فيه، فإلى إي مدى يتجلي هذا في أدبيات العربي التبسي ؟ و كيف استطاع الشيخ من خلال كتاباته أن يكون في خدمة قضيته الوطنية ؟

الالتزام كظاهرة أدبية لم يكن حكرا على جنس أدبي بعينه دون غيره، غير أن الوجوديين يذهبون إلى أن الكتابة النثرية هي مجال الفكر الالتزامي مادام عمل الكاتب هو الكشف عن المواقف مع القصد إلى التغيير، فهو في كل كلمة يرسلها يغوص قليلا في هذا العالم.[2]

و لا نريد بحديثنا عن الوجودية وحتى الاشتراكية قبلها دمج الكاتب في هذين المذهبين، أي أن نجعل منه واقعيا اشتراكيا أو وجوديا. إنما نريد

---

1 جان بول سارتر: ما الأدب، ترجمة محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1990، ص ص: 74، 75.

2 ينظر، بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي، مرجع سابق، ص:18.

الإشارة إلى أنه ملتزم بقضايا مجتمعه الذي يحيا تحت نظرة مستعمر اتنوغرافية* نابعة عن فعل مثاقفة استئصالية.**

ولعل الخطبة والمقال من أقدر الفنون النثرية تعبيرا عن وجود المجتمع وتجسيدا لكينونتة، فهذه الكتابات تضمن الاقتراب الدائم والمشاركة المستمرة للقضايا التي تتصارع وسط المجتمع، واتخاذ موقف منها نتيجة ما تتيحه للكاتب من موضوعية تهيء له عرض الكثير من الآراء والأفكار.

ولهذا يمكن القول أن كتابات الشيخ العربي تعكس أدبا ملتزما، وهذا ما يعكس كل المواقف التي تميز هذه الكتابات نحو القضايا التي يناقشها في موضوعاته المستوحاة من واقع الجزائر المستعمرة وما تعيشه من صراعات سياسية واجتماعية وعقائدية...

وفي ظل هذه الصراعات نجد الإمام العربي التبسي قد حجر نفسه للدفاع عن مقومات هذه الأمة، ودعوتها في الوقت ذاته إلى التمسك بما يخرجها من ورطتها، ويخلصها إلى الأبد من براثن الاستعمار المستبد. كما ظل واقفا من خلال هذه الكتابات إلى جنب الجزائري الذي أُفْرِغَ من روحه وصار يُنْظَرُ إليه مثلما ينظر إلى أي شيء آخر. ليعيد إليه هذه الروح بإعادته إلى تعاليم الدين الصحيحة وتذكيره بتاريخ الأسلاف المجيد، ولو عن طريق الإشارة.

* الإتنوغرافيا: وصف المظاهر الخارجية للثقافة من لباس وعادات وسلوكات... وهي مرتبطة بجماعة بدائية تفتقد إلى العنصر التاريخي، تعيش حياة فلكلور، وصورة الجزائر في الكتابات الفرنسية في القرن التاسع عشر هي عبارة عن صورة أتنوغرافية

** يمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من المثاقفة Acculturation هي: المثاقفة التناقضية، تقوم على الصدام والمواجهة (ثقافة قوية ≠ ثقافة بسيطة)، ومثاقفة توافقية، تقوم على التعايش السلمي، وعلى الحوار والأخذ والرد، ومثاقفة استئصالية وهذا ما ينبطبق على ما كان يحدث وقت الاستعمار في الجزائر.

ومن مواقف الشيخ العربي الملتزمة، دعوته إلى النظر في حال هذه الأمة والكيفية التي كانت تحيا عليها ثم مقارنتها بغيرها من الأمم الأخرى، وهذا بسبب بعدها عن العلم والتعلم.*

(...ألق بصرك ذات اليمين وذات الشمال في وطنك الجزائر، سهولة و حزونه، وحواضره وبواديه، متبينا. كيف تجد قومك ؟ وفيما يقطعون الأيام والليالي ؟ وعما تنفق الأموال ؟ وما هي حالة أمتك الاجتماعية، وقارن بينها وبين أهل الدنيا، تجد شعبك من أهل هذا العصر الذي لا عيش فيه إلا بالعلم ونوره ؟ أم من بقايا الأجيال الغابرين الذين لم يوح إليهم.)[1]

وبعد أن أتخذ موقفا من وضع أمته مقارنة بما تحياه الأمم الأخرى ينتقل إلى دعوة أخرى هي من صميم العقيدة الإسلامية، إنها الدعوة إلى مجتمع متكامل، الفرد فيه هو لبنة المجتمع. هي الدعوة إلى الوحدة التي المنطلق إليها الانتظام تحت مبدأ واحد، والالتفاف حول جامع فرد، من أجله يوجد الكل، هي تحذير من الشيخ إلى مجتمعه الذي إن لم يكن كذلك فهو منذر بالانهيار، مقضي عليه بالفناء. يقول: **(إن الشعب الذي لا ينتظم تحت مبدأ واحد، وهذا صحته لا تحتاج إلى بينة، ولعمري لئن اتبعت عينيك ما مضى من عهد أمتك، وما يعتورها الآن، وأنت حدب على أمتك، تود لها ما يوده كل وطني من أن تقف أمتك بصف نظرائها، فستعود وقلبك مترع بالحسرات، وعيناك تسكبان العبرات ما دمت تعطف على الجزائر وأهلها، وإن قومك على الفطرة الأولى، لم يتزحزحوا عنها، ولا تنحوا عما كانوا عليه منذ أحقاب، ولم يدركوا العالم وأين بات من فيه.)**[2]

ولعل هذا الموقف ليس إلا تمهيدا لما يريد الوصول إليه في صميم مقاله هذا، وهو الدعوة إلى نشر التعليم الإسلامي الذي يفتح على الحياة مرافقها،

---

* وكل مواقف الشيخ تعكس التزامه إزاء الدين والوطن.

[1] العربي التبسي: (هذه جزائركم تحتضر أيها الجزائريون فأنقذوها)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص:43.

2المصدر نفسه، ص: 44.

ويعرف الناس بماهية وجودهم والكيفية التي يجب أن يكونوا موجودين بها، يقول: (**فأمتنا لم تشعر أن الحياة في عصرنا ليست كالتي كانت قبل أعوام، وأن ما ينفع إذ ذاك أصبح ضررا مجسما، فتمد الأمة بها في ازدهار جماعتها إلى خير ما ثبتت التجارب البشرية نفعه، وأماتت الأمة به ما يعيد إلى الأيام شبابها، وتأتي مرافق الحياة من كل أوب ووجهة، وبأي سبب يدعو إليه منادي الدين، حتى يؤدي كل فرد من الأمة ما خلق له، وما ينبغي له، وما ينبغي أن يكون عليه، مخلصا في عمله، وتنبذ تلك الضلالات التي ملأت الأدمغة، وعلقت بالعقول، وفرخت في الصدور، والبدع التي زرعها في الأمة نفر نحلوا لأنفسهم زعامة الدين قبل أن يدروا ما الدين ؟ وما يدعو إليه ؟ وما يحكم به على هذه الزعامة ؟ فرموا بأمتهم في أسوأ عاقبة، وأتعس مغبة.**)[1]

و واضح من كلام الكاتب السابق أنه بدعوته إلى التعليم قد اتخذ في الوقت نفسه موقفا من الطرقية وأعلن حربا شعواء عليهم. لما يحيط بهم من جهل جعلهم يفسدون دين الناس وهو ما يفسد الرابط بينهم وبالتالي يفسد مجتمعهم الذي الأصل فيه التماسك.

وبعد إن انتقل إلى التعليم انتقل إلي الحث على إحياء اللغة العربية حتى يتمكنوا من التواصل مع شرعهم، من خلال تدارسهم للقرآن الكريم والحديث الشريف، و حتى يتمكنوا أيضا من التواصل مع تراث أسلافهم فكل هذا هو السبيل إلى تميزهم، وتدينهم، واجتماعهم تحت راية أمة واحدة، وجهتها واحدة وهدفها واحد. يقول: (**ولترد إلى اللغة العربية شبابها، وتحي ذكراها بكل الطرق و الدرائع، وليفهم الشعب العربي الإسلامي الذي تحولت لغته إلى رطانة في منطقه، وخلط في مفرداته، حتى أصبح لسانه مزيجا: أن لا دين، ولا قومية، ولا أمة، ولا أي مقوم مميز للأمة إذا هي مضت فيما هي عليه من الجهل بلغتها، والعزلة عن تاريخها، ورضت لنفسها أن تكون في**

1 العربي التبسي: (هذه جزائركم تحتضر أيها الجزائريون فأنقذوها)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص ص: 44، 45.

حجاب بينها وبين أدب، ومفاخر أسلافها، تلكم المفاخر التي باتت دارسة رسوم... أتنتمون إلى العربية ولا تلجون لها بابا، ولا يأوي إلى مجالس مشايخكم نشؤكم فيروي عنهم ما خلده لكم أسلافكم من أنيق اللفظ ورائع المعنى؟

هيهات أن تصح تلك الأماني الضائعة. ألا بارك الله فيكم اعتبروا بغيركم، وقلدوا سواكم من الأمم والشعوب والقبائل الذين جهدوا أنفسهم، وركبوا أخطارا، وحملوا مشاقا وتكاليف باهضة، وذهبوا كل مذهب لنشر لغتهم خارج أوطانهم، وتحبيب غيرهم فيها، فأنفقوا الأموال، وأشادوا بمفاخرها، وبنوا لها من المفاخر والفضائل صروحا عالية، وليست حاجتهم إلى لغتهم ببالغة حاجتكم إلى لغتكم...)[1]

والحق أن مفهوم الالتزام مُتَبَدٍّ في كتابات العربي التبسي من خلال هذه المواقف التي تجاوزت الدعوة إلى العمل بها في إطار النص ذاته. فإذا كان قد دعا إلى التعلم فهو يمارس التعليم من خلال هذا المقال. وإن جاء في مقاله ما هو حث على اللغة العربية، فقلمه عربي مبين، بل إن خاتمة مقاله كانت تحليتها قول العرب:

إن دام هذا ولم يحدث له غير   لم يبك ميت ولم يفرح بمولود.[2]

و هو كلام من صميم موضوع المقال، ومن صميم ما جاء فيه من مواقف، هي انعكاس لالتزام العربي التبسي فيما يكتب وبه، فالمقال قطعة من نفس الشيخ نظرا لإيمانه العميق بما يدعو إليه.

والحق أن كتابات الشيخ العربي التبسي ومثلما هو واضح من المقال السابق هي انعكاس لتفاعل الرجل مع مجتمعه، فبدا متحملا لمسؤولياته بكل شجاعة عن طريق تحديد موقفه إزاء معاناة هذا المجتمع، والعمل على تغذيته بمثل هذه الأفكار الناضجة، فالشيخ الإمام صاحب إيمان صادق بالقضايا التي يعالجها،

---

[1] العربي التبسي:(هذه جزائركم تحتضر أيها الجزائريون فأنقذوها)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص ص: 44، 45.

2 المصدر نفسه، ص:46.

و روح مثالية وشجاعة أدبية في اتخاذ مثل هذه المواقف، وكذا في الدفاع عنها، و لا أدل على هذا الكلام من طول نفسه فيما يطرقه من موضوعات تمتد على مجموع مقالات في شكل سلسلة، وسبق وأن أشرنا إليها فيما أطلقنا عليه اسم (المجموعات الكتابية) بل إن التأمل في كتاباته يدل على أنها مرتكزة على موضوعات بعينها لا تتعدى الأربع نقاط، وهذه النقاط بدورها تلتقي معا لتشكل عناصر موضوع واحد مرده توجه الشيخ الإصلاحي.

والكلام السابق يوضح قوة ثقافة الكاتب و فنيته، إضافة إلى أنه تبين لوعيه الأيديولوجي، ونزعته الواقعية، وكل هذه أسباب أساسية للالتزام المفيد بالفعل، الهادف إلى تحقيق مطالب اجتماعية وسياسية في مواضع أخرى. ومن ذلك مجموعته الكتابية التي ظل يتحدث فيها عن قضية فصل الدين عن الدولة، والتي يمكن جمعها في أكثر من ست مقالات منها :

(فصل الحكومة الجزائرية عن المساجد)،[1] **(تقرير السيد مصباح -1-)**،[2] **(تقرير السيد مصباح-2-)**،[3] **(فصل الدين عن الدولة قضية ولا قاضي لها)**،[4] **(فصل الدين عن الدولة منافي لوصلها بها)**،[5] **(فصل الدين عن الدولة)**.[6] والكلام التالي يمثل الفقرتين الأخيرتين من مقاله الأول في هذه المجموعة يقول: **(ولكن الحكومة أبت أن تدعن لذاك القرار، وبقيت مصممة على قوانينها الظالمة، في منع المسلمين من التعليم بمساجدهم، فكيف نصدقها الآن، مع تصميمها على قوانينها القديمة بأنها تريد الفصل، وأن لها لجنة بالمجلس الجزائري تضع مشروعا للفصل، وأنه يوم يتم ذلك المشروع يعلن الفصل ؟)**[7]

1 العربي التبسي: مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص:76.

2 المصدر نفسه، ص: 78.

3 المصدر نفسه، ص: 82.

4 المصدر نفسه، ص: 88.

5 المصدر نفسه، ص: 92.

6 المصدر نفسه، ص: 96.

7 العربي التبسي: (فصل الحكومة الجزائرية عن المساجد)، المصدر نفسه، ص:77.

ولعل هذا الكلام كجزء من هذه المجموعة المقالية انعكاس لنضج الرجل وشعوره بالمسؤولية إزاء ما كان يعيشه المجتمع في تلك الفترة.

وبهذا نصل إلى أن التزام الكاتب منطلقه الوعي بالواقع السياسي والاجتماعي لأبناء أمته. وهو ما يتماشى ونظرة النقد العربي إلى قضية الالتزام في الأدب، (**فهذا الوعي هو الذي يجعله يشعر بالمسؤولية إزاء هذا الشعب، ويتخذ موقفا دون غيره من المواقف**) ولهذا كان الالتزام في نظر هؤلاء النقاد (**ليس توجيها أو ضغطا خارجيا، بل نوع من النضج والشعور بالمسؤولية**)، فالأديب الملتزم هو الذي يعي الواقع، ويستوعب القضايا الكبرى ويعبر عن أمراض المجتمع.[1]

والحديث عن الالتزام بهذا الشكل يجعلنا نقترب من إدراك موقف النقد الواقعي المغربي لهذا الالتزام، كما يجعلنا نقف على أهم الأسس التي قام عليها، وأولها وعي الكاتب بالذات الجماعية، والعربي التبسي كواحد من نشطاء الحركة الاصلاحية الجزائرية، لم يكن ليعبر في لحظة كتابة عن شيء غير هذه الذات الجماعية، من خلال التعمق فيما كان يحياه المجتمع الجزائري، وفيما كان يعانيه. وهذا التعمق بدوره يمثل الأساس الثاني الذي يقوم عليه الالتزام في نظر النقد المغربي، (**فالهدف من التزام الأديب ليس هو التعبير عن أحداث المجتمع ومشاكله فحسب، وهو ما تفعله الواقعية النقدية، بل هو تشخيص ما يضطرب في نفسية الجماهير، وتحديد الخط الذي تسير عليه هذه الجماهير نحو مستقبل أفضل... والأديب لا يستطيع أن يقوم بهذا الدور الأساسي في التعبير عن الحركة التاريخية لحياة الجماعة، إلا إذا أعتبر نفسه عضوا فاعلا في هذه الجماعة.**)[2] فالأديب المسؤول هو من يعيش هموم الحياة وآمالها وأحلامها، وينزل بأدبه إلى الجماهير الكادحة والفاعلة ليحركها، و يوقضها، ويبعث فيها الحركة

---

[1] ينظر، محمد مصاييف: النقد العربي الحديث في المغرب العربي، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص:238.

2 محمد مصاييف: النقد العربي الحديث في المغرب العربي، مرجع سابق، ص ص: 239،240.

والتمرد طلبا للحرية والأمل والحياة. ومن ثمة فالأديب بهذا الاعتبار هو الموجه الذي يحمل شعبه إلى السير في وضوح وثقة وقوة نحو هدفه الاجتماعي والإنساني، بعيدا عن افتعال الأحداث و المغالاة في التعبير عنها، لأن الافتعال والتضخيم لا يؤديان إلا إلى التمويه والتزوير، وبالتالي الحط من قيمة الحدث أو القضية التي يدافع عنها، وهذا معاكس لما ينبغيه الالتزام.[1]

و إن حاولنا تلمس مثل هذا الكلام فيما يكتبه العربي التبسي، فسنمثل بقوله: **(... إن جمعيتكم هذه قد وجدت خدمة الإسلام وبث علومه، و رد الشبهة عنه، و نشر فضائله، و دعوة الناس إلى هدي هذه الملة، و هذه الخدمة ليست بالأمر التافه، و العمل الضئيل الذي مكن أن يعمل في الليل المظلم، و غفلة الناس، و لكنه أمر هو في وضوحه و انتشاره و عمومه كاليوم الشامس لا تخفى أضواؤه، ولا تخص أشعته جهة دون جهة.**

وإذا كان أمر الإسلام الذي وجدت جمعيتكم لخدمته كما وصفنا، فإننا نصدق في دعوانا أن جمعيتنا خدمت الإسلام وعلومه وآدابه وأخلاقه، وربت المسلمين على ما يأمر به الدين، ما دمنا لم نقم الشواهد التي تبلغ الكواكب ضياء و استبانة بأننا قمنا بواجبنا.)[2]

والحق أن الشيخ في هذا المقام يخاطب أعضاء جمعية العلماء أنفسهم، وإن كانت الجملة الأولى خبرية **(إن جمعيتكم قد وجدت لخدمة الإسلام...)**،فإن الغرض منها هو الحث على الاجتهاد في عملية الإرشاد الذي يمثل ماهية جمعية العلماء كما يوحي بها عنوان ذات المقال. و التزام العربي التبسي هنا لا يكمن في هذه الدعوة فقط، بل يتعداها إلى الدواعي التي جعلته يؤمن بالفكرة أصلا ويدعوا إليها ويسعى إلى تحقيقها، ثم النتائج التي يرجو الوصول إليها فيما بعد، فالقضية هنا وفي كل كتاباته ليست قضية الشيخ في نفسه ــ أي في ذاته الكاتبة،

---

[1] ينظر، المرجع نفسه، ص ص: 240، 241.

[2] العربي التبسي:(جمعية العلماء المسلمين، وواجب الوعظ والإرشاد)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج 2، مصدر سابق، ص: 22.

أو الخطيبة – بقدر ما هي قضية مجتمع يعاني استئصالا ثقافيا ولهذا فهو مسؤول، يعيش هموم حياة أمته وآلامها، وينزل بكتاباته إلى الجماهير ليحركها أو ليدعو إلى تحريكها، ما دام في هذا المقام يخاطب شيوخ الجمعية محاولا أن يحدد خط سيرتها وفق ما يتطلبه برنامج جمعية العلماء المسلمين. إذن هناك هدف اجتماعي إنساني مرسوم وفق ما يتطلبه واقع الجماعة، ووفق ما يكمن أن تحققه كذلك. و الدعوة نفسها قد تمثل إقرارا بما بدا قد تحقق، أو في طريق التحقق، أو أن تحققه أكيد، ومن ذلك (**... فإننا نصدق دعوانا أن جمعيتنا خدمت الإسلام وعلومه وآدابه وأخلاقه، وربت المسلمين على ما يأمر به الدين...**)[1]

إلا أن الملاحظة الهامة في هذا المقام، نرى أنها تكمن في الفرق بين طبيعة التزام هذا النوع من الكتابات النثرية (خطبة/مقال)، وباقي الأنواع الكتابية الأخرى من مثل: القصة، الرواية... وغيرها، حيث أن التزام الخطبة و المقالة لا يكون عن طريق محاكاة ما يجري في الحياة، ومحاولة تصوير أفراحها وأحزانها، وإنما يكون عن طريق المواجهة الصريحة، والخطاب المباشر. فالموقف في كل من الشكلين يتحمل مسؤوليته الكاتب كمفكر وليس كفنان. و لهذا فإن تبعة الموقف تكون مباشرة، أي يتحملها الكاتب بنفسه مباشرة كذلك.

و لمّا كان الأمر كذلك كان من الواجب أن يعرف الكاتب من أين تؤكل الكتف، بمعنى كيف يوجه هذا الخطاب، حتى لا يضحي بالجهد الإصلاحي نفسه.

يقول الشيخ العربي في مقال عنوانه: (أيها النوام ويحكم هبوا): (**يكبر على الكاتب أن يعلل الشقاء الذي استوطنته الأمة الجزائرية راضية مطمئنة أمدا طويلا في عهد يكاد يظل العالم فيه مدرسة واحدة، يتلقى عن أستاذ واحد سيرة نبوة.**

1العربي التبسي:(جمعية العلماء المسلمين، وواجب الوعظ والإرشاد)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج 2، مصدر سابق، ص: 22.

... هؤلاء أمم الغرب، ما غادرت مرفقا من مرافق حياتها إلا اتخذت له ما تبلغه المواهب البشرية، كل يكد نفسه على ما تقتضيه طبيعة التطور، فمن أحزاب ضاقت عنها النوادي تعمل ليل نهار على حساب استعدادها ونزعتها بما أنست فيه صالحها لقومها، وقد اجترءوا على أيديها المنافع العظام، والمرافق الجسام ما أكسبهم عظة ومنعة ورقيا فأخروا به كل ناهض، فما قصروا عن غاية، ولا تنكبوا عن خيبة، وما قطعوا سواد ليل أو بياض يوم في غير عمل صريح يقوم لأمتهم، شعارهم: نحن لأممنا وفي سبيلها ما نلاقي.

ومن هيئات إصلاحية ودينية، ما قنعت بالعمل بين أهل جلدتها، وفي محيط شعوبها، بل انجدوا و اغوروا لشيء تخيلوا فيه سعادة أمم مدائنهم، فخرجوا عن حظوظهم، وعافوا الراحة، واستلذوا النزوح عن الأوطان ومفارقة النعيم الذي شبوا عليه، وسخت نفوسهم بالخروج عن أموالهم بطيب نفس، وانشراح صدر، ونزلوا عن كل عزيز وراء ما إليه راغبون، كلمتهم واحدة، وصفوفهم متراصة، وغاياتهم منفردة، موقنين بأن ليس لدهر الطالبين فناء.

وعلى القارئ أن يلقي نظرة على جمعيات التبشير التي يرأسها الدكتور "أوزومير" فإن هذه العصابة أوقفت على نشر الديانة المسيحية كل ما أعطوه من قوة، وما وهبوا من حيل، وقد كان الفشل يظلهم، والخيبة تسبقهم، على خطوة المساعي التي يبذلونها وراء نفرتهم إلى كل قطر من الأقطار، سواء في أسيا أو في أفريقيا، فما قنطوا وما فشلوا ولا حملوا أنفسهم على تكاليف و أوصاب لا تقل عن الأسر والأغلال، فتقوم المرأة الأمريكية من البرازيل، أو الأنكليزية من إحدى جزر بريطانية، قاصدة أمة لا تعرف لها لغة، ولا عادة، ولا تقاليد، وهابطة أرضا لم تألف لها جوا ولا غذاء، تنشد حاجة وترود أمنية، تلك قرة عينها، ونداء حياتها، كأنما خلقت لتعمل بذلك المبدأ، وتسير على تلك السنة على ضعف طبيعة المرأة.

وسيان عندي لطبيعة المثل أكانوا فيما قطعوا فيه الأعمار وعلى ظل من الصواب ـــ ما أبعده عنهم ـــ أم كانوا كمن يمشي مكبا على وجهه وسوف يتردى، وإنما نبغضهم على صحة العزيمة، وشدة التمسك بما هيأ لهم أنه الحق، فكأنما أصل هذه الأمة مسك وأصل أمتنا طين!

فمن أين للجزائر المسكينة بما تباهي به الأمم؟ وتفاخر به الشعوب؟ وتبدل بفضله النظر، ويمسح عنها الفضيحة؟

أتعتز بعلمائها الذي ظلوا في بيوهم، وظنوا الإصلاح الحديث رجوعا إلى الكفر بعد الإسلام؟ زاعمين بأفواههم أن ليدهم من الأعذار ما يجعلهم غير محاسبين ولا مؤاخذين على ما فرطوا فبه من الأمانة التي حملوا أداءها؟ والذين ألزموا ببلاغه والدب عليه؟!!.)[1]

فالمقال كما هو جلي دعوة صريحة إلى توحيد الجهود قصد النهوض بالوطن والعمل على تخليص هذه الأمة من الشقاء الذي حل بها وطالت ملازمته لها. و الحق أن الشيخ لم يكبر عليه أن يعلل الشقاء، بقدر ما تجنب الدعوة إلى مواجهة الاحتلال صراحة والعمل على محاربته، مع حرصه على أن تكون دعوته واضحة، وهذا حفاظا على استمرارية المشروع الإصلاحي. لذا نجده وبعد التنبيه إلى حالة أمته المسكينة، يدعو قراءه ــ ويفترض أن يكون الجزء الحيوي من هذه الأمة ــ إلى النظر فيما يعمل من أجله الغربيون وما يقدمونه من جهود حتى يضمنوا لدينهم الانتشار، ولأوطانهم تبعية هذه الدول المقصودة بحملات التبشير والتنصير المختلفة.

و مهما كانت طبيعة الأفكار التي يقدمها الشيخ في تلك الفترة من تاريخ الجزائر، ومهما كانت طرق تقديمها فهي بيان لارتباط الرجل بقضايا المجتمع الجزائري، خصوصا إن تعلق الأمر بما يدخل في بناء شخصية الجزائريين القومية: (الدين، اللغة، التاريخ)، وهذا ما يعني أن الشيخ رجل متفاعل مع مجتمعه **(متأثر ومؤثر في آن واحد، متأثر بما يستوحيه من المجتمع من موضوعات وتجارب إنسانية واجتماعية، ومؤثر بما يسهم به في بلورة الأفكار والآراء التي تؤمن بها الجماهير...**

فالأدب الحق لا يقف عند التلقي والتأثر، بل يتجاوز ذلك إلى طرح المشكلات والقضايا طرحا هادئا، بمعنى أن تأثره بالواقع المعاش يكون على مستوى إيجابي حيث إنه يؤثر في مجريات

1العربي التبسي: (ألا أيها النوام ويحكم هبوا)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص ص: 47-50.

الحياة...)،[1] وهذا الكلام هو نفسه ذلك الذي يعكسه المقال السابق (أيها النوام ويحكم هبوا)، وتعكسه كل كتابات الشيخ العربي التبسي.

و لما كان هذا هو الهدف من كتابات الرجل، فإننا حين قراءتها يمكن أن نستخلص منها الكثير من مواقفه، كما يمكن كذلك تحديد العديد من المفاهيم التي ترجع إلى ما كان يكتب فيه الشيخ العربي التبسي على اختلاف موضوعاته.

ولعل أهم هذه المفاهيم نظرته إلى الإرشاد والإصلاح، إضافة إلى أن أبرز هذه المواقف، موقفه من الطرقية، والاستعمار، وعلاقة الدولة بالدين...

أ- أ- مفهوم الإصلاح عند الشيخ العربي التبسي:

لو ساءلنا المعاجم عن معنى كلمة الإصلاح: لوجدنا أنها نقيض للإفساد والصلاح ضد الفساد.[2] وهو حسب ما نفهمه من كتابات الرجل ومواقفه يعني التغيير الجذري لكل اتجاهات الفرد السلبية وتعديلها باتجاهات إيجابية تتفق مع المنظور الإسلامي تطبيقا لما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية من حيث المعاملات والعلاقات و العبادات.[3] ففساد الأمة وتخلفها على تنوع أسبابه واختلافها يرجعه الشيخ العربي التبسي إلى التخلي عن الدين الإسلامي، ولذا فإن الإصلاح مرتبط بما من خلاله نتجاوز هذا الفساد، وهو الرجوع

1 محمد مصايف: النقد العربي الحديث في المغرب العربي، مرجع سابق، ص: 240.

2- ينظر، ابن منظور: لسان العرب، م8، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، 2004، ص:26.

3 ينظر، ص م: (مفهوم الإصلاح عند الشيخ التبسي)، مجلة المجاهد، ع 1445، 15 أبريل 1988، ص: 58.

إلى الدين والتمسك بتعاليمه. يقول الشيخ الإمام فيما يوضح هذه النظرة ويبين مفهومه للإصلاح: (**إن للأمة الجزائرية كغيرها من الأمم الإسلامية أسباب التأخر فيها لا ترجع إلى عهد قريب، ولا إلى سبب مباشر غير مخالفة الدين الذي بناه رب العزة على أحكم نظام، وأمتن أساس، وهيأ حوله الرغبة والرهبة ما لا عهد به لشعب، ولا لملك، بل ولا لأهل ملة.**)[1]

وإذا كان العربي التبسي قد حدد موطن الفساد فهو لم يغفل في الوقت ذاته الكيفية التي تتجاوز بها الأمة هذا الخلل، وهذا عن طريق دعوة أفرادها إلى الانتظام تحت مبدأ واحد، والالتفاف حول جامع فرد حتى يؤدي كل فرد في الأمة الدور الذي خلق لأجله، فالفرد هو أساس الإصلاح باعتباره لبنة أساسية في البناء الاجتماعي والحضاري، كما أنه النقطة الجوهرية في عملية النهضة، فصلاح الفرد هو المنطلق إلى صلاح الجماعة التي لا يريدها الدين الإسلامي إلا كالجسد الواحد والبنيان المرصوص، خصوصا إذا تعلق الأمر بهذا العصر الذي (**عطل الفرد، ونبذ حكمه وأمات مفعوله، وتجاهل وجوده. فأينما أملت سمعك، أو أرسلت نظرك في الشرق أو الغرب، لم تجد إلا أمة، فحزبا، فهيأة، منها وإليها كل شيء**)[2]

و لهذا بات من الضروري إصلاح الفرد حتى تصلح الجماعة، ويكون بناؤها متكاملا في انسجامه. وإصلاح الفرد مرتبط بتنمية قدراته العقلية و الإدراكية وفق التنشئة الإسلامية، وهذا عن طريق دعوة المسلمين إلى التمسك بالقرآن والسنة، وإتباع طريق السلف الصالح. يقول الإمام:(**فإن الدعوة الإصلاحية التي يقوم بها دعاة الإصلاح الإسلامي في العالم الإسلامي، وتقوم به جمعية العلماء المسلمين في القطر الجزائري خاصة، تتلخص في دعوة المسلمين إلى العلم والعمل بكتاب إلاههم، وسنة**

---

1 العربي التبسي: (هذه جزائركم تحتضر أيها الجزائريون)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص:41.

2 العربي التبسي: (أزفت ساعة الجماعة وتحرم الفرد)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص: 52.

نبيهم، والسير على منهاج السلف الصالح في أخلاقهم وعباداتهم القولية، و الاعتقادية والعلمية، وتطبيق ما هم عليه اليوم من عقائد، وأعمال وآداب على ما كان في عهد السلف الصالح، فمواقفه عددناها من دين الله فعملنا به...)[1]

و الارتباط بالدين على هذا النحو يتطلب أشياء أخرى هي الوسيلة إلى هذه الغاية المنتظرة من العمل الإصلاحي كما يفهمه ويقره الشيخ العربي التبسي. ولعل أبرز هذه الأشياء دعوة الناس إلى التأمل في حال الأمة، ومقارنتها بماضيها المجيد، أو بحال الأمم المتفوقة علينا حضاريا وسعيها الدائم والدائب من أجل ترسيخ التفوق الحضاري. فالمرحلة الأولى من هذا العمل هي الوقوف على سبب العلة، ثم تأتي بعدها مرحلة التقويم. يقول الشيخ فيما يوضح هذه المنهجية عنده: **(... ولا أذهب بك بعيدا أيها الشاب الجزائري فاسطر لك نبذا من التاريخ... ألق بصرك ذات اليمين وذات الشمال في وطنك الجزائر... متبينا كيف تجد قومك؟ وفيما يقطعون الأيام والليالي؟ وما هي حالة أمتك الاجتماعية؟ وقارن بينها وبين أهل الدنيا...)**[2]

وفي المقال نفسه وبعد هذه الدعوة إلى التأمل في حال الأمة ومقارنتها، يصل إلى الحث على الرجوع إلى اللغة العربية والعمل على إحيائها، بعد أن صارت إلى الرطانة والخلط. يقول: **(ولترد على اللغة العربية شبابها، وتحي ذكرها بكل الطرق والذرائع، وليفهم الشعب العربي الإسلامي الذي تحولت لغته إلى رطانة في منطقه، وخلط في مفرداته، حتى أصبح لسانه مزيجا: أن لا دين، ولا قومية، ولا أمة، ولا أي مقوم مميز للأمة إذا هي مضت فيما هي عليه من الجهل بلغتها...)**[3]

---

1 العربي التبسي: (مقدمة رسالة)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج 2، مصدر سابق، ص: 141.

2 العربي التبسي: (هذه جزائركم تحتضر أيها الجزائريون)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص:43.

3 المصدر نفسه، ص: 44.

وصفوة القول من هذا الكلام هي أن العربي التبسي وكما يبدو في هذه النماذج، ومن خلال كل كتاباته كان مفهومه الإصلاحي المنطلق إليه: النظر في حال الأمة، ثم مقارنتها بما كانت عليه، وبما هي عليه اليوم نظيراتها من الأمم المتحضرة، ثم الدعوة إلى التمسك بتعاليم الدين، وإحياء اللغة العربية. و الحق أن الشيخ العربي التبسي بهذا يتفق وما يقره علماء الاجتماع فيما يسمونه بالمقومات الشخصية للأمة.

وإذا كنا لحد الآن قد حاولنا الوقوف على مفهوم الإصلاح عند الشيخ من منطلق كتاباته التي هي محاولة للنهوض بالأمة وبعث اليقظة في أفراد شعبها، فإنه يمكننا الوقوف على مفهوم الإرشاد الذي قد نظر له الشيخ من خلال انشغاله بالعمل الإصلاحي نفسه.

أ - ب- مفهوم الوعظ والإرشاد عند الشيخ العربي التبسي:

إذا كان الإرشاد من الهداية و الدلالة و هو نقيض الغي والضلال،[1] فإن الوعظ من النصح والتذكير بالعواقب.[2] وبهذا فإن كلا منهما يعد غاية الأهمية لدى المصلح. و لذلك نجد الشيخ قد أعطاهما قدرا كبيرا من التحليل والمناقشة فيما تركه لنا من آثار. و قد تمت الإشارة قبل هذا الفصل إلى المواضيع التي كتب فيها الشيخ، ومنها مجموعتين كتابيتين الأولى عنونتها بـــ **(الإرشاد والإصلاح)**، أما الثانية فبـــ **(رمضان و الإرشاد)**.

و في تحديد مفهوم الإرشاد عند العربي التبسي يقول: **(الإرشاد اسم يدل ويفهم ما يفهمه قول النبي صلى الله عليه وسلم** «الدين النصيحة»، **فلنعتبر أن لفظ الإرشاد يساوي لفظ النصيحة قد حصر الدين فيها حصرا يكاد يكون حقيقيا.**

---

1 ينظر، ابن منظور: لسان العرب، م6، ط3، دار صادر،بيروت، لبنان،2004، ص: 158.

2 ينظر، ابن منظور: لسان العرب، م7 ص: 466.

و إن لاسم الإرشاد في لغة العرب، من صحة الإطلاق ما يعم جميع المنافع والخدمات الإنسانية، ما نجده في كل معجم من معاجم اللغة.

ذلك أن اللفظ في لغة العرب مصدر أرشد، إذا نصح ودل على خير، وهو ضد أغوى... فيكون الإرشاد إذن متناولا لكل ما ينفع، وأنواع النفع كثيرة، تتناول ما ينفع البدن في إقامة الحياة، وطرق المعايش، وما يقدم العقل وينوره وينصحه ويزكيه، وفي زكاء العقل زرع للأخلاق الفاضلة، وبث للآداب الطاهرة، فبالإرشاد الحق من المرشدين البصراء ذوي النيات الصادقة، استقامت الحياة البدنية على أسس متينة قوية، وتثقفت العقول بالثقافتين الدينية الملقاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والثقافة الدراسية المأخوذة عن أهلها من علماء الإنسانية.)[1]

و واضح من هذا الطرح أن الكاتب كان منهجيا في مناقشته التي كان المنطلق إليها هو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم معنى الكلمة كما نجده في المعجم، وإن كان الشيخ هنا قد جمع بين الوعظ الذي هو النصح، والإرشاد الدال على الهداية والدلالة، ليصل بعدها إلى الأثر الذي يتركه هذا الفعل على مستوى الحياة، والمعاش، وطريقة التفكير، ثم ما ينتج عن هذا من أخلاق فاضلة وآداب طاهرة.

بل إن العربي التبسي لا يقف عند هذا الحد في منقاشته لمفهوم الإرشاد إذ يجعله، أو يجعل منه الأساس في كل خير كان دينيا أو دنيويا. يقول الشيخ: **(فهل الإرشاد إلا أن يدل البصير الأعمى فيهتدي إلى الطرق وينتهي إلى وجهته، وهل الإرشاد إلا أن يأخذ الطبيب يد العليل فيضعها على الداء تعريفا به ثم يرشده إلى طرق العلاج فإذا هو صحيح كأن لم يمرض؟**

و هل الإرشاد إلا أن يلقن الحكيم حكمته تلاميذه، وهل الإرشاد إلا أن يبصر المربي مريديه عيوبهم، فإذا هم كمثله، وهل المرشدون إلا أولئك الذين سميهم العلم شيوخ الإنسانية الفاضلة؟ وإذا كانت مترلة الإرشاد هي تربية الشعوب، كما وصفنا وفوق ذلك... ومن ذا

[1] العربي التبسي: (الإرشاد العام)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلاميةفي الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 24.

الذي لا يقول أن كل فضيلة نبتت في الأرض أو نزلت من السماء فإنما تبقى وتنمو إذا سقيت شجرتها بماء الإرشاد، فهو الماء الذي يحمل مادة الحياة لكل فضيلة دينية أو حيوية.)[1]

و لما كانت هذه هي أهمية الإرشاد في ارتباطه بمنافع الدين والدنيا فإن الشيخ وبحكم توجهه في الحديث عن الإرشاد الديني، لأنه ــ حسب ما يذهب إليه ــ هو مهمة جمعية العلماء المسلمين. وفي هذا يربط الإرشاد بوظيفة الأنبياء والمرسلين وإرث العلماء والمصلحين. فهو ــ أي الإرشاد ــ حاجة دينية، وهذا ما يوضحه عنوان إحدى نصوصه الذي هو: **(الحاجة إلى الإرشاد وتوقف الإسلام عليه)**. يقول في مقدمته: **(إن حاجة المسلم والإسلام إلى الإرشاد لحاجة تتوقف عليها حياتهما ذلك أن هذه الأمة المسلمة الجزائرية تقوم ديانتها عقائد وأعمالا وأخلاقا وآدابا على أصول وفروع علمية لا يمكن للمسلم أن يأتي بها كفاية له معدودة من دينه، إلا إذا أخذها عن علم وبصيرة وفقه ونظر، لأن هذا الدين قد وضع في أول ما وضع في أصوله: العلم قبل العمل.)**[2]

لذلك فقد ظلت الحاجة إلى الإرشاد حاجة المجتمع إلى العلم والتعلم، العلم بمقومات الشعوب الموروثة عن الأجيال السابقة له والتي تمثل امتداده الحضاري في التاريخ، و تعليمها للأجيال التي تمثل حاضر ومستقبل الأمة خصوصا إذا تعلق الأمر بالإسلام الذي تخالف عوائد المجتمع تعاليمه أو تزيد عليها، فهو مصدر الأخلاق والآداب وهذا ما يمثل الحاجة إلى الإرشاد، ويجعل منه ميزة وخاصة وواجبا إسلاميا.

و الحق أن هذا الكلام، كان المكلف به هم صفوة العلماء من الحركة الإصلاحية في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولذا نجده يختم النص وهو

---

[1] العربي التبسي: (سعادة و شقاء)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلاميةفي الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص:25.

[2] العربي التبسي: (الحاجة إلى الإرشاد وتوقف الإسلام عليه)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلاميةفي الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص: 27.

يركز على وجوب مثل هذا الجهد يقول: **(فعليكم – أيها العلماء ـــ أن تقوموا بهذا الواجب العظيم امتثالا للإسلام وخدمة له، وعملا بقول صاحبه** «بلغوا عني بلغوا عني»**)**[1]

و خاتمة هذا النص هي مقدمة النص الذي يليه في حديث الكاتب عن الإرشاد الديني، وهي كما تمت الإشارة تأكيد عن وجوب هذا العمل. الذي يزيده تأكيدا عنوان النص التالي، حيث وسمه بـــ **(وجوب القيام بالإرشاد شرعا)**، والوجوب في اللغة هو مصدر للفعل وجب وكما هو معلوم فإن المصدر اسم دال على حدث مجرد من الزمن، ودلالته في العنوان تعني ارتباط هذا العمل بحياة الإنسان المسلم في أي زمان كانت و أي مكان، وهذا ما نفهمه من مقدمة النص وفيها يقول: **(إذا كان من أول القضايا الأصولية الصحيحة أن ما لم يقم الواجب إلا به فهو واجب، فإن الإرشاد الذي لا تصح عقيدة، ولا عبادة، ولا معاملة إلا به فهو واجب أيضا.)**[2]

ويذهب في ذات النص إلى أن وجوب الإرشاد مرده الحاجة الاجتماعية، فهو الكفيل بحفظ الفرد والجماعة من مساوئ الأخلاق والوقوع فيما يضرهما دينا ودنيا. ومن ثمة فهو واجب على العلماء. يقول: **(... أفلا يكون الإرشاد الإسلامي الذي يحفظ الفرد والجماعة من مساوئ الأخلاق والوقوع فيما يضرهم دينا ودنيا، واجب على العلماء؟)**[3]

فالعربي التبسي قد تحدث في مفهوم الإرشاد عامة ثم خصص حديثه في مفهوم الإرشاد الديني بوصفه مرشدا دينيا، ثم تحدث عن الحاجة إليه، فوجوب القيام به كما يشير إلى وسائله الناجعة، أو الوسائل التي تجعل منه عملا علميا ومنها المحاضرة والمحادثة والكتابات... يقول:**(إن الإسلام يوجب عليكم أن تبلغوه،**

---

[1] المصدر نفسه، ص: 28.

[2] العربي التبسي: (وجوب القيام بالإرشاد)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلاميةفي الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص:29.

[3] المصدر نفسه، ص:30.

أصوله وفروعه، أخلاقه، وآدابه بكل وسائل التبليغ من دراسة ومحاضرات، ومحادثات وكتابات، حتى تكون هذه الأمة قد تلقت دينها تلقيا علميا.)[1]

و الحق أن العربي التبسي من خلال هذه المفاهيم التي تمثل موقفا نحو الأمة حسب ما يراه لازما قصد النهوض بها، لم يجعله ينسى أنه في وطن، السيد فيه (إداريا) هو الاستعمار. الشيء الذي يزيد هذا العمل تحديا، خصوصا إذا تعلق الأمر بالاستعمار الفرنسي وسياسته الهادفة منذ دخوله الجزائر إلى نسف الشخصية الجزائرية.

ولهذا نجد الشيخ يضمن حديثه عن الإرشاد هذا الكلام: (**... إن من ينكر علينا إرشاد أمتنا وتعليم أبنائنا وإخواننا لغتهم ودينهم وعوائدهم الإسلامية فقد أراد بهذا المنع في نفس الأمر ومنطق القول أن نترك ديننا يضيع، وأمتنا جاهلة و أخلاقنا فاسدة، وتحويلها من تاريخها القديم إلي شيء آخر يضمره هو، ويفصح عن إنكاره ومنعه لنا، وإننا لا يمكننا أن نترك ديننا وعلومه مادام دم الإسلام يجري في عروقنا، والله يشهد أن من يعترض على علماء الإسلام قيامهم بوظيفة الوعظ والإرشاد في هذا الوطن، لهو الظلم ظلما لا تعرفه الإنسانية قيل اليوم.)**[2]

و لعل هذا القول كما نفهم منه وعي من العربي التبسي بحقيقة ما تعانيه الجزائر، وبسبب هذه المعاناة، فالجهل والضلالة والحياد عن تعليم الإسلام ليس من عدم وإنما هناك قوة سعت إلى العمل على ترسيخه حتى صار واقعا معيشا. وهذا ما يفسر أن هناك وعيا تاريخيا ولد هذا النموذج من المقاومة الثقافية الذي كان البديل الصحيح للطرقية التي صارت تميل إلى الشعوذة والإيهام المضلل للجماهير الشعبية نتيجة افتقارها للرؤية العلمية التي حرص عليها التيار البديل.

---

[1] المصدر نفسه، ص:30.

[2] العربي التبسي: (وجوب القيام بالإرشاد)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلاميةفي الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص:31.

إضافة إلى أن هذا الكلام موقف رافض للحضارة الغربية الفرنسية، من خلال الإشارة إلى ظلمها، وهو يتجاوز الجزائريين إلى الإنسانية والشيخ العربي ليس بالذي لا يعرف ردة الاستعمار على مثل هذه المواقف الإصلاحية الرافضة للاستعمار من خلال دعوتها الدينية، ومن خلال الإشارة إلى حملات التبشير المسيحية في أكثر من مقال، ومنها هذا الكلام الذي جاء قبل القول السابق يقول: **(... كلكم يعلم أن دعاة الأديان الأخرى غير المسلمين، يقومون – دعوة إلى دينهم – بالرحلات لأقصى الجهات، وأبعد الأمم عنهم لغة ودينا لعلهم يدخلون في دينهم، من لم يكن يسمع بهم، وهم في سبيل الدعوة إلى دينهم يؤسسون الكليات العلمية، ويشيدون المستشفيات الضخمة، ويبنون الملاجئ والمطاعم، وينفقون على ذلك الملايين، ويركبون الصعاب، ويقتحمون المهالك، كل ذلك دعوة إلى دينهم وأملا منهم أن يكسبوا ربحا جديدا هو دخول بعض الأفراد إلى دينهم.)**[1]

وبعد الحديث عن وجود الإرشاد، وتوضيحه، ينتقل العربي التبسي إلى الحديث عن الحالة التي كان عليها قبل اليوم، فيبين الكيفية التي كان بها السلف يمارسون هذا العمل الإصلاحي، ثم الكيفية التي آل إليها اليوم بعد أن صار الجاهل عالما وتبدلت الأمة الإسلامية، وفقدت مرشديها، الشيء الذي جعلها إلى الموت أقرب منها إلى الحياة. وإن كان العربي التبسي قد صور حال الأمة الذي هو من حال فتور الإرشاد، فإنه في آخر نص هذه المجموعة يعطي تصورا لما ينبغي أن يكون عليه الإرشاد، وهذا بدعوة مشايخ الجمعية إلى وضع برنامج للوعظ يسيرون على منهجه ويبصرون بضوئه، ويراه الشيخ هداية لكل أفراد الأمة مهما اختلفوا في الجنس أو السن، وهذا بتعليمهم الدين الإسلامي: عباداته ومعاملاته عن طريق تدريسهم القرآن والسنة والسيرة، ووجوب تجنب الانسياق

---

[1]العربي التبسي: (وجوب القيام بالإرشاد)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلاميةفي الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص:31.

وراء العوائد ومحاكاة الطرق الفاسدة. فعلى المرشد أن يكون دارسا لكتاب الله عز وجل، وعارفا بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. يقول الشيخ: (**إن هذا الإرشاد الذي يجب القيام به تبليغا للدين نيابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم يجب أن يكون مستمدا من أصول التشريع الإسلامي التي هي الكتاب الحكيم، والسيرة النبوية، والسنة المطهرة، وهدي السلف الصالح، و فهوم أئمة الإسلام الذين يحكون أصول الدين في أقوالهم وآرائهم، ويقولون: كل راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر، إشارة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم...**

فعلى هذه الأصول التي هي مصدر التشريع الإسلامي يبنى الإرشاد الديني، فنفسر آيات الكتاب تفسيرا تقبله اللغة، ويتماشى مع أساليب الكلام العربي، ويساير قصد الشارع في الغرض الذي جاءت الآيات له ولا يخالف ذلك التفسير ما ثبت قيمنا من أصول الدين وفروعه.

... وبحكم أن السنة شارحة للقرآن لا يصح لمرشد أن يستغني أو يجهل السنة، فمن لا إطلاع له على كتب السنة، ولا خبرة له بأقوال علماء السلف لا يصح أن يعد من ورثة الأنبياء لأن الإرث يدخل فيما كانوا قائمين به.)[1]

وإضافة إلى وجوب الإطلاع و التعرف على الكتاب والسنة وأقوال السلف، لابد على المرشد أن يستعمل كل ما يمكنه من توصيل هذه المعارف الدينية كالاختلاط بالجماهير، والمحاضرات في النوادي والمجتمعات، وحتى بشد الرحال إلى الجهات التي يمكن أن يسافر إليها الواعظ، كما يجب على المرشد كذلك أن يبدأ بنفسه فيهذبها ويلزمها آداب الإسلام حتى يكون قدوة، ولا يترك مجالا لأن ترد عليه كلمته لأنه أولى بها ممن يقولها فيهم، يقول الكاتب: (**وليكن في رجال الجمعية من يحي الدين في قلوب هذا الجمهور بكل وسيلة تمكنهم، كالاختلاط بالمجهول سواء كان الاختلاط بواسطة المحاضرات في النوادي والمجمعات أم بشد الرحال إلى الجهات التي يمكن أن يسافر إليها الواعظ... ولأجل أن يتم الإرشاد، ويحصل النفع بإرشاد المرشدين، وتكون كلمة المرشد مقبولة، يجب عليه أن يهذب نفسه، ويحاسبها في يومها وليلها، ويعرض أعماله**

[1] العربي التبسي: (ما ينبغي أن يكون عليه الإرشاد)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلاميةفي الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص:37.

وأخلاقه على أصول الدين، وفروعه، وسيرة أئمة الإسلام الذين بهم وصلنا هذا الدين، وعنهم أخذت أحكام الإسلام.

فإذا حاسب نفسه وراقب ربه، وعمل بأدلة الدين، وألزم نفسه آداب أئمة الإسلام الذين هم سلف الأمة، في كل خير كانت موعظته العامة، ولغيرهم، لها الأثر الحسن، ونتائجها الطيبة، ومفهومها العاجل، ولم يكن لأحد أن يقول له: داو نفسك المريضة قبل أن تداوي غيرك.)[1]

وخلاصة القول في مفهوم الإرشاد الديني عند العربي التبسي هو: أنه مقابل للنصح والتوجيه عن طرق تعريف الناس بدينهم وتوجيههم إلى ما ينفعهم، وبذلك فهو وسيلة تربوية إصلاحية يستعملها المرشدون في إصلاح حال أمتهم والنهوض بها من خلال العمل على بناء مجتمع متماسك ــ كما يفترض أن يكون عليه في الدين الإسلامي ــ إن اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

و مثل هذا العمل لا يتحقق إلا إذا كان المرشد في مستوى الإرشاد، لذلك يرى الشيخ أنه لا يكون إلا وفق شروط تقتضيها طبيعة الدعوة الإصلاحية وهي:

- فهم القرآن والإطلاع على السنة النبوية الشريفة، وسيرة السلف.
- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين ومن نقوم بوعظهم.
- تكييف الدعوة وفق إطارها التاريخي والثقافي.
- التزام المرشد نفسه بتعاليم الدين الإسلامي وعدم خروجه عنها حتى يكون نموذجا للمسلم.

---

[1] المصدر السابق، ص:39.

ب - صورة الأنا والآخر في آثار الشيخ:

تمهيد:

إذا كانت كتابات الشيخ العربي التبسي من فني المقالة أو الخطابة، فإنها وكما رأينا فيما سبق كتابات تعبير عن رأي، وإبراز وجهة نظر، بل ووسيلة دفاع عن هذه الآراء ووجهات النظر.

و إذا كان الشيخ العربي التبسي قد التزم مجموعة من المواقف، وعمل على الدفاع من أجل فرضها بالعمل على ترسيخها في الأوساط الجزائرية على تباين مستوياتها. فإن هذه الكتابات على تنوع موضوعاتها والمنصبة في إطار الإصلاح الديني ومن ثمة الاجتماعي والسياسي... كانت تحمل مجموعة من الصور هي انعكاس لما كان يحياه الشيخ العربي فيتأثر به ويعمل على التأثير فيه.

و قبل أن نبدأ الحديث عن هذه الصور في آثار الكاتب لابد من التعريج على مفهوم الصورة، و موقع هذا المفهوم في حقل الدراسات النقدية.*

---

* يندرج هذا النوع من الدراسات (الصورة) ضمن مباحث الأدب المقارن، ينظر، محمد غنيمي هلال الأدب المقارن، ط5، دار العودة، بيروت، ص:419.

إن حظ هذا النوع من الدراسات كان وافرا لدى الغرب على خلاف ما كان موجودا عند العرب، خصوصا بعد أن قدمت سليفان مارادون كتابها (صورة فرنسا في انجلترا الفيكتورية)(L'image de la France dans l'angleterre victorienne) وهي في عملها هذا تبرز كيف أن الشعب يحمل صورة عن شعب ما دون آخر للاهتمام به.

ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن الإنسان لا يهتم بكل الناس، وإنما بأقربهم بحكم الجوار والقرابة، أو الزمالة، أو التعامل التجاري، أو أي شكل من العلاقات.[1]

والجامعات الغربية حافلة بهذا النوع من الدراسات، وخاصة الجامعات الفرنسية،[*] باعتبارها مهد الأدب المقارن، فغي ميشو له فضل تسمية هذه الدراسات بعيون الصورة، وينسبها إلى الأدب المقارن يقول في هذا الصدد: **(ليس من المبالغة التركيز على هذا النوع من الأدب المقارن الذي يسمى علم الصورة، والذي يدرس من خلال الوثائق المكتوبة تقديم الشعوب لبعضها البعض.)**[2]

و يشاطراه الرأي نفسه كلود بيشوا، وأندري روسو وسيمون جون، غير أن هذا يؤكد شرط التأثير والتأثر في الأدب المقارن يقول: **(التأثير الذي سنتحدث عنه مختلف رغم وقوعه دوما في الأدباء فقط، فإنه ليس من نفس النوع، فلم يعد ثمة عمل أدبي يحدث تأثيرا، بل شعب بأكمله، البلد كله يحدث التأثير، وأدباء شعب آخر يتلقون الصورة أو الظل.)**[3]

---

[1] عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص: 68.

[*] غير أن هذا النوع من الدراسات صار يلقى اهتمام العديد من الدارسين بما فيهم العرب، وهذا قصد الوقوف على موقف الحضارات بعضها من بعض.

[2] عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، مرجع سابق، 63.

[3] المرجع نفسه، ص: 63.

والحق أن الدارسين للأدب المقارن اجمعوا على التسمية نفسها (**علم الصورة**) أو (**الصورولوجيا**) Imagologie وكذا نسبته إلى الأدب المقارن، كذلك أكد جميعهم على شرط التأثير الذي يعتبر عماد الدراسات النقدية، غير أن الاختلاف كان حول مفهوم الصورة أو تعريفها فكل يراها من منظاره.

و الباحث لهجومري عبد الجليل في كتابه (**صورة المغرب في الأدب الفرنسي**) يعرف الصورة أنها حصر للمشاكل والاختلافات الحقيقية في إطار ضيق جدا، والصورة عنده هي ملتقى الحضارات والثقافات وتصور الجماعات بعضها لبعض.[1]

والصورة عند سلفان مارادون: (**هي كل ما في الذهن حول ذلك الشعب**)[2] كما عرفتها بأنها (**تمثيل يعتمد على معلومات شبه ثابتة ذات طابع عام ومعقول ولها شيء من الواقع المحسوس.**)[3]

أما كلود بيشوا وروسو فيريان أن الصورة: (**تصور فردي أو جماعي تدخل فيه عوامل ثقافية وشعورية موضوعية وذاتية.**)[4]

بينما حنون عبد المجيد لم يستقر على تصور واحد لمفهوم الصورة، فالصورة عنده تعني تمثيلا معقولا وأمينا، ويرى أنه إذا اعتبرنا أن الصورة هي كل ما يتصوره شعب عن شعب آخر، فإننا سنقع في مشكلة تحديد هذا الكل إن كان صادقا أم مخطئا، من أين يبدأ وأين نهايته، وهل هو حقيقي أو مشوب بالخيال؟ و يحاول أن يكون أكثر تدقيقا فيقول: (**إن الصورة لا تطابق الواقع الحقيقي**

---

[1] Voir .Lahjomri Abd Aldjalil : L'image de Maroc dans la littératures Française, s.n.e.d ; Alger ; 1973 ;p :10.

[2] عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، مرجع سابق، ص: 82.

[3] المرجع نفسه، ص: 82.

[4] المرجع نفسه، ص: 82.

وليست شديدة القرب منه ولكنها ليست مختلفة عنه تمام الاختلاف، إنها رؤية معقولة لشعب عند شعب آخر تعتمد على عوامل عقلية وأخرى مادية موضوعية وذاتية.)[1]

و يؤكد أن كلمة تصور هي الأدق في الدلالة إذا ما أردنا تعريف الصورة، لأن تصورها لا يعني مطابقته للواقع ولا الاختلاف عنه فهو: **(تصور شعب بعينه لشعب بذاته.)**[2]

من خلال الطرح السابق نخلص إلى أن الصورة هي: ما يحمله شعب عن شعب آخر. بحكم أن الصورة شيء شامل جامع لكل ما قد يخطر ببال المرء عندما يتصور آخر من مشاهدات أو إشاعات أو أحكام مسبقة، أو حتى طرائف... وقد لا تكون هذه العناصر المكونة للصورة صادقة، وفي آن واحد ليست بكاذبة أو خاطئة، وإنما تحمل شيئا من هذا أو ذاك، المهم أنها تصور بتجلي في شكل عملية ذهنية قد يكون صادقا كما قد يكون غير منزه عن العوامل الذاتية، إن كان الشعب المتصور يعود بالدرجة الأولى إلى ميوله وأهوائه ومصالحه وعقيدته وكل مقوماته في تصور شعب آخر. ولعل أصح هذه المقومات المعتمدة جميعا العلاقة التاريخية التي تتخذ كمعيار أساسي في الحكم والتصور، كدليل على ذاتية الأحكام والتصورات، إذ أن إيجابية الصورة لدى شعب عن آخر، قد تكون سلبية عند شعب آخر عن الشعب نفسه.

لذلك أشير إلى أن الصورة ــ كتصور ذهني يختلف عن ذات الشيء من شخص إلى آخر أو مجتمع إلى مجتمع آخر ــ تشتغل على مستويين، يمكن أن نصطلح عليهما:*

---

[1] المرجع نفسه، ص: 82.

[2] المرجع نفسه، ص: 82.

* ورد استعمال كل من مصطلح (الإبهام/ الإفهام) في حديث سيزا قاسم عن أساليب الوصف. ينظر، سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984، ص: 82.

1 - التصور الإيهامي

2 - التصور الإفهامي

أما الأول: فمجاله الأعمال الأدبية الأكثر ارتكازا على الخيال من مثل الرواية والقصة... الشيء الذي يسمح لصاحبها بالانزياح عن الواقع، خصوصا إذا تعلق الأمر بمصور غير منزه عن العوامل الذاتية في تصويره للآخر.

بينما **الثاني**: فمجاله الأعمال الأدبية التي يغلب عليها الطابع الفكري وهذا كالمقال والخطابة... لكون هذا النوع من الأدب أكثر ارتباطا بالواقع والمنطق، أي بما يقتضي الانعكاس الحقيقي للحياة.

و الحق أن المقارنين يهملون في الصورة ما إن كانت حقيقة أم نمطية، إنما الذي يهمهم في دراستهم لها هو: مدى دقة التصوير فيها في أدب الشعب أو الأديب الذي يدرسونه، و لذلك نجدهم يقسمونها على أساس عملية التأثير والتأثر أو ما يمكن أن نسميه بزاوية النظر إلي:[1]

1- النظرة الأفقية: وفيها تصور شعب متحضر إلى شعب آخر في مثل حضارته.

2- النظرة الرأسية: وفيها تصور شعب متحضر إلى شعب أقل حضارة.

3- النظرة العكسية: وفيها تصور شعب أقل حضارة إلى شعب أكثر منه حضارة.

وكتابات العربي التبسي وما توحي به من صور تجعلنا نتخيل الآخر فرنسا، هي نظرة عكسية حسب التقسيم السابق، إذا سلمتنا الحقيقة التاريخية أن فرنسا الدولة المستعمرة تمثل الحضارة أو الأكثر تحضرا، بينما الجزائر الدولة

[1] عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، مرجع سابق، ص: 70.

المستعمرة تمثل التخلف أو الأقل تحضرا. فكيف تجسدت صورة هذا الآخر الحضارة/الاستعمار؟ هل هي ذات الآخر؟ أم أنها بناء في المخيال أو في الخطاب؟ وبالتالي هي انعكاس للصراع الحضاري الفرنسي الجزائري.

أ - صورة فرنسا الاستعمار/الحضارة:

والحديث عن صورة الآخر (**الاستعمار**) في كتابات العربي التبسي ليس حديثا عن الإنسان الفرنسي كشخص أو الأوروبي الذي ينعكس طبعه أو صورته في اتصاله بالجزائريين، بقدر ما سيتمثل في مؤسسة استعمارية فرضت قانونا حياتيا زاد من الهوة الحضارية بين الناظر والمنظور إليه.

ورسم صورة لهذا الكيان الاستعماري (**الآخر**) وفق هذا النمط الداعي إليه هو طبيعة الجنس الأدبي أو مجال الصورة الذي تشتغل عليه، فالدراسات النقدية التي تبنت هذا الطرح (**دراسة الصورة**) كانت أكثر ارتباطا بالنصوص السردية؛ على وجه التحديد: الرواية والقصة، فيما بعد الأعمال المسرحية، وفي أبعد أحوالها الشعرية... أما المقالة والخطابة فقد ظلا بعيدين عن هذا النوع من الدراسات، بحكم غلبة الفكر عليها أولا، ثم طبيعة بنائها الذي لا يستوعب الصورة على حد ما نجده في الأنواع الأدبية الأخرى السالفة الذكر.*

والحق أن قراءة في هذا النوع من الكتابات كما تتجلى في آثار الشيخ العربي، يعكس خصوبة هذا الحقل لمثل هذا النوع من الدراسات وبصورة أكثر وعيا منها في الأشكال الأدبية الأخرى، وهذا نتيجة ما للوعي الذي تتطلبه هذه الكتابات في تعبيرها عن أفكار كاتبيها. فتصوير الآخر ولو سلمنا ــ على زعم أصحاب هذا النوع من الدراسات بعدم جدوى البحث عن السبب من وراء هذا

---

* الحكم مرتبط بحد علم الباحث.

التصوير ــ يتطلب وعيا بالذات أولاً وهو ما يتطلب الوعي بالآخر ثانيا. فلا وجود للآخر إلا بعد أن يوجد الأنا كتمثيل لدعوة حضور الآخر.[1]

و تصوير العربي التبسي لفرنسا الأوروبية الغربية، جاء على اتجاهين يمثلان الجمع بين ضدين هما صورة الحضارة (الديموقراطية)، ثم الاستعمار (الوحشية، البدائية...)، فكيف كان كل من الصورتين ثم كيف كان الجمع بينهما؟

وإذا أردنا الوقوف على الأنا الواعي في آثار العربي التبسي من خلال ما يتعلق برؤيته للذات والآخر، فإنه يمكن حصر هذا الأنا في شخص العربي التبسي الذي هو جزء من أنا الذات الجزائرية ذات التوجه الإصلاحي الرافض لكل ما يجعلها تذوب في ذات الآخر.

وهذا الآخر مثلما تصوره هذه الكتابات جاء وفق نماذج متعددة بتعدد صوره الممتدة على كل كتابات الشيخ العربي التبسي، إلا أن تعددها كان يصب في خانة واحدة، يتمثل من خلالها الكيان الاستعماري الذي يطول حتى حديث الشيخ عن فرنسا الحضارة أو الغرب بصفة عامة.

و بلغة الإحصاء، فإن صورة فرنسا قد وردت في حوالي إحدى وعشرين موضعا من كل كتابات العربي التبسي، وهذا ما يمكن توضيحه بالجدول التالي:

(جدول رقم:2) صورة فرنسا في كتابات الشيخ العربي التبسي.

الرقم	النـــــص	الصـــــورة
01	ألا أيها النوام ويحكم هبوا.	- صورة جمعيات التبشير وسماها بالعصابة، وتصر على العمل رغم العوائق الجمة المعترضة لطريقها.

[1] ينظر، جان فارو: (الآخر بما هو اختراع تارخي)، مقال من: صورة الآخر العربي ناظرا و منظورا إليه، تحرير الطاهر لبيب، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1999، ص: 45.

02	الجزائر تصيح بك أيها الجزائري أينما كنت.	- صورة الغرب الحضارية كما تتجلى من خلال وسائل الإعلام، والاهتمام بالعلم والمعرفة.
03	إعداد الوسائل للعناية بالمجتمع.	- صورة فرنسا الحضارة وما تتغنى به من مبادئ كحرية العلم وحرية الدين، وحرية المعابد، وحرية المعتقد...
04	مقدمة رسالة.	- صورة فرنسا الاستعمار (الغلو في الظلم والاستبداد.).
05	دين في ذمة أمة يقضى (1).	- صورة فرنسا الاستعمار (السلب، النهب، الاضطهاد.).
06	دين في ذمة أمة يقضى (2).	- صورة فرنسا الاستعمار (اضطهاد الثقافة الجزائرية الإسلامية). - صورة فرنسا الاستعمار (الجور، الاعتداء على الحريات).
07	ما يجب أن يكون عليه المعهد في السنة الآتية ونصيب الأمة في تهيئه ذلك الواجب.	- صورة الاستعمار (الإجرام في حق الإنسانية). - صورة فرنسا الحضارة المناقضة لصورة فرنسا الاستعمار التي تعمل على التفريق بين الجزائريين.

		- صورة فرنسا الاستعمار (حيوان مسلح).
08	حفل انتهاء السنة.	- صورة فرنسا العلمية المادية.
09	خطاب يوم 19 أوت 1951 في اجتماع الجبهة.	- صورة فرنسا الاحتلال. - صورة فرنسا الغالبة للجزائريين. - صورة فرنسا الاستعمار: القسوة، العبث الاستخفاف، السخرية، واحتقار المسلمين وإنكار حقوق الإنسانية. - صورة فرنسا الجائرة الظالمة.
10	خطاب في الاحتفال بختم الدروس في معهد عبد الحميد بن باديس.	- صورة فرنسا الطاغية الظالمة. - صورة فرنسا الحضارة/فرنسا الاستعمار. - فرنسا الفرعونية. - فرنسا الاستغلالية. - فرنسا العدوانية. - صورة الحكومة الفرنسية المغتصبة.
11	خطاب في ختام أعمال المجلس الإداري لجمعية العلماء.	- صورة فرنسا العدائية للإسلام. - صورة التآمر الفرنسي عل الإسلام

12	هل الحكومة تستعد بنقض وعدها بإنصاف الدين الإسلامي؟.	- فرنسا الخائنة للوعود. - فرنسا القسوة والشدة والجور.
13	افتتاح دروس المعهد الباديسي (1).	- صورة فرنسا العادلة. - صورة فرنسا الوحش. - صورة فرنسا مصدر الشر.
14	افتتاح دروس المعهد الباديسي (2).	- صورة فرنسا المهزومة. - صورة فرنسا الظلم. - صورة فرنسا اللاعدالة. - صورة فرنسا الاستعمار.
15	مواعيظ ليالي رمضان واجب ديني على العلماء(3)	- صورة الوجود الفرنسي.
16	مواعيظ ليالي رمضان واجب ديني على العلماء (4).	- صورة الاستعمار الحاقد الحاسد الفرعوني. - صورة الاستعمار الملحد الاستغلالي. - صورة الاستعمار العصبي العنصري. - صورة الاستعمار الظالم المستبد.
17	فصل الحكومة الجزائرية عن المساجد.	- صورة الاستعمار العنصري.

18	تقرير السيد مصباح لا يصلح أن يكون أساسا للنظر في فصل الدين عن الدولة (2).	- صورة فرنسا المشوهة للديموقراطية، والغير معتدلة.
19	تقرير السيد مصباح لا يصلح أن يكون أساسا للنظر في فصل الدين عن الدولة (3).	- صورة الاستعمار المضطهد للدين الإسلامي.
20	فصل الدين عن الدولة (5).	- صورة الفرنسي الغاصب للأوقاف والأملاك العامة. - صورة الفرنسي الظالم.
21	بيان عن إصرار الحكومة الفرنسية على تولي اغتصاب المساجد والأوقاف وافتكاكها لحق المسلمين لإقامة الشعائر الدينية الجماعية في مساجدهم.	- صورة علاقة الاستعمار بالمستعمرين. - صورة فرنسا الديموقراطية (فرنسا الحضارة) / وصورة فرنسا الاستعمارية الغليظة القاسية على الإسلام الشديدة الوطأة عليه. - صورة فرنسا الاستعمارية الناكرة الحق. - صورة فرنسا الطامسة لمعالم الإسلام وإبعاد الناس عنه.

وبهذا يمكن القول أن كتابات العربي التبسي قدمت صورة لفرنسا ما بين الحضارية والاستعمارية، إلا أن الملاحظ على هذه المزاوجة بين الحضارة والاستعمار هو إثبات للآخر الاستعماري، لأن العربي لم يكن يَذْكُر حضارة

فرنسا وإنما كان يُذَكِرُ بها وهي تعمل على حصار الشعب الجزائري من خلال العمل على هدم كل مقوماته (التاريخ- الدين- اللغة).

وبهذا فقد كان من الطبيعي أن تهيمن صورة الاستعمار الوحشي على مخيال الشيخ العربي من خلال هذه الكتابات، حيث ورد ذكر فرنسا الحضارة ست مرات من أصل واحدة وعشرين مرة، وبذلك فإن فرنسا الاستعمار قد شغلت نسبة 71٪ من مجموع الصور الواردة عن فرنسا.

وإن كانت فرنسا الحضارة تنحصر في مجموعة من الصفات هي: (الاهتمام بالعلم، المعرفة، المناداة بحرية العلم والمعتقد، العدالة، الديموقراطية.) أو ما يمكن حصره في مبادئ الثورة الفرنسية (الأخوة/العدالة/المساواة)، فإن صورتها الاستعمارية قد توزعت على العديد من الصفات تستدعيها الحالة الشعورية التي يريد الكاتب أن يعبر عنها ويمكن حصرها في:

- فرنسا الاستعمار أو الاحتلال المتصفة بـــ: (الغلو، الظلم، الاستبداد، السلب، النهب، الاضطهاد، الاغتصاب، العدائية، الخيانة، الإلحاد...)
- فرنسا العصابة وهذا في حديثه عن جمعيات التبشير الفرنسية.
- إضافة إلى أنه قد وسمها بالحيوان المسلح، الوحش.
- كما أنه ولمرة واحدة وصفها بالانهزامية و المهزومة.

وكما هو واضح فإن من هذه الصور ما هو طبيعي بالنظر إلى السياق الذي وردت فيه، إلا أن هناك من الصور ما يبين جرأة الرجل وشدة انفعاله حين يتحدث عن مظالم هذا الاستعمار، وهو ما يعكس بدوره صورة المواجهة العنيفة التي كانت تحدث بين الاستعمار ورجال الإصلاح في جمعية العلماء المسلمين. ومنها وصف الاستعمار الذي يمثل السيد بالنسبة للجزائريين في تلك المرحلة بالحيوان والوحش. وهذا ما نمثل له في كتابات العربي التبسي بما جاء في قوله:

(إننا من أتباع محمد لا من أتباع الحكومة التي ترتزق من هذه الجرائم، وإن أوائلنا لم يتركوا المدرسة الإنسانية مجردة من المدد، بل كانت و ما تزال عينة في جميع بلاد الله، إلا في شعب تحتله فرنسا، وقد انقلبت فرنسا العادلة إلى وحش في معاملة الشعب الجزائري، ونحن نقول لفرنسا الميزة التي لم نعرف منها إلا الشر: كوني عاقلة معنا، فإننا لم نستطع أن نفسر احترامك للإسلام!!!)[1]

فالعربي التبسي كما هو واضح جريء من خلال نفيه انتماء الشعب الجزائري إلى فرنسا، وجريء في وصف فرنسا بالمرتزقة، ثم تصويرها وهي العدالة المنقلبة إلى وحش لا يُعْرَفُ منه إلا الشر. وهذا ما يمكن أن نسميه وعي بالآخر الوحشي الرهيب، ثم وعي في ذات الوقت بالأنا المضطهد والضحية.

وكتابات العربي كثيرا ما تستدعي صورة الجزائر الانهزامية أمام المستعمر فرنسا ومن ذلك هذه الصورة التي توضح صورة الاستعمار والعلاقة بينه وبين المستعمرين، يقول الشيخ: **(لكن فرنسا المستعمرة للجزائر، والجزائر المستعمرة لفرنسا لم يكن الأمر بينهما على ما عرف بين الغالبين والمغلوبين، غلبت فرنسا الجزائر و افتكتها من حكومتها الشرعية التركية، حكومة الخلافة الإسلامية، وأخذت تحولها إلى مصنوعات كيماوية، فصنعت للجزائر ما تشاء من مصنوعات، فصنعت لهم إسلاما جزائريا وهو هذا الإسلام الذي به الناس اليوم في مساجد الحكومة.**

الإسلام الجزائري في حقيقته ترتيب سياسي من تراتيب أنظمة الاستعمار في الجزائر، ومعابده نوع من الإدارة الاستعمارية، وموظفوه فوج من أفواج الجندية الاستعمارية، وأموالهم قسم من أموال الدولة.)[2]

---

[1] العربي التبسي: (افتتاح دروس المعهد الباديسي)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 227.

[2] العربي التبسي: (بيان عن إصدار الحكومة الفرنسية على تولي اغتصاب المساجد و الأوقاف و افتكاكها لحق المسلمين لإقامة الشعائر الدينية في مساجدهم)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 104.

فالجمع هنا بين الذات والآخر واضح من خلال هذه العلاقة التي تمثل القانون الجامع بين الغالب والمغلوب، ولعل هذا ما يكون أكثر وضوحا من خلال تصويره للطرقية التي تمثل الدين في ارتباطه بالاستعمار في الجزائر. وقد كان للطرقية نصيب من كتابات الشيخ، ونصيب من الصور ضمن هذه الكتابات، صورة يستدعيها دائما الحضور الاستعماري الذي يمثل عقدة الحضارة بالنسبة للجزائريين، وتواجد الطرقية في مخيال العربي هو تواجد الاستعمار نفسه حيث صورها لنا بـــ: (الضلال، تعدي الحدود، الولاء لإبليس، الإجرام، القتل، المروق، الخلط، الجهل، البهتان، الدفاع عن شهوات الشيطان، الشذوذ، الغش والتضليل، الكذب، الشغف بالكلام، أحمرة الاستعمار، أعداء الإسلام، النفاق...).

ومجموع حضور صور الطرقية من مجموع حضور صور فرنسا نفسها تقريبا حيث جاءت بنسبة(38.23٪)، إذ أن حضور صورة فرنسا إذا أضفنا إليها حضور صورة الطرقية جاء بنسبة (44.11٪). وهذا ليس غريبا مادام أن الطرقية هي نتاج الصناعة الفرنسية على حد تعبير التبسي كما قد تمت الإشارة من قبل.

والملاحظ على صورة الطرقية كذلك، أنها جاءت على شاكلتين حيث الأولى تتمثل في الطرقية ككيان أو مؤسسة دينية، بينما الثانية فتمثل الطرقية كشخص، وهذا من خلال تصوير بعض أعلامها من مثل صورة محمد بن عليوة، المجاجي، الناصر معروف.

وفي تصوير هذا الأخير يقول الشيخ: (**كتب الناصر معروف مقالات مطولة في جريدة البلاغ، أكبرها صحيفة البلاغ، وأعلنت عنها قبل إذاعتها تنويها بها، وأطرها بعد نشرها، وأهل البصيرة العلمية إذا ترامت إليهم لا يجدون فيها من فوائد ما يساوي سماعها.**

والمطلع على جريدة البلاغ يحكم على أن الناصر المعروف في عالم جريدة البلاغ أمثل كاتب رمت به رياح الأقدار إلى الكتابة في هذه الجريدة، وإن كان سامحه الله، لازال يحمل ما

يثقل ظهره من أخلاق وعادات كتاب تلك الجريدة الذين عرفناهم وعرفهم غيرنا بنا منذ كانوا وكنا.

تلك العادات التي زهدت أهل العلم في مناقشهم فيما يكتبون من المعتقدات والآراء فإن من خبرهم خبرة بعيدة عن الجهل بجدهم يلقون الكلام عن عواهنه ويريدون أن يخضعوا العلم إلى شهواهم و يحكموا عليه كما شاءت لهم أهواؤهم، كأنما هؤلاء القوم يفهمون أن العلم شعبة من شعب السباب أو الهجر الذي مردوا عليه، وأتقنوا أساليبه، وأنفقوا علينا ما زينت لهم أنفسهم ولم يراعوا فينا إلا ولا ذمة ولا حسبوا للكرام الكاتبين حسابا ما دمنا لم نترك حقنا، ونؤمن بباطلهم.)[1]

وعلاوة على أن النص قد صور شخصية الناصر معروف الذي يبدو مناقضا للعلم لا يعرف منه إلا ما يكفي شهوته ويرضي هواه، قد أعطانا كذلك صورة عن جريدة البلاغ واتجاهها وهذا ما نفهمه من خلال اهتمامها بمقال الكاتب الجاهل ــ على حد ما صوره الشيخ العربي التبسي ــ وإطرائها عليه.

و الطرقيون في هذه الصورة، وإن كانوا من الجزائريين، إلا أنهم يمثلون الآخر مادامو من أذنابه، وفيهم تتوضح سياسته الهادفة إلى ممارسة القتل المعنوي على هذا الشعب بمحاربة مقوماته.

والتدقيق في رسم الآخر في كتابات الشيخ لم ينحصر في هذه الصور الكاريكاتورية المجسدة للطرقية وأعلامها كنتيجة لمشروع مجتمع أراده (الآخر) هكذا، وإنما تعداه (الشيخ) إلى تجسيده (الآخر) في معاناة المجتمع الجزائري نفسه وفي مثل هذا يقول الشيخ: **(أما كفى ما انتهينا إليه من سوء الحال ومغبة المآل؟ خمس ملايين ونصف ليس لهم صيحفة يومية عربية في عصر المطبوعات! والقرن العشرين! وزهرة الحضارة! والناس في مختلف البقاع قد ذهبوا كل مذهب في نشر الصحف والمجلات بين**

---

[1] العربي التبسي: (إن كنت حاملا فلدي غلاما - 1-)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مرجع سابق، ص:89.

طبقات شعوبهم، ولم يغادروا من وسائل العلم، وعلل التثقيف ما أنسوا فيه عونا على تهذيب الأمة وإعداد الشباب لهذه الحياة التي خلقها الله على الامتزاج بين المسيء والمحسن، وأورثها العاملين إلا جدوا به على أتم وجه، وأحكم وضع، وأسهل متناول.

أما يحزن الجزائري أن يرى قطره، طوله وعرضه ليس فيه مدرسة واحدة أهلية عربية لتعليم المبادئ الأولية من لغة العرب، ودين الأمة التي لا سبيل لنا إليه غير اللسان العربي الذي أصبح أثرا بعد عين في أمة في أعرق الأمم فيه.)[1]

وهذه الصورة هي السبيل إلى الوقوف على حال هذا المجتمع الذي لا صحيفة فيه بلغته الوطنية (العربية) وهو يحيا في عصر الصحافة، والأكثر من هذا ليس فيه مدرسة لتعليم قراءة هذه اللغة. إنها صورة المجتمع الجاهل، والجاهل يفعل بنفسه مالا يفعله العدو به كما يقولون.

وخلاصة القول في صورة الأنا والآخر كما تجسدها كتابات العربي التبسي أنها ارتكزت على ثلاثة محاور وإن كانت كثيرة التعدد، وتمثل هذه المحاور في صورة الآخر المجسدة لصورة فرنسا الحضارة وفرنسا الاستعمار، ثم صورة الأنا بما يستدعيه الآخر وهذا من خلال صورة الطرقية وأعلامها أو حتى المجتمع الجزائري بجهله وفقره وجميع معاناته.

وبين أن كل هذه الصور على دقتها والتصاقها بالواقع المعيش حينها هي انعكاس لوعي العربي التبسي بما كان يحياه الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي، ووعي بطبع الاستعمار نفسه الذي عمل على فرض هذه الحياة.

لذلك نجد أن الشيخ في كل نصوصه بعيدا عن الأمر بتعاليم هذا الدين والنهي عن نواهيه حتى وإن كان الغرض منها دينيا كالمجموعة الكتابية التي

---

[1] العربي التبسي: (الجزائر تصيح بك أيها الجزائري أينما كنت)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 60.

ضمت مواعيظ ليالي رمضان، بقدر ما كان كل خطابه تحليلا لوضع هذا المجتمع والحال الذي آل إليه.

وبهذا فالعربي بحق استطاع أن يرقى إلى أن يكون مواطنا بالمفهوم البعيد عن الممارسة الاستعمارية، وهو ما جعله يرفض واقع الإنسان الجزائري في ظل هذه الممارسة التي لا تخول له إمكانية تحقيق أناه الإسلامية.

وهنا تكمن نقطة الالتقاء بين الشيخ في ممارسته النقدية للمجتمع والسياسة الاستعمارية مع فلسفة محمد عبده التي تتميز (**بحس نقدي يصعب العثور عليه... لأن المفكر المسلم ركز اهتمامه على واقع حال المسلمين بالدرجة الأولى حتى انه أحيانا، لا يرجع إلى الإسلام إلا حين يكون له تأثير فاعل في حياة المسلمين.)**[1]

والعربي التبسي لم يكن ليناقش قضية الدين من منطلق العصبية القومية أو النعرة القبلية. إنما كان يناقشها بما يستدعيه من الصور، هي دعوة إلى التفاهم الحضاري بما يضمن استمرارية التعايش في ظل الحريات الفردية. وكأنه يشتكي فرنسا الاستعمار لفرنسا الحضارة، فمن كتاباته: (**فعلت فرنسا الاستعمارية كل هذا بالأوقاف الإسلامية وبأهلها وفي الوقت نفسه يقول ساستها أننا أصحاب المبادئ التي حررت الإنسانية واعترفت بحقوق الشعوب والأمم وفصلت سلطانها على الأديان.**

هل فرنسا صاحبة هذه المقالات هي فرنسا الموجودة في الجزائر؟ المعذبة للإنسانية؟ الجواب على هذا السؤال عند الفرنسيين الذين يريدون لفرنسا أن تكون دولة من الدول التي تشارك في الديموقراطية التي تحترم الإنسان ودينه وحقوقه. وأفعالها في الجزائر غير ذلك.)[2]

---

[1] محمود نور الدين أفاية: المتخيل و التواصل، مفارقات العرب و الغرب، دار المنتخب العربي للدراسات، ص:60.

[2] العربي التبسي: (بيان عن إصدار الحكومة الفرنسية على تولي اغتصاب المساجد و الأوقاف و افتكاكها لحق المسلمين لإقامة الشعائر الدينية في مساجدهم)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 106.

فكلتا الصورتين كشف عن التناقض في ذات الآخر بما تحملانه من واقعية، وفي الوقت ذاته كشف عن الصراع الحضاري الفرنسي الذي هو نتاج المقاومة الثقافية من أجل الاستمرارية في حفظ الهوية الوطنية والحفاظ عليها.

الفصل الثالث:

الخصائص الأسلوبية في نصوص العربي التبسي.

1 – تمهيد.
2 - القاموس اللغوي
3 - بنية الجملة.
4 - ظاهرة التناص، و تداخل كتابات الشيخ مع التراث.
5 – السرد في بناء أسلوب العربي التبسي.
6 - أسلوب السخرية.
7 - الصورة البلاغية.

1-تمهيد:

من غير الصواب التسليم بما تجنح إليه الدراسات الجمالية المعاصرة من حيث اهتمامها ببنية النص الأدبي، محولة استكشاف نظامه الداخلي على أساس أنه يعتبر ركنا أساسيا من أركان الجمال الفني، فوجود الأسلوب على حد تعبير الموسوعة الفرنسية، ليس هدفه المضمون الاجتماعي بل هناك غرض أكثر سموا يريد تحقيقه.فمضامين النصوص لا تطلب لذاتها، بقدر ما هي وسيلة لا تخرج عن إطار الجمالية، وهذا على نحو ما ذهب إليه الشكلانيون الروس وعلى

رأسهم جاكبسون بعد اكتشافهم أن البنى الداخلية للأعمال الأدبية هي الوسيلة إلى شرح الجمال وتوضيحه أو تجليته.[1]

و الواقع أن هنالك بعض الكتاب، خصوصا إذا تعلق الأمر ببعض الأجناس من مثل المقالة والخطابة ـ يخرج عن هذا الطرح، فالأسلوب فيه وسيلة إلى غاية، غير أنه لا سبيل إلى نكران ما يذهب إليه النقد الحديث والمعاصر من حيث أهمية اللغة وظواهرها سواء أكان هذا بفعل الدور الذي تلعبه في نقل المعرفة الإنسانية أم انطلاقا من كونها الحجر الأساس في بناء كل الأشكال الفنية، والتي تسمى ـ بعد عملية البناء هذه ـ أدبا.

فالنص المكتوب أو حتى المنطوق يمثل طاقات تعبيرية ناجمة عن الاختيارات اللغوية، أو مظهرا للقول الناجم عن اختيار وسائل حددتها طبيعة الكاتب و مقاصده.

لذلك؛ فإن هذا الفصل من الدراسة سيحاول الكشف عن خصائص الخطاب التعبيرية في آثارالعربي التبسي التي تمييزه عن غيره، أو تجعله في مصاف مدرسة تعبيرية باعتبار من يشترك معه في طرائق التعبير، و آليات صنع الخطاب. و هذا عن طريق النظر في لغة هذا الكاتب من حيث جدتها أو نمطيتها، ووظائفها في الآداء؛ أي بالوقوف عند التراكيب اللغوية*، ثم ما ينجر عنها من أساليب تعكس المواقف الفكرية و الوجدانية التي تترجمها كتاباته.

---

[1] عبد الحميد بوزوينة: بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي، دراسة وصفية تحليليـة فنيـة، ديـوان المطبوعـات الجامعية، الجزائر، دت، ص:07.

* و آليات التحليل هنا، تركز طاقاتها على البنية الصرفية من حيث الدلالة الوظيفية في ارتباطها بالمعنى داخل السياق.

2 - **القاموس اللغوي:** و كلمة القاموس لا تعني أن ندرس الألفاظ بما تحمله من مدلولات معجمية حسب ما ينقل عن القواميس، و إنما أن ننظر في طبيعة الكلمات التي يستعملها الكاتب من حيث الجمود والاشتقاق، ومن حيث الغرابة و الألفة، ثم مدى انسجامها في سياقاتها المختلفة، و أسباب توظيفه لهذا النوع من المفردات أو تلك، و بالتالي قدرتها على تأدية المعاني المتنوعة تنوع المقاصد التي يرمي إليها المؤلف في نصوصه.

و لأنه ليس من الممكن الإحاطة بكل ألفاظ النصوص التي بين أيدينا، و لا الإحاطة بكل جملها فسنكتفي بأن نختار نموذجا نصيا، وفيه يقول الكاتب:

(عقيدة محبة الوطن نشأت في صلب طبائع البشر، و نمت بنمو الإنسان، و تطورت بتطوره، و قويت بقوته، و ضعفت بضعفه، حتى أنك لو أخذت لتفصل بينها و بين مقومات الإنسان لتضعه بعيدا عنها. لم تجد في صناعة الجدل ما يعضد لك صنيعا، أو يقدم سببا لدعواك.

و الوطن إن اتسع لفظه، وانتشر مفهومه، و تنازعته الطبائع، فليس شيء منه يرغب عنه، أو يزهد فيه، مادام الحسن حسنا، و القبيح قبيحا، و أنى يكون ذلك، و الوطنية رأس عامة الفضائل، وقطب رحى الشرف، وهامة المعالي، و أية أمة اعتصمت بها، واستمسكت بمعناها الذي يحيى وحدتها، و يحفظ عليها جامعتها، إلا أخذت لمستقبلها بأمتن العرى وأتم عدة، وكلما غيرت النائبات في وجهها أو عصفت بها الشدائد إلا وكانت المعقل المنيع، و الوزر البعيد عن أن ينال منها نائل، وكفى شاهدا مصدقا لما نراه في الأمم التي قبضت على الحياة من أطرافها، و العز من جوانبه، أنها لم تبق سببا يتصل بها، أو مقدمة تنتهي إليها إلا أحاطت بها وما رضيت عنها بديلا كائنا ما كان.

فماذا دهى أبناء الجزائر، و أقعدهم عما لا محيص عنه. و لا استقرار بذونة، وحاجتهم إلى جامعة قومية أمس من حاجتهم إلى الحياة، فالجامعة العلمية توأم للعلم، و دعامة للأخلاق و أس لنهضة البلاد و آية كاشفة عن حضارتها، مغبرة عن آثارها.

أما كفى ما انتهينا إليه من سوء الحال ومغبة المآل، خمس ملايين و نصف ليس لهم صحيفة يومية عربية في عصر المطبوعات! و القرن العشرين! وزهرة الحضارة! و الناس في مختلف البقاع قد ذهبوا كل مذهب في نشر الصحف و المجلات بين طبقات شعوبهم، ولم يغادروا من وسائل العلم، و علل التثقيف ما أنسوا فيه عونا على تهذيب الأمة و إعداد الشباب لهذه الحياة التي خلقها الله بين المسيء و المحسن، و أورثها العاملين إلا جدوا به على أتم وجه، وأحكم وضع، و أسهل متناول.

أما يحزن الجزائري أن يرى قطره، طوله وعرضه ليس فيه مدرسة واحدة أهلية عربية لتعليم المبادئ الأولية من لغة العرب، ودين الأمة الذي لا سبيل لنا إليه غير اللسان العربي الذي أصبح أثرا بعد عين في أمة من أعرق الأمم فيه، ولولا أن الله حفظ هذا الدين، و لم يكل حفظه إلينا لكنا في عداد المندثرين!

أيليق بنا في هذه الأجواء، أجواء التكاتف و التماسك أن تمضي الأمة في إهمال المشاريع الحيوية، لا تلوى على شيء منها. كأنما خلقنا من أمشاج غربية و عناصر متناقضة لنعيش معيشة الفرد، و نموت موتة الفرد، و نحشر محشر الفرد؟

بكائي على الإسلام و مبادئه، و نحيي على وحدة الدين الذي أضاعه بنوه، الذي أمر بالجماعة وحث عليها بل جعل المنشق عنها في فرقة من الدين، و عزلة من الإسلام و عداء لأهله.

و الذي فلق الحب وبرأ النسمة، لو أن امرءا مسلما مات أسفا وحزنا على حالة هذه الأمة لكان له عند الله بعض العذر.

أيطيب لنا عيش مع هذه الحالة؟ في هذه الآونة التي يذكر فيها الروماني أيامه الخالية و عصوره المدبرة، و الطوراني المآثر التي أكل عليها الدهر وشرب و أصبح كل شعب أينما حل نزاعا إلى الملتقي بتاريخه، تواقا للتعلق بمكارم أسلافه على تقادم العهود!.

و إذا شكوت إليك أيها الجزائري الكريم هذا البلاء الشامل الذي أضحينا معه كمية مهملة وعضوا أشل في جسم هذا العالم. فإنما أدعوك لتنظيم منزلك، وتنظيف أمتعتك، ورتق حالك، ورعاية أبنائك وأقربائك، وتنمية ثروتك، وتحسين حالتك الاجتماعية والأدبية. فليس الوطن إلا منزلا واحدا مترامي الأطراف، متباعد الزوايا، فسيح العرصات «وكلكم راع وكلكم مسؤول عن راعيته».)[1]

من هذا النص نبدأ في دراسة لغة الشيخ العربي بدءا بمفرداتها، وقد جاءت غاية في الوضوح بعيدة عن الغريب من الألفاظ، فالقارئ لها لا يجد فيها ما يستعصي عليه فهمه. وذلك لأن اللغة عنده وسيلة لهدف وليست غاية يقصد إليها قصدا.

أما طبيعة هذه الألفاظ في نصوص الشيخ العربي فيمكن توضيحها من خلال الإحصاء مع الإشارة إلى أننا نسقط الحروف بأنواعها و الضمائر. أما الحروف فلأن معناها مرتبط بما بعدها، والشيء نفسه مع الضمائر إذ أن دلالتها رهينة ما تعود عليه في السياق، و هذا ما نحتاج إليه في دراستنا للتراكيب. ولهذا فسيقتصر الإحصاء على الأفعال و الأسماء في كل فقرة كما يوضحه الجدول التالي:

---

[1] العربي التبسي: (الجزائر تصبح بك أيها الجزائري أينما كنت)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص ص: 59، 61.

(جدول رقم:3): جدول نسب الأسماء و الأفعال في النص.

الفقرة	نوع اللفظة	عددها	النسبة المئوية
1	الاسم	21	%65.62
	الفعل	11	%34.37
2	الاسم	78	%77.22
	الفعل	23	%22.77
3	الاسم	48	%84.21
	الفعل	9	%15.78
4	الاسم	34	%89.47
	الفعل	4	%10.52
5	الاسم	20	%74.07
	الفعل	7	%25.22
الفقرة	نوع اللفظة	عددها	النسبة المئوية
6	الاسم	30	%81.08
	الفعل	7	%18.91
7	الاسم	26	%83.87
	الفعل	5	%16.12
8	الاسم	32	%91.42
	الفعل	3	%8.57
المجموع	الاسم	289	%80.95
	الفعل	68	%19.04

و من الجدول نتبين أن النص اسمي، أي أن الغلبة فيه للأسماء لا الأفعال، و هو ما يدل على طبيعة الموضوع الذي يعكس أفكارا مجردة، و معاني عقلية، خصوصا حين نقف على تناقص الأفعال فيه بدءا من الفقرة الأولى حتى الأخيرة. و هو ما يوضحه المدرج التكراري التالي:

(شكل رقم:4): المدرج التكراري لنسب الأسماء و الأفعال في النص.

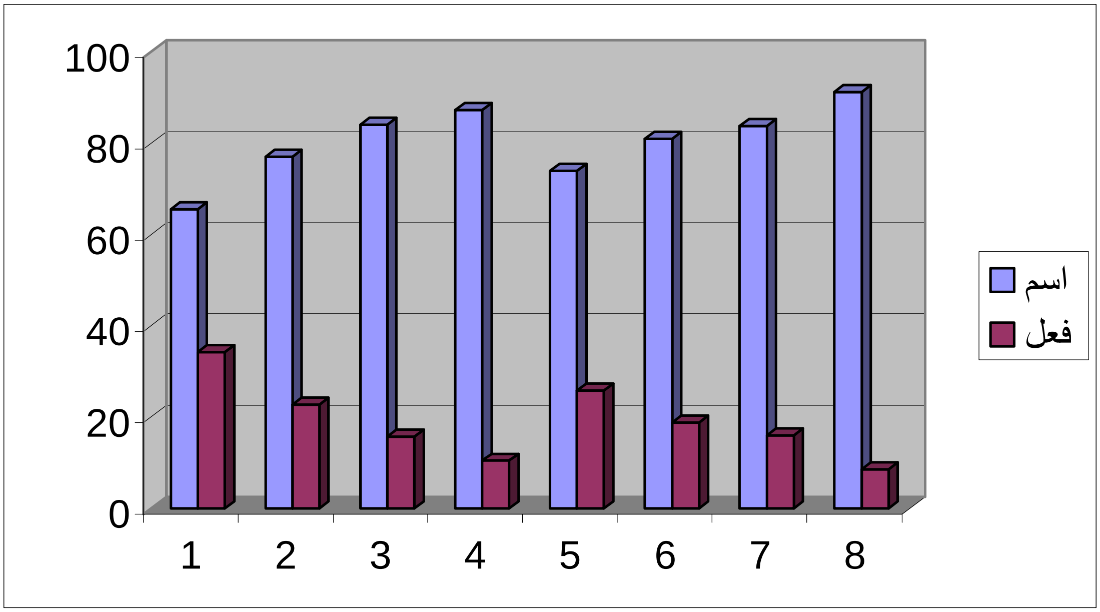

و فكرية نص الشيخ العربي التبسي تتجلى أكثر في طبيعة الأسماء التي اعتمدها في تشكيل نصه، فبدراستها نكتشف أن أغلبها جاء جامدا، حيث إن نسبتها هي: (60%) من مجموع أسماء الفقرة الثانية من النص، بينما كانت نسبة الأسماء المشتقة: (40%) فقط.

(جدول رقم:4): نسبة الأسماء الجامدة و المشتقة في الفقرة الثانية من النص.

نوع الأسماء	عددها	نسبتها
الأسماء الجامدة	36	%60
الأسماء المشتقة	24	%40

و بدراسة طبيعة الاسم الجامد لكونه المهيمن على النموذج المدروس، و لأن المشتقات كثيرا ما يلحقها الدارسون بالأفعال لاشتراكها معها في التصريف و الدلالة على الحدث، فإننا نجد أغلبها من الأسماء الجامدة الدالة على المعنى، حيث كانت نسبة حضورها هي: (83.33%)

(جدول رقم:5): نسب أنواع الأسماء الجامدة في الفقرة الثانية من النص.

الأسماء الجامدة	العدد	النسبة
اسم الجثة	03	08.33%
اسم المعنى	30	83.33%
اسم الآلة	00	00.00%

و هذا ما يمكن تجسيده في المدرج التكراري التالي:

(شكل رقم:5): المدرج التكراري لنسب أنواع الأسماء الجامدة في الفقرة الثانية من النص.

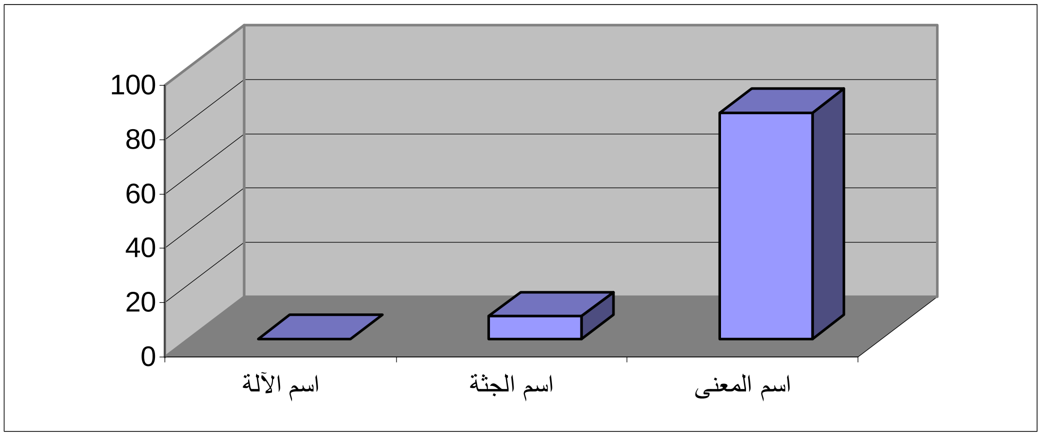

و انطلاقا من البيان السابق نطمئن إلى القول بتجريدية النص، و التي مردها إلى التزام الشيخ العربي التبسي بما يسعى في سبيله، و تقريريته النابعة من ثباته في التزامه، إضافة إلى إطلاقه المرتبط بقوة عقيدته، و رغبته في تأكيد هذه الحقائق مثلما نجدها مجسدة في أفكاره.

أما الفعل باعتباره العامل حين يكون حاضرا في الجملة العربية، فقد بدا اهتمام الشيخ العربي به في النص من ناحية نوع وروده؛ حيث انتقى لنفسه الثلاثي المجرد من حروف الزيادة، أو حيث جاءت بتلقائية و من غير انتقاء فكان عددها من مجموع الأفعال: **(59)** فعلا؛ أي ما نسبته: **(86.76%)**، و هو ما يعكس ميل الشيخ إلى اللفظة البسيطة و لعل هذا ما يتناسب و نوع كتاباته التي هي من النثر.

كما جاء حوالي: **(39)** فعلا من مجموع الأفعال في النص صحيحة لخلوها من حروف العلة، وهو ما يعطيها نبرا صوتيا فيه شيء من الشدة.

إضافة إلى أن جلها جاء ماضيا من حيث دلالتها على الزمن، وهو ما ينبئ عن طابع كتاباته التحليلية نتيجة ارتكازه على ما مضى من الأحداث.

و الأفعال المضارعة على قلتها، جاء أكثرها دالا في سياقه من حيث الزمن على الماضي أيضا، وهذا إما لارتباطها بفعل ماض سبقها في الجملة، أو لدخول واحد من حروف القلب عليها.

و لعل هذا ما يتضح بدءا بما ورد في الفقرة الأولى، فالفعل **(تجد)** دخل عليه حرف الجزم و النفي و القلب **(لم)** فجعله مجزوما بعد أن نفى إمكانية وقوعه، واتجه بدلالته نحو الماضي، و هو ما أدى بدوره إلى قلب زمن الفعل الذي جاء بعده **(يعضد)** نتيجة تبعيته في سياق الكلام إلى الفعل **(تجد)**.

و نمثل في الفقرة الثانية بالفعلين **(يحفظ)** و **(يحيى)**، فكلاهما مضارع غير أنهما ارتبطا في السياق بالفعل **(اعتصم)** ومن بعده **(استمسك)**، فكان أن صارت دلالتهما الزمنية هي الماضي كذلك.

و بإحصاء مثل هذه الحالات، وقفنا على أربعة عشر فعلا مضارعا في كل النص تحولت دلالته الزمنية إلى الماضي. هذا إن علمنا أن مجموع الأفعال المضارعة في النص هو: سبعة و عشرون فعلا. أي أن نسبة الأفعال التي غير النص دلالتها الزمنية هي: **(51.85%)** و هو ما يصور **(لنا المعايشة الحضورية للأحداث التي وقعت من قبل، و في هذا جمال فني يعتمد على التخلص من قيود الزمن و على حرية الانتقال من الحاضر إلى الماضي.)**[1]

ويمكن الإشارة إلى أن هناك فعلا واحدا صيغته الماضي، و دلالته الزمنية مرتبطة بالمستقبل، نظرا لكونه أفاد معنى الشرط بعد أن سبق بـــ**(لو)** و هو الفعل **(أخذ)**. و بهذا تكون نسبة أنواع الأفعال من حيث الزمن و دلالتها الزمنية في الفقرة النموذج كما يلي:

(جدول رقم:6):نسب أنواع الأفعال من حيث الزمن، و دلالتها الزمنية في الفقرة النموذج.

الصفة	الدلالة الزمنية	النسبة
الماضي	الماضي	**%97.56**
الماضي	الحاضر، المستقبل	**%02.43**
المضارع	الحاضر، المستقبل	**%48.14**
المضارع	الماضي	**%51.85**

[1] عبد الحميد بوزوينة: بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي، دراسة وصفية تحليلية فنية، مرجع سابق، ص: 53.

و إذا جمعنا الأفعال بحسب الدلالة الزمنية، فإن نسبة الأفعال التي تدور في فلك الماضي ترتفع لتصير هي المسيطرة:

(جدول رقم: 7) نسبة دلالة الأفعال على الزمن في الفقرة النموذج.

الدلالة الزمنية	النسبة المئوية
الحاضر، المستقبل	%20.58
الماضي	%79.41

و هو ما يؤكد ما أشرنا إليه قبل الجدولين و يرجع إلى: **(أن الفعل الماضي في إطار هذا الاستخدام يضيف إلى الحدث صفتي التأكيد و التحقيق، فكأن الحدث المستقبلي بسبب يقيننا به، قد وقع فعلا ولاسيما في النص الذي يضمن حقائق يجب تأكيدها.)**[1]

3 - بنية الجملة:

إن كان العنصر السابق محاولة لقراءة اللغة من حيث بعض ألفاظها، فإننا سنتدرج مع هذا العنصر في محاولة لقراءة الجملة كما جاءت في كتابات العربي التبسي، باعتبارها الإطار اللغوي الذي تنصهر فيه الألفاظ.

و إذا انطلقنا من كون الجملة هي: **(مجموعة من الكلمات تؤدي معنى كاملا)**[2] أو أنها كما عند اللغويين المحدثين هي: **(الوحدة الكلامية المكتملة اكتمالا نحويا و المؤلفة من كلمة أو مجموعة كلمات يتصل بعضها ببعض اتصالا نحويا)**[3]، فإننا نلاحظ في جمل الشيخ كما هو واضح في النص الذي مثلنا به في دراستنا للألفاظ، و حتى من النصوص السابقة في كل عناصر البحث مثلما تم الاستشهاد بها، تبدو

---

1 عبد الحميد بوزوينة: بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي، دراسة وصفية تحليلية فنية، مرجع سابق، ص: 53.

2 مجدي وهبة : معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1974، ص : 204.

3 المرجع نفسه، 204.

متنوعة من حيث الطول و القصر، إلا أن الغلبة فيها للقصير من الجمل، و التي تتلاحق مفسرة (**لبعضها البعض في اتساق و انضمام وحسن سبك بكل قوة و استقصاء للمعاني، وكذلك بجمل قصيرة متوازية في معظم الأحيان، إذ تصدر عفوا وتتلاحق أضواؤها تلاحقا رقيقا متسلسلا جاريا كالماء، كأن بعضها يسلم بعضا، أو كأن بعضها ينبئ بعضا عن بعض.**)[1]

ولمّا كنا ــ في إحصائنا لطبيعة الألفاظ في نصوص الشيخ ــ قد سلمنا باسميتها نتيجة تفوق الأسماء على الأفعال من حيث الحضور، فإنه لا يمكن بالمقابل أن ننفي الحضور المكثف للفعل في هذه النصوص، ففي اللغة العربية يكفي فعل واحد إلى جانبه أكثر من اسم ليتم تشكيل ما نطلق عليه اسم جملة فعلية.

لذلك، فإنه إلى جانب قصر الجملة في كتابات الشيخ العربي المُنْسَابَة في تكاملها نجد أنه يجنح إلى استعمال الجمل الفعلية، و هو ما يدل على الحركية الناتجة عن التدرج في تتابع الأحداث، و تراتبها.

و إذا أردنا التمثيل لما قلناه نرجع بإحدى فقرات النص السالف، فنكتبها وفق التالي:

(عقيدة محبة الوطن نشأت في صلب طبائع البشر / و نمت بنموه

جملة اسمية ↑ فعلية ↑ فعلية↑

وتطورت بتطوره / وقويت بقوته / و ضعفت بضعفه / حتى لو أنك

فعلية ↑ فعلية ↑ فعلية ↑ اسمية ↑

أخذت لتفصل بينها وبين مقومات الإنسان لتضعه بعيدا عنها / لم

---

[1] محمد زغينة: فن المقال في كتابات أبي اليقظان، مرجع سابق، ص: 56. نقلا عن عبد الكريم اليافي، دراسات فنية في الأدب العربي، مطبعة الحياة دمشق سوريا، 1972، ص: 44.

فعلية ↑ فعلية↑

<u>تجد في صناعة الجدل</u> / <u>ما يعضد لك صنيعا</u> / <u>أو يقدم سببا لدعواك</u> .)[1]

فعلية ↑ فعلية ↑ فعلية↑

فمجموع الجمل في هذه الفقرة هو إحدى عشر جملة؛ منها اثنتان اسميتان و البقية فعلية. و إن كانت الجملتان الاسميتان طويلتين نظرا لتضمنهما الجمل الفعلية، نضيف إليهما جملة (لتفصل بينها و بين مقومات الإنسان)، فإن باقي الجمل قد اتسمت بالقصر، و هو ما ضَمِنَهُ استعمال الأفعال اللازمة مرة، مثل: (**نشأ، نمى، تطور، قوى، ضعف**)، إضافة إلى كون الفاعل جاء ضميرا مستترا.

و إذا كانت الجملة قد اتسمت بالقصر في عمومها مع غلبته الفعلية عليها، فالفقرة هي الأخرى ــوإن كانت قصيرة لكونها المقدمةــ قد تشكلت من مجموعتين من الجمل كل واحدة تصب في معنى معين، وقد استهلها الشيخ بجملتين اسميتين. و هذا ما يفسر إصراره على توكيده للكلام الذي يأتي به في سياق هذا النص من خلال اللجوء إلى الجملة الاسمية في مستهل كل فقرة، و"أن" كمؤكد ثان في المجموعة الثانية.

وإن كانت الاسمية للتوكيد، و الفعلية للحركية والسرد؛ فإن مجمل النص بما فيه من تراكيب جاء غاية في الانسجام و الاتساق. و هو ما حققه ــ في مثل هذه الفقرة ــ بحروف الربط المكثفة إضافة إلى الضمائر المستترة، ثم في الأخير الترتيب الذي طبع الأحداث ممثلة في أفعال النص، لما بينها من تقارب في المعاني التي تحملها في السياق:(**فمحبة الوطن نشأت، ثم نمت، ثم تطورت، ثم قويت، ثم ضعفت.**) هذا في المجموعة الأولى. و في الشطر الأول من الثانية: (تأخذ، ثم تفصل، ثم تضع، وبعدها لم تجد.) أما الشطر الثاني: (فيعضد أو يقدم.) و هذا ما

---

[1] العربي التبسي: (الجزائر تصبح بك أيها الجزائري أينما كنت)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإصلاحية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 59.

يعكس تصاعد اللغة في أسلوب الشيخ بتصاعد حركاتها نتيجة استلزام الأفعال بعضها لبعض، وهو ما يترجم بدوره جمالية الأسلوب عنده، كما يبرز غزارة المادة في انتقاله بين الأفعال، و تنويعه فيها، حتى لو أنك أخذت كل النص بما فيه من أفعال لم تجد إلا ثلاثة منها مكرر مرة واحدة و هي : (أخد/مات/حفظ)، وهذا كما بينته في العنصر السابق.

وميل العربي التبسي هنا إلى الجملة البسيطة الواضحة، لم يمنعه من التفصيل في جزئيات المعاني، مما يجعل أفكاره أكثر وضوحا و ترتيبا، وهذا لما يوجد بين هذه الجمل من تناسق. و من باب أن لا نبقى مع النموذج الواحد وكتابات الشيخ كثيرة نسوق هذا المثال، يقول الشيخ:(**قد ظهر ــ أيها المشائخ ــ أن بالإرشاد يبقى الدين على ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتبقى معالمه واضحة للمستبينين، وآدابه لامعة للمتأدبين، وفضائله زينة للمتجملين ومزاياه فضيلة ومحبة للمعلمين وحجة القائمة بينة للمستدليل.**)[1] و لعل الغاية من الافاضة في مثل هذا المعنى من خلال الربط بين الجمل الأولى من الفقرة بحرف العطف (الواو)، هي الحرص على توضيح المعنى و تأكيد ضرورته التي هي من ضرورة الإرشاد.

إضافة إلى مثل هذه الأدوات في تفصيله للمعاني التي يطرقها في نصوصه، نجده يستعمل التصوير من خلال اللجوء إلى التشبيه في العديد من المواضع، وإن كنا قد خصصنا عنصرا لدراسة القدرة التصويرية لدى الشيخ لا بأس أن نمثل للتفصيل عن طريق التشبيه بهذا المثال وهو قوله:(**المرشد كالطبيب يجب عليه أن يداوي النفوس المريضة بالدواء المناسب ليذهب المرض وتزول العلة، ويعود البدن إلى صحته المعتادة. ذلك أن المرشدين أطباء الأرواح والأخلاق والآداب، فكما نعد طبيبا جاهلا بالطب، أخرق لا يحسن الصنعة إذا استعمل دواء لا يناسب داء المريض، كذلك طبيب الأديان**

---

[1] العربي التبسي: (ما ينبغي أن يكون عليه الإرشاد)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص:35.

و العقول، إذا استعمل إرشاده من غير موضعه، وعمد إلى سطحيات المظاهر ليقاومها، وترك منشأ الشر ومبعث الضلال فإننا نعده جاهلا بالإرشاد، أعمى عن مقاصد الدين.)[1]

فالجمع بين صورة الطبيب و هو يداوي المرض، وصورة المرشد وهو يعد العقول في حالتها الفاشلة، هو من باب التفصيل الذي يزداد تعمقا حين نجد الشيخ يدقق في رسم كل من المشبه به والمشبه في حديثه عن واجبهما إلى درجة الزيادة على ما يستوفي المعنى؛ حيث كان بمقدوره أن يكتفي في حديثه عن الطبيب بأن يقول مثلا: (يداوي النفوس لتصح) ويستوفي المعنى، غير أن حرصه على التفصيل جعله يقول:(يداوي النفوس المريضة)، ثم لا يكتفي بهذا فيزيد:(بالدواء المناسب)، ويزيد عليه (ليذهب المرض وتزول العلة)، وأكثر من هذا يضيف: (ويعود البدن إلى صحته.)

والشيخ في أسلوبه المفصل نجده أحيانا يلجأ إلى تكرار صيغة بعينها و فيما نمثل به لهذا نورد قوله: (فهل الإرشاد إلا أن يدل البصير الأعمى فيهتدي إلى الطريق وينته إلى وجهته؟ و هل الإرشاد إلا أن يأخذ الطبيب يد العليل ويضعها على الداء تعريفا به ثم يرشده إلى طرق العلاج فإذا هو صحيح كأن لم يمرض؟

و هل الإرشاد إلا أن يلقن الحكيم حكمته لتلاميذه، وهل الإرشاد إلا أن يبصر المربي....عيوبهم، فإذا هم كمثله؟ وهل المرشدون إلا أولئك...)[2]

ومفهوم من هذا المثال أن تكرار صيغة الاستفهام من أسلوب الإنشاء الطلبي ليس القصد منها انتظار الجواب بعينه، وإنما الهدف هو توضيح فكرة الإرشاد كمفهوم، ثم كممارسة ميدانية تهدف إلى تحقيق الوعي الاجتماعي بماهية الحياة وطبيعتها.

---

[1] المصدر نفسه، ص:37.

[2] العربي التبسي: (سعادة وشقاء)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص:252.

و خلاصة القول فيما أوردناه هي: أن الشيخ كان ميالا إلى الجملة البسيطة الواضحة ليشكل من خلالها المعاني التي يقصد إليها، و هذا لقصرها و خلوهما من الغرابة التي تؤدي إلى استغلاق المعنى، وهو ما يمكن أن يقال في التركيبين إن كانا على غير مقتضى الحال، أو جاء فيهما شيء من التعقيد والغموض.[1]

و هناك ظاهرة أخرى، هي ظاهرة السجع في كتابات العربي التبسي ، و هو ما لا يمكن تجاوز الحديث عنه في موقفنا هذا، حيث لم يأت لمجرد الزينة أو الزخرفة ــ وهذا إن كنا نعلم مسبقا أن رجال المدرسة الإصلاحية في الجزائر هم من عمل على تخليص الإنشاء خصوصا الكتابة المقالية من التصنع والكلفة ــ وإنما أدى بفواصله وأنغامه وظيفة تعبيرية ما كان لها أن تكون لولا وجوده.[2] من هذا ما مثلنا به في النصوص السابقة وهو قوله: (**نمت بنمو الإنسان، وتطورت بتطوره، وقويت بقوته، وضعفت بضعفه.**) ولعل هذه الفواصل المتساوية هي ما يثير في نفوسنا ما نحس من خلاله أن هناك نفس مازال يستمر حتى بلوغه نهاية الكلام.

ومن مثل حضور السجع في كتاباته قوله كذلك: (**أن من أراد أن يتلمس الدين الإسلامي في أصوله وفروعه، وآدابه من غير خاصية كتاب الله وبيانه فقد سفه نفسه، وطلب العلة من غير معلولها، والنتيجة بغير مقدمتها.**)[3]

غير أن السجع كظاهرة فنية في أسلوب الشيخ لم يأت تكلفا بغرض التنميق والزخرفة، و إن أردنا تتبعها في نصوصه فلن نجدها بالكثيرة أو الغزيرة، وهو ما يفسر وجودها للغرض التعبيري بحق دون غيره، وهذا أمر طبيعي مادامت

---

[1] الربعي بن سلامة: (الرسالة الدبلوماسية في النثر الأندلسي بين مهمة التبليغ و متطلبات الفن)، مجلة الأدب، ع05 سنة 2000، جامعة قسنطينة، ص:102.

[2] الربعي بن سلامة: (الرسالة الدبلوماسية في النثر الأندلسي بين مهمة التبليغ و متطلبات الفن)، مرجع سابق، ص:104.

[3] العربي التبسي: (أريد حياته و يريد قتلي)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص:68.

غاية هذه المحسنات هي إجلاء مشاعر كاتبها قصد استثارة عواطف المتلقي، وهو ما لا تتطلبه طبيعة كتابات الشيخ كونها تجنح أكثر إلى الإقناع بما يقتضيه المنطق.

و حتى لا نفيض أكثر في الحديث عن بنية الجمل و تركيبة العبارة في كتابات الشيخ، لكون الفصل يتسع إلى أكثر من هذا العنصر. يكفي أن نتوقف عند هذه النماذج التي أظنها إن لم تكن قاعدة عامة فهي نموذج لطبيعة هذه التراكيب، سواء في كونها جملا أم عبارات كما يتبدى لنا في بساطتها المستوحاة من بساطة اللفظة وقصرها، ثم قصر الجملة من بعدها، وهو ما وسم العبارة بالبساطة كذلك، رغم أنها تمتد إلى الطول وتكثيف المعنى في مجملها مع بعض الميل في كثير من الأحيان إلى الاعتدال والتوسط أو القصر. و هذا مع ما يتخللها من صناعة مثالها السجع غير المتكلف والعفوي، نتيجة أن الشيخ ينشده في بناه اللغوية لغاية تعبيرية يقتضيها المحل.

يضاف إلى هذا كذلك ما سبق من حديث حول كيفية وجود الأفعال على الرغم من قلتها إذا قارناها بحضور الأسماء لاحظنا في ما تم اختياره من النماذج كيف كان الشيخ أميل إلى توظيف الجملة الفعلية الدالة على **(الحركة والحيوية والفعالية لترصد الحدث و تساهم في رسم حيز النص ولحمته. و قد أكثر الكاتب في استعمال الثلاثية ليعبر عن ديمومة الحدث وحركته.)**[1]وهو ما يعكس نوعا من عدم الرضى عن طبيعة الحياة الاجتماعية و الدينية للجزائريين آنذاك.

---

[1] محمد تحريشي: (بنية النص النثري في الأدب الجزائري القديم)، مجلة الأدب، ع 04، سنة 1997، جامعة قسنطينة، ص: 85.

4 - ظاهرة التناص، و تداخل كتابات الشيخ العربي مع التراث:.

وإلى جانب ما قلناه في طبيعة الألفاظ والتراكيب في كتابات الشيخ، سنتحول بالحديث في هذا العنصر إلى قوة أسلوبه التي منبعها النصوص التي تمثل خلفيته المعرفية حيث تتداعى عناصرها في كل ممارساته الكتابية.

وبمعنى أدق سوف نتجه نحو ظاهرة التناص كما تتجلى في أسلوب الكتابة عند الشيخ. و التناص كمفهوم يمكن الإشارة إليه على أنه فكرة ذات أصول عريقة في نقدنا العربي القديم، غير أن النقد الحديث قد أعاد صياغتها من جديد بإسهام العديد من الاتجاهات الأدبية، والمدارس النقدية الغربية الحديثة، والمعاصرة في بلورته.[1]

والحق إن مفهوم التناص ــ إن أردنا الوقوف عنده باعتباره مصطلحا نقديا ــ مازال يطرح إشكالا في الدراسات النقدية على حد ما تذهب إليه البحوث الأكاديمية المتخصصة، ولذلك سنكتفي بأن نشير إليه بما يخدم ما نقصد إليه حين محاورتنا لأسلوب كتابات الشيخ العربي التبسي.

[1] ينظر، شراف شنتاف: التناص في ديوان البرزخ و السكين، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 03/02، ص:أ.

و التناص على حد تعبير السعيد يقطين (**لا يعدم في أي نص كيفما كان تعريفنا لهذا النص أو المنطق الذي ننطلق منه في تحديده، سواء كان هذا النص أدبيا أو كان غير أدبي، إنه سمة متعالية عن الزمان والمكان، بل إنه يرتبط بأي كلام كيفما كان جنسه أو نوعه أو نمطه.**)[1] و هو المصطلح الذي استعمل لرصد العلاقات بين النصوص،[2] مادام (**الليث ليس إلا عدة خراف مهضومة**)[3] حسب مذهب (**بول فاليري**) في النقد المقارن.

ولهذا فإن التناص إلغاء للحدود بين النصوص الأدبية، ورصد لما يحدث بينها من تداخلات في ظل انفتاحها بعضا على بعض. ويقر مفيد نجم بأن التناص ينقسم إلى نوعين أساسيين هما: التناص الظاهر، ويدخل ضمنه الاقتباس والتضمين، ويسمى أيضا الاقتباس الواعي أو الشعوري؛ لأن المؤلف يكون واعيا به. في حين التناص الثاني هو ما يسميه باللاشعوري، أو تناص الخفاء؛ وفيه يكون المؤلف غير واع بحضور النص أو النصوص الأخرى في نصه الذي يكتبه، ويقوم هذا التناص في إستراتجيته على الامتصاص والتذويب والتحويل و التفاعل النصي. كما يشير أيضا إلى أن هناك نوعين آخرين من التناص هما: التناص الداخلي المتمثل في إعادة الكاتب أو الشاعر إنتاج إنتاجه السابق، و التناص الخارجي الحاصل من التقاء وتقاطع النص مع نصوص أخرى غير نصوص الكاتب أو الشاعر.[4]

وإذا كنا قد بيننا منذ الأول بأن منهجنا في البحث يقوم على ما يخدم ما نقصد إليه في دراستنا لآثار الشيخ، فإننا سنتوقف عند النوع الأول من التناص حسب التقسيم الأول لمفيد نجم، والذي جعله مرادفا للاقتباس والتضمين على حد

---

[1] سعيد يقطين: الرواية و التراث السردي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ص:10.

[2] المرجع نفسه، ص:11.

[3] ينظر، محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، مرجع سابق، ص:18.

[4] مفيد نجم: (الوعي و اللاشعور، التناص بين الاقتباس و التضمين)، مقالة من شبكة الانترنيت.

ما نلقاه في الدراسات البلاغية العربية. ثم في مرحلة تالية، النوع الثاني من القسم الأول كذلك، و الذي يقوم على التذويب والامتصاص.

وفي سياق الحديث عن التناص كإستراتجية يعيها الكاتب من خلال فعله اللغوي، يمكن أن نوضح مفهوم التضمين والاقتباس؛ أما الأول فقد عرفه محمد بن علي الجرجاني بقوله: (**هو أن يضمن ــ أي الشاعر ــ في شعره، شعر غيره فإن كان المأخوذ بيتا أو أكثر، سمي استعانة. و إن كان مصرعا فما دونه سمي إيداعا أو رفوا.**)[1]

و إذا كان هذا التعريف يقتصر مفهوم التضمين فيه على تداخل النصوص الشعرية، فإن ابن الأثير يذهب إلى أن التضمين (**لا يشمل الشعر والكلام المنثور فقط، وإنما يشمل ــ أيضا ــ النص القرآني والأخبار النبوية.**)[2] و هو كلي إذ ذكرت فيه الآية بمجملها، وجزئي إن درج بعض الآية فقط.

ويرى الزركشي أن التضمين كلمة تطلق (**على إدراج كلام الغير في أثناء الكلام لتأكيد المعنى أو ترتيب النظم وتسمى إيداعا.**)[3]

و لعله يحسن أن لا نسترسل في سرد آراء النقاد حول ما يحمله هذا المعنى، ما دمنا قد فهمنا لحد الآن وعن طريق ربط مفهوم التضمين بالتناص أنه استحضار نص سابق في نص لاحق لغاية ينشدها الكاتب.

أما الاقتباس فتعريفه اللغوي هو من المعنى نفسه الذي رأيناه في اصطلاح النقاد على التضمين فنقول اقتبس الشاعر أو الكاتب: أي ضمن إنتاجه آية قرآنية أو حديثا نبويا أو غيريهما.

---

[1] طالب محمد إسماعيل: من أساليب التعبير القرآني، دراسة لغوية وأسلوبية في ضوء النص القرآني، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1996، ص: 14.

[2] طالب محمد إسماعيل: من أساليب التعبير القرآني، دراسة لغوية وأسلوبية في ضوء النص القرآني، مرجع سابق، ص:14.

[3] نقلا عن المرجع السابق، ص:15.

وفي الاصطلاح يعده البلاغيون من المحسنات البديعية اللفظية، و هو أن يضمن الكاتب أو الشاعر (أو المتكلم) إنتاجه الأدبي نصا لغيره.[1]

و العربي التبسي في نصوصه خطابية كانت أم مقالية كثيرا ما يعتمد على استحضار الموروث من القرآن بالدرجة الأولى، ثم الحديث، فالشعر العربي إضافة إلى الأمثال و الحكم و حتى الشعبية الدارجة منها، و إن كان هذا نادرا.

و تأثر أسلوب الشيخ بمثل هذا الموروث على تنوعه و تكامله، يعود إلى طبيعة الرسالة التي اختارها لنفسه في الحياة، ومن ثم إلى طبيعة حياته المرتبطة بعناصر هذا الموروث.

أما عن تأثر أسلوبه بالقرآن من خلال التناص معه، سواء كان هذا عن وعي أو عن عفوية، فيتجلى في كثرة التضمينات كلية كانت بإيراد الآية كاملة أو جزئية بإيراد بعضها فقط، بل و حتى على مستوى ما يختاره من ألفاظ و التي أغلبها مصدره القرآن الكريم.

و إذا كانت هذه الخاصية الأسلوبية من أبرز ما ميز كتابات الشيخ العربي فسنكتفي بالتمثيل ــ دائما ــ عليها من خلال بعض الأمثلة، ويمكن أن نبدأها بما كان يورده عن قصد (وعي) في شكل استشهادات، ومنها قوله في توظيف النص القرآني: (**أيها المسلمون إننا في يوم حداد على ديننا لن نظلم القانون، ولن نزعج الأمنيين، ولن نعرض النظام للاضطراب و الخلل، فعلى شعبنا أن يستعد للمشاركة في يوم الحداد، و إن هذا اليوم سيبقى يوم حداد كل سنة حتى يتحرر الدين الإسلامي من هذا الظلم الذي خصصته به فرنسا الاستعمارية** « وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ »*)[1]

---

[1] ينظر، علي الجارم، و مصطفى أمين: البلاغة الواضحة، البيان، المعاني، البديع، ط1، مكتبة الآداب، مصر، 2002، ص: 263.

* «هَاأَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ»، سورة محمد،الآية:38.

و مما ورد في استشهاده بقوله صلى الله عليه وسلم. قوله:(**وليكن في رجال الجمعية من يحي الدين في قلوب هذا الجمهور بكل وسيلة تمكنهم، كالاختلاط بالجمهور سواء كان اختلاط بواسطة المحاضرات في النوادي و الجمعيات أم بشد الرحال إلى الجهات التي يمكن أن يسافر إليها الوعاظ باسم الجمعية خدمة لمهمتها التي تكونت من أجلها ويومئذ يمكن لهذا القسم من أفراد الأمة أن يفهم دينه، ويتأدب بأخلاق الإسلام و تكون جمعيتنا قد أدت ما عليها من واجبات الإسلام ونشر فضائله وتعليم العامة، ومقاومة الأمية ورد الضالين إلى الصراط المستقيم، وقد حكم نبيكم صلى الله عليه وسلم على هداية الناس قال:** «لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس.»*)[2]

أما ما جاء فيه استشهاده بقوله تعالى، ثم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الوقت ذاته، هو قوله: (**أيها الإخوة: إن وجوب إرشاد العامة على العلماء قد ثبت بكتاب الله الذي يقول:** « لِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ »** **و الإنذار و**

---

[1] العربي التبسي:(بيان عن إصرار الحكومة الفرنسية على تولي اغتصاب المساجد و الأوقاف، و افتكاكها لحق المسلمين لإقامة الشعائر الدينية الجماعية في مساجدهم)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص: 115.

*حدّثنا قُتيبةُ بنُ سعيدٍ حدَّثَنا يعقوبُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ محمد بنِ عبدِ اللهِ بن عبدِ القاريُّ عن أبي حازمٍ قال: أخبرَني سهلٌ رضيَ الله عنه ــ يعني ابنَ سعدٍ ــ قال: «قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم يومَ خَيبرَ: لأُعطِيَنَّ الرايةَ غداً رجلاً يَفتحُ اللهُ على يديهِ يُحِبُّ اللهَ ورسوله ويُحبُّه اللهُ ورسولهُ. فباتَ الناسُ لَيلَتَهم أيهم يعطى، فغدَوا كلُّهم يَرجوه، فقال: أين عليٌّ؟ فقِيل: يَشتَكي عينيهِ، فبصَقَ في عَينيهِ ودَعا لهُ فبَرأَ كأنْ لم يكن بهِ وجَعٌ، فأعطاهُ، فقال: أُقاتلُهم حتّى يَكونوا مِثلَنا، فقال: انفُذْ على رِسْلكَ حتّى تنزلَ بساحتِهم، ثمَّ ادعُهم إلى الإسلام، وأخبرْهم بما يَجبُ عليهم، فو اللهِ لأنْ يَهدِيَ اللهُ بكَ رجُلاً خَيرٌ لكَ من أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم».

[2] العربي التبسي: (ما ينبغي أن يكون عليه الإرشاد)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص:38.

** «وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ»، سورة التوبة، الآية: 122.

قرينة التبشير همّا الإرشاد، و تبث عليهم أيضا بقول نبيكم المؤيد بفعله، القائل لكم: «بلغوا عني ولو آية»*** **و القائل لكم:**« لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس».)[1]

و لعل الواضح من استحضار النص القرآني و نص الحديث النبوي الشريف على نحو ما مثلنا له في الفقرات السابقة هو الدقة في توظيف هذه الشواهد الشيء الذي أعطى نصوص العربي المتانة في الأسلوب و الدقة في التصوير وقوة المعنى. إضافة إلى هذا ارتباط هذا النوع من الخطاب الإصلاحي في تناصه مع المأثور من القران و السنة بالترغيب و الترهيب و بُعْدِهِ عن أدلة الأحكام، و هو ما نتج عنه خلوه من اللغة الأصولية. و في هذا نلمس نقطة التقاء الشيخ كواحد من أقطاب المدرسة الإصلاحية التي تمثلها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مع محمد عبده رائد الصحوة الإسلامية في الوطن الإسلامي.

و يمكن أن نشير كذلك في سياق ارتباط الشيخ بنصوص القرآن و الحديث النبوي، إلى أن استحضار الحديث هو الأكثر شيوعا، وهذا بالنظر في كل مابين أيدينا من كتاباته، و هو ما يدل على حرص الشيخ على التدقيق فيما يذهب إليه من أفكار، وهذا إن كنا نعلم أن القرآن حَمَّالُ أوجه، و حديث الرسول صلى الله عليه و سلم هو الشارح لهذا القرآن والمبين لمعانيه.

يضاف إلى حضور النص القرآني و الحديث النبوي الشريف في كتابات الشيخ العربي التبسي حضور الموروث من الشعر العربي القديم، وهو ما يعكس

*** حدّثنا أبو عاصمٍ الضحاكُ بن مَخْلَدٍ أخبرنا الأوزاعيُّ حدَّثنا حسانُ بنُ عَطَّيةَ عن أبي كَبْشةَ عن عبدِ اللهِ بن عمروٍ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: بلِّغوا عني ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرجَ، ومن كذَبَ عليَّ مُتعَمِّداً فليتَبوأْ مَقعدهُ منَ النار».

[1] العربي التبسي: (الحاجة إلى الإرشاد و توقف الإسلام عليه)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص:30.

ثقافته الأدبية. و من ذلك أن جعل بعض الأبيات الشعرية عنوان أحد نصوصه و الذي كان:

و إذا العناية لاحظتك عيونها   نم، فالمخاوف كلهن أمان.[1]

و من الأمثلة كذلك، هذا الذي جعل فيه البيت الشعري ختام نصه يقول: **(وإن الله يعلم، و المسلمون يعلمون أنه لولا الله سبحانه و تعالى أمرنا بأن نبلغ هذا الدين كما أخذناه لا ننقص ولا نزيد، ولو أننا نزحزح أنفسنا عن الذين يكتمون ما أنزل الله من البيّنات و الهدى. ما رضينا لأنفسنا أن نخاطب هذه الهلتاء التي لا فقه لها، و كلنا نثبت حيث أمرنا الله مستميتين في الدفاع عن الدين لو قطعنا إربا إربا، أو رمي بنا في أتون، و إن نحن لقينا فحسبنا:**

ما أنت إلا إصبع دميت   وفي سبيل الله ما لقيت.)[2]

و من الأمثلة التي يمكن أن نسوقها أيضا لنمثل لانفتاح نصوص الشيخ على الموروث من الشعر قولـه: **(ولقول ابن مسعود: ألا لا يقلدن أحدكم في دينه رجلا إن آمن آمن، وإن كفر كفر، فإنه لا أسوة في الشر. و لقول أحد من أهل البيت النبوي من قصيدة له يحث فيها على التمسك بالكتاب، وينهى عن تقليد الرجال بغير دليل:**

تريـــد تنام علــــى ذي الشبه	وعلـــــك إن نمـــت لم تنتبه
فجاهد وقلـــد كتـــاب الالاه	لتلقـــــى ألا لاه إذا مت به
فقد قلـــــــد النـــاس رهبانهم	وكـــل يجادل عـــن راهبـــه
وللحـــق مستنبط واحــــــد	وكـــــل يرى الحق في مذهبه

ويعني أن الله حفظ طائفة من السلفيين من غضب جريدة البلاغ، وحفظ السلف رضي الله عنهم من سوء القالة.

[1] العربي التبسي: (وإذا العناية لاحظتك عيونها   نم، فالمخاوف كلهن أمان)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص:69.

[2] العربي التبسي: (الإضرار بالدين باسم الدين)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق،ص:74.

فهل هؤلاء القوم الذين جعل الله مثلك راعيا عليهم يعرفون حقا يثبتونه؟ أو باطلا ينفونه؟ أم هم في أيديكم إن اهتديتم اهتدوا.وان ضللتم ضلوا؟؟!!

يوما يا من إذا لقيـــت ذا يمـــن وإن لقيـــت مـــعديا فعدنان.)[1]

من هنا يمكن القول إن الشيخ العربي التبسي قد وجد ضالته في الإبداع الشعري العربي، فكل هذه النصوص المستحضرة عنده تعد الوسيلة إلى إبراز ما يكتنفه فكره وتطلبه نفسه الإصلاحية، و هو لا يرضى أن يرى ما يعبر عنه إلا في أسلوب متين، يضمنه مثل هذا الموروث الذي هو سلاح المقاومة الثقافية حيثما كان يخوض غمارها. و لذا نجده في بعض النصوص يعمد إلى إثقالها من خلال التدرج في استحضار القرآن والحديث، فالشعر دفعة واحدة. وهذا ما نمثل له بقوله:(**ورثنا في حاضرنا هذا عمن تقدمونا بإحسان، ميدانا دينيا وتاريخيا وعلميا واجتماعيا وقوميا، ومجمل ذلك كله هو الإسلام والعروبة، وهذا الميراث الإسلامي أوصى به الله بالمحافظة عليه، وأوصت القومية الإسلامية بالعض عليه بالنواجد، وهذه المحافظة تتطلب منا أن نثبته في أوضاعنا الحقيقية الصافية، محققين ذلك في أنفسا وذوينا، وفيمن تحت رعايتنا، معلنين له كما تعلن الفضائل والمفاخر والحقائق، باذلين ثمنه كلما طولبنا ببذل ذلك الثمن في سبيله، صابرين على ما ينوبنا من أذى في أنفسنا وفي أموالنا وقي راحة أبداننا، كيفما كانت الإذاية، ومن أين جاءت؟ جاءت من حكومة أو هيئة، أو من حزب، أو من عصريات وعصبيات داخلية أو خارجية، مؤمنين بالامتحان والمحنة، تالين ومعتبرين للآيات والأحاديث التي قصت قصص الذين اختارو قبلنا الإيمان على الكفر والحق على الباطل، والهدى على الضلال، والتقوى على الفسوق، مستعدين لتلقي سنة الله التي جرت على أوليائه قبلنا بالثبات والتمسك بالحق وأن مستنا الأيام بما في طياتها من حلوة أو مرة، ومن لذيذة أو كريهة مصممين على التشبه بهم،**

[1]العربي التبسي: (لقد ضل من كان مثل هذا يهديه)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص ص: 113، 115.

والتأسي بمواقفهم متى طلبنا الامتحان والفنون بالتشبه بهم وتحمل ما تحمله حين ينادون«ألا إن سلعة الله غالية »*

« مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى »* **شعارهم:**

إذا كان رب العرش راضيا، فإن شفاء النفس فيها هنالك.

ويقول:

لست أبالي حين أقتل مسلما   على أي جنب كان في الله مصرعي.

متلقين كل مصيبة في ذات الله بمثل:

مـــا أنت إلا إصبــع دمــيت   وفي سبــيل الــله ما لقيـــــت.

و لذة الدفاع عن الحق والركون إليه ومع أهله يذهب معها طعم كل مرة، وتنسى فيه كل كريهة.)[1]

وكما كانت نصوص الشيخ منفتحة على المأثور من القرآن والحديث والشعر، فإنها كانت كذلك منفتحة على كل من الحكمة والمثل السائر، بوصفها جزءا من التراث الذي هو عماد ثقافة الشيخ والمُوَجِّهِ لِخَطِ كتاباته، ومن أمثلة تضمينه الحكمة والمثل هذا الذي يقول فيه:

(وإذا كانت الجمعية سنية، مصلحة متفانية في خدمة العلم والسنة كما هو الواقع، وخرجت عنها لأنك وجدت كرسي الرئاسة، ولقب رئيس، وذلك همك من دنياك، ورضيت أن تقبل لقبا تعريضيا بجمعية كنت أنت أحد رجالها، وطاب لك أن تلمز نفسك، وتعرض بإخوانك بأنهم أهل بدعة، إن كان ذلك، فإن إخلاصك قد فهم، وغايتك من أعمالك قد نلتها، وصح فيك المثل السائر:من أسر سريرة ألبسه الله رداءها.

---

* حدَّثنا أَبُو بَكْرِ بن أَبي النَّضرِ، حَدَّثَنا أَبُو النَّضْرِ، حدثنا أَبُو عَقِيلٍ الثَّقَفيُّ ، أَخْبَرنَا أَبُو فَرْوَةَ يَزِيدُ بنُ سِنَانٍ التَّمِيمِيُّ، حدثني بُكَيْرُ بنُ فَيْرُوزَ ، قالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قالَ رَسُولُ الله : «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ الله غَالِيَةٌ أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ الله الْجَنَّةُ»، قال أَبو عيسى هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إلاَّ مِنْ حَدِيثِ أَبي النَّضْرِ.

* « مَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ »سورة القصص، الآية:62.

[1] العربي التبسي: (مواعيظ ليالي رمضان واجب ديني على علماء المسلمين 5)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص ص: 57، 58.

ثم لم يلبث إلا أياما حتى خرج إلينا بإخلاص في مدح الإخلاص والمخلصين، وكان صنيعه هذا في نظر العقلاء يمثل المثل السائر: كاد المريب يقول خذوني.)[1]

ومما وظف من هذا الموروث كذلك قوله:(**فإن الله لا يرضى إهانة دينه، ولا يحمل عباده المؤمنين ما لا يستطيعون من الصبر، وما لا يحمد الصبر عليه وهو إهانة دينهم، بل إنه سيجعل لهم في هذه البلاد رياضة على البلاء تزيدهم قوة في هذا الاستفزاز المنكر، وشحنا و جمعا لطاقة الشعور المكبوت بالحقد و الكراهية للظلم و الاضطهاد. و المثل يقول** (شدة الضغط تولد الانفجار).)[2]

إضافة إلى أننا نجد في نصوصه من الأحاديث ما هو في شكل حكمة ولو أن كل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم هي من الحكمة و إنما الذي نقصده هو الحكمة كشكل فني و من مثله: (كل ميسر لما خلق له). وكذلك (الناس معادن كمعادن الذهب و الفضة).

و يتعدى العربي التبسي الموروث من الأمثال العربية الفصحى إلى الانفتاح على الذاكرة الشعبية، و هذا بتوظيفه لبعض نصوصها من مثل: (**ولقد سلط علينا الاستعمار من القوانين الجائرة المبنية على الحقد و الكراهية و العنصرية و ما هو حري أن يكون سببا لارتحال كل حر أبي عن الوطن، ولكن العظام الظاهرة، عظام الآباء الكرام من أجدادنا، أبطال العروبة و الإسلام، تنادينا أن لا نرحل عنها ونتركها، فلنعل الصوت جميعا، لبيك، لبيك، لبيك و لنقل:** هنا يموت قاسي.)[3]

---

[1] العربي التبسي: (ما هو الإخلاص، ومن هو المخلص؟)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 135.

[2] العربي التبسي: (من غشنا فليس منا أيها الطرقيون)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص:211.

[3] العربي التبسي: (خطاب في ختم دروس معهد عبد الحميد بن باديس)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 199.

و لما كنا لحد الآن قد بينا كيف أن الشيخ العربي قد ارتكز في كتاباته على الموروث من التراث، و قد كان هذا الارتكاز واعيا يقصد إليه الشيخ حتى يجعل من نصوصه قوية الحجة، بينة الهدف، أو بغية التأثير في المتلقي الذي نتصور أنه كثيرا ما يتجاوب مع هذا الموروث الذي يمثل ماضيه التليد و حضارته المفقودة، و عزه الغائب، إضافة إلى أن هذا المورث كان يمثل سلاح المقاومة الثقافية التي كان يخوضها مشايخ الحركة الإصلاحية ضد الاستعمار. و قد كان شعارهم فيها **(لا يصلح آخر هذه الدنيا إلا بما صلح به أولها).**[1]

ولذلك فإنه كثيرا ما نلحظ ونحن نقرأ نصوصه أن هذا الموروث قد سكن حتى اللاشعور من بنائه النفسي، فبدا أن كل ما يكتب الشيخ العربي التبسي مستوحى في أسلوبه من التراث بكل الأبعاد التي مثلنا لها سالفا؛ **(قرآنا، حديثا، شعرا عربيا، حكمة، مثلا)**. وهذا ما علق عليه مفيد نجم في مقالته على التناص بالتناص اللاواعي، و لعلنا نشير إلى بعض هذا من خلال أمثلة من نصوصه. نبدأها بما كان يتقاطع من كتاباته مع القرآن الكريم، ومنه قوله: **(إن الذين جاءوا ديارنا هذه لم يكونوا أكثر منا مالا ولا ولدا، وإنما كانوا أكثر منا علما ونظاما. فلنكن نحن دعاة وبناة العلم والنظام، ولنكن مع ذلك مثال الاستقامة الدينية، فديننا السمح دين أعمال لا دين أقوال، ولنحارب الزيغ في الدين والضلالة في الإسلام.فالدين الإسلامي لا يتحمل زيغا ولا ضلالة.)**[2]

وهذه الفقرة كما يبدو، فيها استحضار لأكثر من آية قرآنية، فالاستهلالية تحيلنا على سورة التوبة وقوله سبحانه وتعالى: « كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

---

[1] من شعارات مجلة الشهاب.

[2] العربي التبسي: (خطاب في ختم دروس معهد عبد الحميد بن باديس)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 202.

بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الُّدنْيَا وَالآخِرَةِ و أُوْلَئِكَ هم الخَاسِرُونَ». [1] **أما قوله: (فديننا السمح دين أعمال لا دين أقوال)، فهو ما يتقاطع وقوله تعالى في سورة الصف:**« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ،كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ »، [2] **بل إنه في آخر الفقرة يتناص ومفردات القرآن باستعماله لكلمة: الزيغ والضلالة والإسلام.و هو ما نجده في قوله عز و جل:**« وَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا »[3]، **و نجده كذلك في الآية:** « أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ »، [4] **و أيضا في الآية الكريمة:** « إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ ». [5]

و من الأمثلة التي يمكن إيرادها في هذا السياق كذلك قول العربي التبسي: **(وكل سنة تمر على المهد يبرهن فيها على أنه يتقدم بخطوات جريئة نحو هدفه المقصود، وغايته العظمى، وأن أصله ثابت وفرعه في السماء، وسيأتي أكله كل حين بأذن ربه.غير أن التوازن بين أدبيات المعهد و مادياته ما يزال مفقود. فقد حقق الكثير من غاياته الأدبية، وأصبح ثابت المكانة.)** [6] وهو ما من خلال قراءته نستحضر قوله تعالى في سورة

---

[1] سورة التوبة، الآية:69.

[2] سورة الصف، الآية:2، 3.

[3] سورة آل عمران، الآية:7.

[4] سورة البقرة، الآية: 16.

[5] سورة آل عمران، الآية: 19.

[6] العربي التبسي: (المعهد الباديسي في سنته الرابعة)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 173.

إبراهيم:«أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ».[1]

وجلي إن نحن أردنا التعليق على ما تركه تناص كتابات التبسي مع النص القرآني من خلال ــ الأمثلة السابقة ــ أن نشير إلى ما تثيره العبارة القرآنية من دلالة عميقة و سلامة في التركيب و هو ما يشع نوعا من الجمال على الأسلوب في كتابات العربي التبسي، بعد أن جعلها ــ هذه الكتابات ــ تمتزج في سياق الدعوة إلى الإصلاح. و إن هذا الامتزاج أو التناص اللغوي و الفكري هو الأصلح آنذاك في التعبيرعن أفكاره، مستهينا بعدوه و مبينا قيمة دينه في ارتباطه بالعمل وعدم اقتصاره على القول.

أما التناص الذي جاء في المثال الثاني، ففيه يستوحي الصور الجميلة من قوله تعالى بكل ما تحمله من شحنة عاطفية وقوة على التفسير والإيضاح، ويُلْبِسُهَا ثوبا لأسلوبه حتى يبدو أو يقترب أن يكون في مثل جمال أسلوب القرآن وقدرته التصويرية.

وحسبنا أن نزيد هذا المثال لنستشهد على تداخل نصوص الشيخ العربي التبسي مع القرآن الكريم، وفيه يقول: (**...وإن هذه الصحيفة السنية سيحيي الله بها قلوبا ويفتح بها أبصارا ويهدي بها أناسا، ونرجوه سبحانه أن لا يضر بها آخرين آلفو البدع وطبعوا على عبادة الله على حرف.**)[2] و الكلام على قصره، نجده يشتغل على أكثر من خمس آيات نذكر منها: « فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ »،[3] وقوله:« اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ

[1] سورة إبراهيم، الآية: 23.

[2] العربي التبسي: (هذه جريدة السنة يا أهل السنة)، جريدة السنة، مصدر سابق، ص: 3.

[3] سورة البقرة، الآية: 73.

كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ»،[1] **وقوله:**«سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ »،[2] **وكذلك قوله:**« فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقًّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً »،[3] **وقوله أيضا:** « وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ».[4]

فالميت كما نتبينه من كلام الكاتب في نصه إنما هو من لا معرفة له بحدود ربه، وتعريفه بها يعني إجتثاثه من زمرة الشاخصة أبصارهم، لغفلتهم عن كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه و سلم. و بهذا فقد يهديهم الله إلى الصراط المستقيم، أما المتعنتون فقد طبع الله على قلوبهم بكفرهم يعبدون الله على حرف، يُقَلِّبُهُمْ مس الشر على أعقابهم وبذلك فهم من الخاسرين، و لا يخفى في هذه الإشارة ما يرمي إليه العربي التبسي من تعريض بالجماعات الطرقية في الجزائر آنذاك.

و سنضيف مثالا آخرا من المقال نفسه وفيه يقول:(**ويعتقدون أنها من الحاجات التي يتطلبها منا الإسلام فتقر بذلك أعينهم وتنشرح لظهورها صدورهم شأن أهل الحق إذا ظفروا بحقهم وينعمون بذلك بل ويرونها أمنيتهم المنتظرة المرتجاة، وإن هيئة إدارة الجريدة ستعطي لأهل السنة عهدا لا يخلف وميثاقا لا ينقض و حلفة لا تحلل فيها.)**[5] وقراءة مثل هذه الجمل تجعلنا نستحضر أكثر من سبع آيات يتناص مقال التبسي معها نذكر منها

---

[1] سورة الأنبياء، الآية: 97.

[2] سورة البقرة، الآية: 142.

[3] سورة النساء، الآية: 155.

[4] سورة الحج، الآية: 11.

[5] العربي التبسي: (هذه جريدة السنة يا أهل السنة)، جريدة السنة، مصدر سابق، ص: 3.

قوله:« وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا »،[1] و **قوله:**« وَقَالَتِ امْرَأَة فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ »،[2] **وأيضا قوله تعالى:**« فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»،[3] **وكذلك ما نجده في الآية:**« مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ »،[4] **وفي الآية:** « أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ »،[5] **وفي الآية:**« الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ »،[6] **وأخيرا في قوله تعالى:** «وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ».[7]

وثقل هذا الزخم القرآني بما يحمله من أسلوب و من معاني، سواء تفرقت بين الآيات المعروضة و حتى المسكوت عنها، أم تقاطعت فيها جملة من هذه الآيات، هو الذي أعطى و ثقلا في التأثير الأسلوبي عند الشيخ الغربي التبسي الذي نجد مصدره أساسا في الألفاظ القرآنية و بالتالي نجد هذا الانفتاح على النص القرآني، بصفته إرث البيان العربي في بناء الأسلوب، و إرث كل مسلم عارف وواع بما اختاره لنفسه في الحياة.

[1] سورة الفرقان، الآية:74.

[2] سورة القصص، الآية: 9.

[3] سورة السجدة، الآية: 17.

[4] سورة النحل، الآية: 106.

[5] سورة الزمر، الآية: 22.

[6] سورة البقرة، الآية: 27.

[7] سورة الرعد، الآية: 25.

و لما كنا قد رأينا بعض النماذج التي انفتحت فيها نصوص الشيخ العربي على القرآن انفتاحا غير مقصود، فإننا سنعرج الآن على بعض الأمثلة التي من خلالها نراه يستحضر نص الحديث النبوي الشريف. ونبدأ بقوله:(...أن تكون **لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بوصفه بما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الصفات التي تتوقف عليها الرسالة، وبالصفات التي لا تتوقف عليها الرسالة، ولكنها في الناس قليلة وشاذة، وتتمثل فيه على أتمها و أدومها.**

وباعتقاد أن رسالته عامة في الأسود والأحمر في الأحوال، ومحبته محبة لا تساويها، محبة النفس و الأهل، ونصر سنته، وإحياء ما أماتته البدع و الجهالات من محاسن دينه، و الذود عن سنته، وبيان أن دين ال في إتباعه.)[1] وإن كان العربي التبسي يقر بأنه يعتقد، فإننا نرى أن منبع هذا الاعتقاد هو اشتغاله على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي يمثل أحد منابع أسلوبه، و من أهم منابع أفكاره بعد القرآن الكريم ومن ذلك هذا الحديث الذي تجلت مفرداته في أسلوب العربي التبسي:

حدّثنا عبد الله حدَّثني أبي حدثنا إسماعيل حدثنا سعيد الجريري عن أبي نضرة حدَّثني من سمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق فقال: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربيٍّ على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى، أَبَلَّغْتُ؟ قالوا: بلَّغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: أيُّ يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام، ثم قال: أيُّ شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام، قال: ثم قال: أيُّ بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام، قال: فإن الله قد حرم بينكم دماءكم وأموالكم، ـــ قال: ولا أدري قال: أو أعراضكم أم لا ـــ كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، أَبَلَّغْتُ؟ قالوا: بلَّغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ليبلغ الشاهد الغائب».[2]

---

[1] العربي التبسي: (وجوب القيام بالإرشاد شرعا)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص:29.

[2] أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، م5، دار الفكر، دون بلد نشر، دت، ص: 141.

وكذلك ما روي عن الرسول عن **محمد بن بشار و محمد بن المثنى قالا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عَنْ أَنَسٍ بن مالكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ :** «لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ ــ وفِي حَدِيثِ عَبْدِ الوَارِثِ ــ الرَّجُلُ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».[1]

ومن الأمثلة التي نسوقها حول تداخل نصوص العربي التبسي مع الحديث النبوي الشريف قوله: (**يا أيها الإخوة تقدموا لأداء وظيفتكم الدينية، فأنتم أصحاب الحق، و أنتم ورثة نبيكم و حلفاء أمتكم، وتحملوا في ذلك الأذى كما تحمل نبيكم، وكل ذي مبدأ في الحياة، وعقيدة في الدين و المبدأ، وإن ما يصيبكم من وصب و أذى فلن يضيع عند من لا يضيع أجر المحسنين، و الله معكم.**)[2] و هو ما يتناص مع قوله صلى الله عليه وسلم في الرواية التالية: كما حدّثنا **نَصْرُ بْنُ عَلِيَ الْجَهْضَمِيُّ. حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دَاوُدَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ جَمِيلٍ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ ، قَالَ: كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ. فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ أَتَيْتُكَ مِنَ الْمَدِينَةِ، مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ. قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: لاَ. قَالَ: وَلاَ جَاءَ بِكَ غَيْرُهُ؟ قَالَ: لاَ. قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ:** «مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ. وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَها رِضاً لِطَالِبِ الْعِلْمِ. وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ. حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ. وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ. إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ. إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً. إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ. فَمَنْ أَخَذَهُ، أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ».[3]

وتتمثل الفكرة الرئيسية في الحديث في تبيان قيمة العلم التي هي من قيمة جزاء من سلك طريقه إلى الجنة، إضافة إلى أنه إرث الأنبياء، وهو ما من خلاله نقف على قيمة دعوة الشيخ العربي بوصفه شريكا في هذا الإرث، يكلم شركاءه

---

[1] سنن ابن ماجة: تحقيق و تعليق، محمد عبد الباقي، م1، دار الفكر، ص:26.

[2] العربي التبسي: (وجوب القيام بالإرشاد شرعا)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص:31.

[3] سنن ابن ماجة: تحقيق و تعليق، محمد عبد الباقي، م1، مصدر سابق، ص:81.

من العلماء في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حاثا إياهم بأسلوب الحديث النبوي على تحمل الأذى و الصبر على الظلم مادام الأجر يحتسب عند من لا تضيع عنده الودائع.

و من المقاطع التي وظف فيها الشيخ العربي الحديث كمعادل موضوعي منطلقه الواقع، نتيجة ما تحقق للجمعية من انتصارات هي من وعد الله سبحانه و تعالى، قوله:(**...هو الذي صدق عبده ونصر جنده، وهزم الأحزاب وحده...**)[1] و النص يحيلنا على خطبة فتح مكة في الرواية التالية، حدّثنا **عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الزُّهْرِيُّ. حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ ابْنِ جُدْعَانَ، سَمِعَهُ مِنَ الْقَاسِمِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَامَ، يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَهُوَ عَلَى دَرَجِ الْكَعْبَةِ. فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ. فَقَالَ:** «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ. أَلاَ إِنَّ قَتِيلَ الْخَطَإِ، قَتِيلَ السَّوْطِ وَالْعَصَا: فِيهِ مِائَةٌ مِنَ الإِبِلِ. مِنْهَا أَرْبَعُونَ خَلِفَةً، فِي بُطُونِهَا أَوْلاَدُهَا. أَلاَ إِنَّ كُلَّ مَأْثُرَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَدَمٍ، تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ. إِلاَّ مَا كَانَ مِنْ سِدَانَةِ الْبَيْتِ وَسِقَايَةِ الْحَاجِّ. أَلاَ إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُهُمَا لِأَهْلِهِمَا كَمَا كَانَا». [2]

و أخال أن الأمثلة قد وضحت حتى الآن حضور الموروث العربي، فضلا عن حضور النصوص القرآنية و نصوص الأحاديث النبوية الشريفة في نصوص الكاتب، حضورا ينم عن مدى ارتباط الشيخ العربي التبسي بهذه المصادر، و هو ما أكسبها قوة في الأسلوب، و منحها الجسارة لتحقيق وعي إصلاحي، منطلقه هو استيعاب الشيخ العربي التبسي لهذا الموروث الأدبي العربي و للنصوص الدينية، ولا شك في أنه هو الذي أعطى وزنا جماليا و عمقا معنويا لهذه النصوص التي تركها لنا الشيخ العربي التبسي.

---

[1] العربي التبسي: (مواعيظ ليالي رمضان 1)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص:41.

[2] سنن ابن ماجة: تحقيق و تعليق، محمد عبد الباقي، م2، دار الفكر، ص:878.

و يمكن أن نضيف في هذا الجزء من هذا العنصر ما نبين به تداخل نصوص الشيخ العربي التبسي مع خطاب النخبة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، و من ذلك تقاطع أو تناص أسلوب التبسي مع وصية شهيرة لعمرو بن الخطاب في دعوته الناس إلى محاسبة أنفسهم بأنفسهم قبل أن يحاسبوا،[1] ففي سياق هذه الدعوة، يقول الشيخ العربي التبسي: (**يجب علينا أن نتعلم محاسبة أنفسنا قبل أن نحاسب الناس، وقبل أن يحاسبنا الناس، يجب علينا أن نكون أشداء على أنفسنا حتى نستطيع أن نحتفظ بهذا الميراث العظيم.**)[2]

و قد بين الأستاذ: شرفي الرفاعي في مقدمة كتابه الأول الذي جمع فيه مقالات الشيخ العربي التبسي، بَيَّنَ كيف أنه تقاطع مع خطب الإمام على كرم الله وجه أسلوبا و توجها، و هذا ما مثل له بقول الشيخ العربي التبسي: (**و الذي فلق الحب، و برأ النسم لو أن امرءا مات أسفا و حزنا على حالة هذه الأمة لكان له عند الله بعض العذر**).[3]

يقول الأستاذ شرفي: (**فالتعبير السابق مقتبس بألفاظه من خطابين للإمام علي قال في أحدهما:** (أما والذي فلق الحب وبرأ النسم)، **وقال في الثاني:** (فلو أن امرءا مؤمنا مات من بعدها أسفا ما كان عندي ملوما بل كان عندي جديرا.)[4]و يواصل في تعليقه عن تقاطع نصوص التبسي مع أقوال الإمام علي رضي الله عليه فيقول: (**و اعتقد أن الصلة بين الرجلين لا تقف عند الجانب الأسلوبي وإنما تتجاوزه إلى الرؤية الفكرية و المذهب في الحياة،**

---

[1] يروى عن عمر بن الخطاب: « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، و تزينوا للعرض الأكبر، و إنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا. » محمد بن أحمد كنعان: فقه الحديث عند أئمة السلف برواية الإمام الترمذي، ج2، ط1، مؤسسة المعارف بيروت، لبنان، 1998، ص: 204.

[2] العربي التبسي: (خطاب في ختام المجلس الإداري لجمعية العلماء)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 201.

[3] العربي التبسي: (الجزائر تصيح بك أيها الجزائري أينما كنت)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 61.

[4] العربي التبسي: مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 37.

وأنه لما يرجح ذلك ما يلاحظه القارئ من الإحالات على أعلام معينة، استشهادا بآرائها و تنويها ضمنيا باتجاهها أمثال الإمام الحارث بن أسد المحاسبي، وابن قيم الجوزية.)[1]

و على ذكر تقاطع أو تداخل أو تناص كتابات الشيخ العربي التبسي و المشايخ من أئمة الإسلام، نشير أن هذا الأمر يتسع كثيرا عن إمكانية التمثيل، غير أني أشير إلى أن من بين نصوص التبسي التي تتم عن مثل هذا التقاطع ما عنوانه (ما هو الإخلاص ومن هو المخلص؟.)[*]

و إذا كنا قد بينا حتى الآن مدى ارتباط الشيخ العربي التبسي بالموروث الأدبي و الثقافي و بالنصوص الدينية من قرآن و أحاديث فإن هذا لا يعني توقف ثقافة هذا الكاتب و انحصارها فيه فقط، بل إننا نجده منفتحا حتىعلى الشعر الحديث و المعاصر لحياته، ومن ذلك ما نجده في قوله: **(والشعب إذا أراد الحياة فليكن كالأمم الأخرى التي نشدت الحياة فبلغتها، و معنى ذلك أن تحرر نفسها من أكسية الجمود و النقائص التي ورثتها عن الآباء.)**[2]وهو ما يتناص أسلوبيا و معنويا مع نص الشابي الذي منه قوله:

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القـــدر
و لابد لليل أن ينجلـــــــي ولا بـــد للقيد أن ينكـــسر
و من لم يعانقه شوق الحياة تبخـــــر في جوها واندثـــر[3]

فمفهوم حياة الشعوب عند الشيخ التبسي هو نفسه عند الشاعر الثائر الشابي، إذ هي رهينة الإرادة التي منشأها الرغبة في التغيير، و الطموح إلى

---

[1] المصدر نفسه، ص: 37.

[*] يمكن الوقوف على هذا النص كاملا في حديثنا عن أسلوب السرد في كتابات الشيخ.

[2] العربي التبسي: (حفل انتهاء السنة الدراسية)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص:167.

[3] ديوان أبي القاسم الشابي: أغاني الحياة، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1999م، ص: 199.

حياة أفضل في كنف عزة الإنسان بوطنه وهويته، ولعل هذا هو الباعث إلى إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وخلاصة القول في هذا العنصر أن الشيخ العربي التبسي، وكما نفهم من كل كتاباته، كان صاحب ثقافة إسلامية عربية يكشف عنها التناص مع القرآن الكريم والحديث النبوي إضافة إلى الشعر العربي والأمثال والحكم، وكذلك الإحالات على آراء العلماء المسلمين. وهذا ما أعطى هذه النصوص ثقلا تأثيريا استوحته من ثقل هذا الموروث، و قوة أسلوب نجمت عن حسن تفعيل النصوص التراثية و الدينية وتشغيلها بوصفها عناصر أساسية في بناء هذا الأسلوب الجمالي و الإصلاحي لهذه النصوص، و بخاصة في المجتمع الجزائري في النصف الأول من القرن العشرين.

5- السرد في بناء أسلوب الشيخ العربي التبسي:

يمكن حصر مفهوم السرد في نقل الأفكار كما نتصورها إلى صور لغوية حكيا، فهو نسيج للكلام على حد ما أوردته المعاجم العربية، وقد ذهب سعيد يقطين إلى أنه مرتبط بالفعل الكلامي عند الإنسان:(**فهو فعل لا حدود له، يتسع ليشمل مختلف الخطابات سواء كانت أدبية أو غير أدبية، يبدعه الإنسان أينما وجد وحيثما كان.**)[1]

وهذا ما ليس ببعيد عن تعريف رولان بارت على ما يقول عبد المالك مرتاض:(**فالسرد حاضر في الأسطورة والخرافة والحكاية والقصة والملحمة، والتاريخ والمأساة و الكوميديا، وضمن هذه الأشكال اللامحدودة للسرد نجد هذا الأخير في جميع المجتمعات، إنه يبدأ مع تاريخ الإنسانية نفسها، فلم يوجد أبدا شعب بدون سرد.**)[2] كما إنه عند وايت: (**تفكير في طبيعة الثقافة، وربما في الطبيعة البشرية نفسها.**)[3]

والحق أن الغاية من توضيح السرد كأسلوب تقوم عليه بنية الخطاب في كتابات الشيخ العربي التبسي كان المنطلق إليه تساؤل شلوميت بريمون كينان في كتابها المتخيل الحكائي حيث تقول فيما ينقل عنها سعيد يقطين: (**ما هو الحكي**

---

[1] سعيد يقطين: الكلام و الخبر، المركز الثقافي، الدار البيضاء بيروت، لبنان، دت، ص: 19.

[2] عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، وزارة الثقافة، الكويت، 1998، ص:258.

[3] عبد الله إبراهيم: السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، ط2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، 2000، ص: 252.

Narrative؟)، و الأهم من ذلك سؤالها الذي قالت فيه (**لماذا نجد في تعليق صحفي سردا ولا نجد حكيا؟**)[1]

ولأن كتابات التبسي سواء كانت تعاليق صحفية أم كانت نوعا آخر من التعبير فإنها جميعا نتاج صحفي في عصر التبسي و على ذلك فإنه يمكن القول بأنه: مهما يكن من أمر؛ أكان هذا الأسلوب (السرد) من متطلبات ما تنشره الصحافة أم لا؟ فإننا لا نستطيع القول بأنه الطابع العام الذي يغلب على كتابات الشيخ. غير أننا نستطيع التأكيد على أنه من أكثر الأساليب ظهورا في نصوصه، كما نلاحظ أنه كان يتفاوت في الظهور من نص إلى آخر.

و إذا كان السرد يعني التتابع الذي يتطلبه وجود حدث معين، فإن الأحداث في نصوص التبسي تتجسد في ارتباط هذا الكاتب بالماضي الذي يمثل التاريخ، وتفاعله مع الحاضر الذي يمثل الواقع المعيش. وتطلعه إلى المستقبل الذي يمثل الحلم المشروع، وبذلك فإن مرفولوجيا الزمن في نصوصه تحتل الدور المحوري الذي تترتب عليه عناصر من السرد مثل التشويق والإيقاع والاستمرار، كما نجده في القص تماما، ثم إنه يحدد في الوقت نفسه دوافع أخرى محركة مثل السببية ثم التتابع.[2]

و من هنا تأتي أهمية السرد بوصفه عنصرا من عناصر الكتابة، حيث إنه يضمن للكاتب أو الخطيب القدرة على التحكم في نفسية القارئ أو المستمع، ودفعه إلى التركيز والاستمرارية في تلقي الموضوع.

و أسلوب الكتابة في نصوص العربي التبسي من الناحية الزمنية تبدأ من الحاضر ليعود الكاتب في تفاعله مع التاريخ إلى الماضي. و لعل هذا المسار الزمني في أسلوب السرد عنده يظهر أكثر ما يظهر في انسجام افتتاحية نصوصه

---

[1] سعيد يقطين تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي، ط3،المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1985، ص: 46.

[2] ينظر، سيزا قاسم: بناء الرواية، مرجع سابق، ص: 20.

مع المناقشة في عرض الموضوعات، بينما تبقى النهاية أو الخاتمة مجال اشتغال الزمن المستقبل بما يمثله من تصور، يأتي كنتيجة مناقشة موضوع، يمثل صلبه واقع المجتمع المعيش، أو حالة الجزائريين الاجتماعية آنذاك.

غير أن الزمن في كتابات التبسي لا يستقر دائما على هذا التتابع، فنجده أحيانا يستمر في الحاضر؛ خصوصا حينما يتخطى نقاشه المخيلة التاريخية ويمتد إلى الحديث عن الآخر، وما حققه من مكاسب علمية وحسن تنظيم في الحياة.

و بالتالي فإن الترتيب الزمني كما يبرز في أسلوب السرد عند الشيخ بات من العسير تصوره أو الحكم بتباته عن التبسي لعدم تقيده بقانون يحكم ترتيبه، وإنما الذي يمليه هو طبيعة الموضوع وكيفية الخوض في مناقشة هذا الموضوع، ولعل نصه الذي عنوانه (**سعادة وشقاء**) مثال على وجود هذا النوع من السرد في تراتب زمني، المنطلق فيه الحاضر؛ فعندما يستهل الكاتب مقدمة نصه بحوار يبدو داخليا، حيث يطرح مجموعة من الأسئلة وكأنه من خلالها يضع المتلقي في هيئة انتظار، ثم يجيب عليها تلميحا بالإثبات الذي يسميه وصفا (الإجابة على هذه الأسئلة)، ثم ينتقل في فقرة لاحقة إلى الاستذكار بالعودة إلى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يرشد الناس ويوجههم، فيبدأها بجملة اسمية مؤكدة والخبر فيها هو جملة اسمية أخرى استهلها بالفعل الماضي الناقص (**كان**)، وهي قوله:(**إن الإرشاد كان وظيفة نبينا**)، ولأن (**كان**) هنا تفيد انتهاء الفعل الذي بدأ حدوثه في الماضي فإنها تضمن استمراريتها وبالتالي استمرارية تتابع الأحداث من خلال ما ورد بعدها من أفعال مضارعة تفيد بدورها الحدوث في الماضي لدخول كان عليها. يقول: (**...إن الإرشاد كان وظيفة نبينا ذلك أن تاريخه ينطق بأنه كان صلى الله عليه وسلم يعقد مجالس الوعظ ويحادث الناس، ويبعث بالموعظة إلى نفوسهم، ويلقي بالحكمة إلى**

أذهانهم.)،[1] إلى هنا يتوقف عن السرد من خلال المضارع الدال على الماضي، ليباشر سرده للأحداث من خلال استخدام الماضي نفسه:(**فإذا عقولهم التي ــ شبت في الجاهلية ــ قد زكت بذلك الإرشاد، فيتولد عن ذلك الذكاء استقامة في الأعمال وحسن في الأخلاق، وطيب في الآداب كأن ربك القادر...)**،[2] ثم في المشهد اللاحق بعد حديثه عن الرسول صلى الله عليه وسلم يروي حديثا أخرجه الأئمة عن سيدنا حنظلة، وعن طريقه يجسد لوحة فيها رَسْمٌ لنفسية الصحابي الجالس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشده، ثم حالة نفسيته بعد أن ينصرف عن المجلس إلى الدنيا ويخوض فيها، وينتهي النص بفقرة أخرى من خلالها يطرح مجموعة أخرى من الأسئلة الغرض منها في الحقيقة ليس انتظار جواب بعينه، وإنما هو تقديم تصور لمستقبل من يُلْقِي فيهم هذا الكلام من حيث العلاقة التي تجمعهم بالإرشاد.

و من النصوص التي تحقق فيها السرد نص هو واحد من مواعيظ ليالي رمضان، حيث من خلال واحدة من فقراته نجد وصفا للفرد الجاهلي أين كان يعيش وكيف كان يعيش؟ ثم كيف صار يحيا بعد أن غير من حياته الإسلام، وهذا من خلال سرد حديث جعفر بن أبي طالب الذي قاله في مجلس النجاشي حين وشى به وبمن معه من مهاجري الحبشة عمرو بن العاص رسول المشركين إلى النجاشي، وأراد عمرو أن يحمل النجاشي على إخراجهم من أرضه. يقول جعفر:(**كنا نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف.)**[3]

---

[1] العربي التبسي:(سعادة و شقاء)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص: 25.

[2] العربي التبسي:(سعادة و شقاء)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص: 25.

[3] العربي التبسي: (مواعيظ ليالي رمضان واجب ديني على المسلمين 6)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج2، مصدر سابق، ص: 63.

وتوظيف العربي التبسي للحديث هو الذي يبرر لجوءه إلى السرد في كتاباته. و إن كان الأصل فيها تفسيرية، و هذا عن طريق الاستذكار الذي يعني التوظيف الواعي للمخيلة التاريخية، و هذا نتيجة استرجاعه لحياة الجاهليين في غياب القانون الديني الذي جعل من حياتهم فوضى.

و إذا كان الاسترجاع بوصفه تقنية سردية هو أن يترك المتحدث نقطة حديثه الأولى ليعود إلى بعض الأحداث الماضية فيعيد روايتها في لحظة لاحقة لحدوثها، فإن من وظائفه كبناء يدخل في تركيبة أسلوب المقال أو الخطبة هو التفسير و التوضيح قصد أسر فكر القارئ و إقناعه.

و جمالية أسلوب الكتابة عند العربي التبسي تكمن أكثر في الوصف الذي من خلاله يكشف عن طبيعة المجتمع و عن علاقات الأفراد فيه بما تحمله هذه العلاقات من صدامات ترجع إلى خلفياتها الفكرية و الثقافية.

و الوصف في هذه الدراسة ليس المقصود منه ذلك الأسلوب **(الإنشائي الذي يتناول ذكر الأشياء في مظهرها الحسي ويقدمها للعين)**،[1] و إنما ذلك الذي من خلاله تبرز صور المجتمع و الحالات النفسية التي يعيشها أفراده انطلاقا من التفاعل الحاصل بينهم في هذا المجتمع، أو في احتكاك مجتمعهم بالمجتمعات الأخرى و تواصله معها.

و لعل حديثنا عن الصورة في الفصل السابق كتصور ذهني هو انعكاس عن الامتزاج الحاصل بين السرد و الوصف في نصوص التبسي. و يهمنا هنا التفرقة بين **(الوصف التصنيفي الذي يحاول تجسيد الشيء بكل حذافيره بعيدا عن المتلقي أو إحساسه بهذا الشيء، و الوصف التعبيري الذي يتناول وقع الشيء و الإحساس الذي يثيره هذا**

[1] سيزا قاسم: بناء الرواية، مرجع سابق، ص: 79.

الشيء في نفس الذي يتلقاه. أما الأول فيلجأ إلى الاستقصاء و الاستنفاذ، بينما يلجأ الثاني إلى الإيحاء و التلميح.)[1]

و لهذا لا يمكن أن نقف في نصوص كتابات التبسي مع مقاطع وصفية متكاملة، إنما الذي يميز هذه النصوص تلاحم الوصف و السرد فيها و هو ما يسمى بالصورة السردية نتيجة ما تعرضه من أشياء متحركة.

و الصورة السردية في كتابات التبسي كثيرة يهمنا أن نقدم عليها مثالا، يقدم فيه صورة عن الجزائر. يقول: (و الأمة الجزائرية لا يقال عنها أنها في أيام احتلالها لم تؤسس المؤسسات، و لم تقدم للإنسانية في هذا الوطن أي خدمة عقلية، أو دينية أو اجتماعية بل يقال عنها شر من ذلك. إذ هي عوقبت شر عقوبة عرفها تاريخ العصر الحديث. فقدت ما بين يديها. وسلب منها ما أنشأه الأوائل لهذه النواحي، و ما أسسوه لخدمة العلم قبل الاحتلال.

اغتصبت أوقافها و نزعت منها مساجدها و منعت حق التصرف فيها، وفرضت عليها قوانين من شر ما يعرفه البشر في عالم التشريع الإنساني، فالتعليم الديني و الدنيوي سلطت عليه قوانين لا إنسانية. وكلف سنها و تنفيذها أولئك الذين كلفوا بتشريع و تنفيذ قوانين الجرائم. و باب تعليم القرآن.

و العلم في الجزائر في عداد الجرائم. يحاكم معلم القرآن و العلم، والمحارب للأمية من غير رخصة من الحكومة الفرنسية مع القتلة و المجرمين، بقوانين واحدة، في محكمة واحدة، و على يد قاض واحد، وفي يوم واحد.)[2]

فمن خلال هذه اللوحة السردية،* حيث يتداخل الوصف مع السرد نجد العديد من الأفعال الدالة على الوصف سواء في ذاتها أو في ارتباطها بما يأتي

---

[1] المرجع نفسه، ص: 81.

[2] العربي التبسي (دين في ذمة أمة يقضى)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص:151.

* و هو ما تصطلح عليه سيزا قاسم الصورة السردية، و يسميه جيرار جنيت بالمسرد، ينظر سيزا قاسم، بناء الرواية، مرجع سابق، ص: 112.

بعدها من كلام. ومنها (أغتصب، ونزعت، ومنعت، وفرضت، سلطت..)، و هذا قصد عرض حالة الجزائر و الجزائريين ووصف واقعهم المعيش في ظل الهيمنة الاستعمارية، وقد زاد من بشاعة تصوير المستعمر دلالة الفعل في بنائه للمجهول و هو ما يعكس هذه الممارسات و ملابساتها المعتمدة.

و العربي التبسي في وصفه لا يلجا إلى الاستقصاء كي لا يعيق عملية التواصل، و جوهر الكتابة يكمن في أن يواصل الكاتب أحاسيسه و مشاعره، و يبث أفكاره.[1]

وإذا كان الاستقصاء الذي يعني الوقوف الدقيق جدا على الجزيئات ــ و هو ما نجده في اللوحات الوصفية ــ قد تجنبه العربي التبسي هنا بسبب ضمان التواصل، فإن هذه الصورة قد تمكنت من تصوير الاستعمار بقهره و الجزائر بمعاناتها أمام عين القارئ بشيء من التفصيل.

و في مثل هذا السرد التفصيلي قوله: (**هذه الآية هي أن الجزائر ثلاث مقاطعات من فرنسا. و لا يكون في هذه المقاطعات إلا ما يرضي الاستعمار الأسود مترل هذه الآية. و القادر على اختراع الأغلوطات و إن غضبت الأديان وسخطت العدالة، واحتجت الجغرافيا، و أنكر ذلك كل مبدأ من مبادئ الحقوق و العدالة.**

و الاستعمار كما هو معلوم جريء في إنكار الحقائق، كفور بحقوق الضعفاء، و الأمة الجزائرية وإن خضعت لهذه المظالم بظاهرها، وصبرت على كره لإعطاء النقيصة في دينها و دنياها تحت سلطة استعمارية ضيقة الصدر بحقوق الإسلام و العروبة، لم تودع بروحها عروبتها و دينها و ثقافتها و أخلاقها الإسلامية، فقد بقيت تنتظر يوم الفرج و تتحين الفرص المواتية و الأوقات المناسبة للعودة إلى ما يطالبها به الإسلام و العروبة من ثقافة ودين، و من مؤسسات شعبية لتهذيب الأمة... وإن كانت إلى اليوم تعدها قوانين الاستعمار غريبة وهي في وطنها، و يعاملها معاملة الثقافة الأجنبية المخطرة ذات المبادئ الهادفة. تغلقها الإدارة متى شاءت

[1] ينظر، سيزا قاسم: بناء الرواية، مرجع سابق، ص:88.

من غير محكمة، و يتسلط رجال الحكم الاستعماري على تلك المدارس يوصدون أبوابها و يطردون معلميها ويخرجون تلاميذها منها إلى حيث يلقون شرور الأمية.)[1]

و لاشك أن العربي التبسي قد فصل تصويره في كل مقالاته على غرار ما نجده في هذين المثالين المقتبسين من ذات المقال (**دين في ذمة أمة يقضى**)، و بالتالي فقد صار هذا النوع من التعبير في نسيج نصوصه سمة أسلوبية بارزة اقتضتها الغاية من كتابة هذه النصوص في مواجهة الاستعمار و ثقافته الرامية إلى عزل التعليم الديني واللغة العربية، و ترك المجال مفتوحا للثقافة الفرنسية، أو ترك الشعب لشرور الأمية.

وبذلك يمكن القول إن أسلوب السرد الذي ميز كتابات العربي التبسي قد اتخذ أبعادا تحليلية ووجدانية و أسلوبية، أما البعد التحليلي فيرجع إلى كيفية عرضه للأحداث سواء من خلال سرده لتاريخ الحضارة العربية وكيف نشأت وتطورت، أم من خلال الإشارة إلى طبيعة الحياة كما كان يحياها الجزائري المسلم في تلك الفترة (فترة إنتاج النصوص) وعلاقته بالحضارة الغربية الاستعمارية، أم من خلال الحديث عن هذه الحضارة نفسها.

بينما الوجدانية تكمن فيما يتركه مثل هذا التحليل في نفسية المتلقي، وهو ما يولد انفعالا دراماتيكيا يشكل سلسلة من الاختزالات للنزاع بين الحضارة و اللاحضارة، أو بين الفوقانية والدونية، أو بين الانتصار والهزيمة، أو بين الفوز والفشل، فالتناوب الدراماتيكي الذي يلخص كل عراك اجتماعي يقوم على الاقتراب مرات عديدة من الهزيمة والموت والفشل، فالنزاع بين الأنا

---

[1] العربي التبسي (دين في ذمة أمة يقضى)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص ص:152، 153.

(الاصطلاحي) والآخر(الاستعماري) عبارة عن نشوة عراكية دراماتيكية بين المتخاصمين، وقصة هذا النزاع عبارة عن نشوة دراماتيكية لدى القارئ.[1]

أما الجانب الأسلوبي الجمالي، فمرده إلى الوصف كما تمت الإشارة إليه سلفا، زيادة على **(الانفعالات الناتجة عن فنون الأسلوب والمعلومات التاريخية والنفسانية والفلسفية. وهي بالتالي تؤدي إلى لذة تعليمية أو لذة جمالية يشعر بها القارئ لدى مطالعته)**[2] لهذا الإنتاج الفكري. وهذا نتيجة الطابع الإعلامي والإخباري والتحليلي الذي يغلب عليها، أو نتيجة ما تنقله من خواطر وأفكار فلسفية وأخلاقية.[3]

فأسلوب السرد في كتابات التبسي عموما قد اتخذ صيغة الإخبار؛ سواء كان إخبارا صرفا أم وصفا، وذلك لأن الشيخ العربي يتكلم باسمه الشخصي، ويغلب على كلامه طابع الموضوعية. و من هذا ما جاء في قوله:

(وبعد هذا التمهيد انتقل إلى الموضوع، وأسرع في المقصود فأقول: الإخلاص: مصدر أخلص، ومعناه تصفية الشيء مما يمكن أن يدخله من الشوائب، والمصادر من قسم الألفاظ المطلقة كما هو مقرر في علم الأصول. فيكون الإخلاص يطلق على الشيء المصفى من غيره سواء كان الشيء خيرا أم شرا.

فيقال لغة: أخلص المرائي في ريائه. كما تقول أخلص المؤمن في عمله لربه. هذا أصل الإخلاص لغة، ثم إن العرف الديني، والاستعمالات الشرعية قيدت هذا المطلق، وقصرته على تصفية العمل الشرعي من الشوائب المستندة له كالرياء، والمقاصد الفاسدة، والغرور.

ويقابل الإخلاص بالمعنى الشرعي: الرياء، والمخلص دينا على القاعدة الاشتقاقية هو العامل المصفي لعلمه من كل ما يضر بالعمل دينا.

---

[1] ينظر، جوزيف ميال شريم: دليل الدراسات الأسلوبية، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، 1987، ص ص: 18، 19.

[2] المرجع نفسه، ص: 21.

[3] ينظر، المرجع نفسه، ص: 21.

و إذا تبين لنا معنى الإخلاص لغة وعرفا فإني أقفي كلامي هذا بكلمات لعلماء الدين في الإخلاص والمخلصون تصحيحا لكلامي، ليعلم المخلصين إن الغارة الشعواء التي وقعت هذه الأيام على حقيقة الإخلاص الديني، وعلى لفظه من بعض رواد الأغراض الذاتية. هي غارة ظالمة، ودعوة عاطلة، يراد منها تضليل الرأي العام، وذر الرماد في العيون، وصرف الناس عن فهم حقيقة صاحب هذه الغارة التي هي رياء لا تغطية التضليلات، ولا تستره عن الأنظار العلمية المخادعات، وصاحبها باسم المرائي أول، وعمله بالرياء ألصق.

وأظن أن الحوادث التي مرت بالجزائر في بحر السنوات القريبة مما سأشير إلى قليل منها، تنادي بأفضع بيان: أن عمل مخلص الإخلاص رياء، وأن لسان تقلباته ينشد الناس:

يوما يمان إذا لقيت ذا يمن   وإذا لقيت معديا فعدنان.

ولعمر الحق أن من يريد أن يرضي الناس، ويوافق كل الخصوم لهو المرائي الذي لا يختلف فيه عاقلان، وليعلم القراء أني لست بمغفلت لهذا الموضوع حتى أسرد لهم كلام الأئمة الذين تصدوا للكلام على الإخلاص والمخلصين ليعلم المراءون أن في السويداء رجالا. وأن عصر التضليل ومخادعة الأمة ذهب غير مأسوف عليه و لم يبق إلا تعرض فيه الرجال على كثير التمحيص ليعرف الخبيث من الطيب.

«فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ» *

قال السوسي رحمه الله معرفا الإخلاص: الإخلاص فقد رؤية الإخلاص. فإن من شاهد في إخلاصه الإخلاص فقد احتاج في إخلاصه إلى إخلاص. انتهى.

وقال أبو عثمان: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق فقط.انتهى.

وقال الجنيد: الإخلاص تصفية العمل من الكادورات.

و الإخلاص الجديد لاحظ له في صدق جميع هذه المعارف على إخلاصه، وكلها تخرجه عن أن يسمى بهذا الاسم، أو يصدق على صاحبه لفظ مخلص. ذلك أن صاحب الإخلاص والمخلص الجديد إنما ينطق لخدمة نفسه، وإرضاء شهوته، واكتساب الشهرة، واغتصاب الإخلاص. وها هو

* «أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ» سورة الرعد،الآية: 17.

تتغير مواقفه ــ كشأن كل مراء ــ بإقبال الناس وإدبارهم عنه، واحتياجهم إليه، واستغنائهم عنه، وهو ما يفتأ يكتب إلى الناس في فضائل الإخلاص والمخلصين، ويحاول أن يجذب إليه القارئ لا خلاصة، يملأ صدره، ويحشو معه بأن هذا الزعيم الجديد هو المخلص، ولا أدري كيف ظن أن الناس سيسمون رياءه إخلاصا وبين أيديهم كتب الدين التي قتلت هذه الحقيقة بحثا، فأخذ يغرر بالناس ويسفة عقولهم، ويكتب الفصول تلو الفصول مادحا الإخلاص الذي يصح لكل أحد أن يدعيه توهما أن الناس في غفلة عنه وعن مواقفه التي تنادي بالرياء.)[1]

و واضح من هذا النص الذي أوردته على طوله أن طابعه إخباري الغاية منه التبليغ، الذي يقوم على الموضوعية والتدرج في الطرح، وهو ما يمكن أن نطلق عليه اسم السرد العلمي.

وخلاصة كل ما سبق أن السرد من مميزات الأسلوب في كتابات الشيخ، التي اعتمدها في منهجه التبليغي قصد ضمان حسن التواصل مع من كان يقصد إليهم بمثل هذه النصوص ويحرص على نشر دعوته في أوساطهم.

[1] العربي التبسي (من هو الإخلاص، ومن هو المخلص؟)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 127.

6- أسلوب السخرية:

لَمَّا كنا، قد درسنا في النعصر قبل السابق تداخل نصوص العربي التبسي مع التراث الأدبي العربي القديم، أو مع النصوص الدينية بما فيه القرآن الكريم، تبادر إلى ذهني و أنا أسجل هذا العنوان قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ».[1]

وقد جاء في تفسير القرطبي لكلمة سخرية على أنها: الاستهزاء،[2] وهو المعنى نفسه الذي وقفنا عليه في مفردات غريب القرآن:(**وسخرت منه واستخرته للهزأ منه**)،[3] وكل من المعنيين مأخوذ مما نجده مبثوثا في القواميس.[*]

أما الرازي فيفسر كلمة السخرية بقوله:(**أن لا ينظر الإنسان إلى أخيه بعين الإجلال ولا يلتفت إليه ويسقطه من درجته، وحينئذ لا يذكر ما فيه من المعايب، وهكذا كما قال بعض الناس تراهم إذا ذكر عندهم يقولون: هو دون أن يذكر، وأقل من أن يلتفت إليه.**)[4] فهو كالمسخرة لا يغضب له ولا عليه.

والسخرية في كتابات العربي التبسي، أسلوب يلتجئ إليه حينما يريد أن يلفت النظر إلى الطرقية قصد إنزال مشايخها منازلهم، وفضح ألاعيبهم التي

---

[1] سورة الحجرات، الآية:11.

[2] عبد الله بن محمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق، أحمد عبد العليم البردوني، م16، دون معلومات نشر، ص:323.

[3] الراغب الأصبهاني: المفردات في غريب القرآن، مراجعة محمد خليل عيتاني، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1998،ص:223.

[*]جاء في القاموس المحيط: سَخِرَ منه وــ به، كفَرِحَ، سَخْراً وسَخَراً وسُخْرَةً ومَسْخَراً وسُخْراً وسُخُراً: هَزِىءَ، كاسْتَسْخَرَ. والاسْمُ: السُّخْرِيَةُ والسُّخْرِيُّ، ويكسرُ. ينظر، مجد الدين الفيروزابادي: القاموس المحيط، ج2، ط3، المطبعة المصرية، 1933م، ص: 46.

[4] الفخر الرازي:التسفير الكبير، ج27، ط3، دار إحياء التراث العربي، دت، ص: 131.

يغالطون المجتمع بها. و هذا لأنها (**وسيلة فاعلة للإقناع، لأنها تذهب أبعد من اللغة.**)[1] فهي تؤدي دورا أساسيا في فضح الواقع الديني المتعفن، وإدانة مسالك الطرفية الفاسدة والمفسدة، نتيجة ما تقوم به من مسخ لتعاليم الدين الإسلامي، وتوسيع للهوة بين الإدارة الاستعمارية والجزائريين. إضافة إلى ما تحمله السخرية في طياتها من عناصر بقائها؛ (**فهي تُرْوَى و يتناقَلُها الناس في مجالسهم معلقين عليها بين المعارضة والتأييد.**)[2]

وقد نجد السخرية في كتاباته تصل حتى مصاف الهجاء المقذع في حربه على الطرفيين،* وهو ما يذكرنا بحرب الرسول صلى الله عليه وسلم على المشركين، وبما كان يقوله إلى حسان بن ثابت: «**أهجم أو هاجم وجبريل معك.**» وفي رواية: «**إن روح القدس مازال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله**» [3] وليس من المبالغة إن قلنا أن حرب الشيخ العربي التبسي هي من حرب حسان، إذ باتت

---

[1] حسناء سليمان: بنية الخطاب السردي، مجلة علامات، م14، ج54، 2004، ص: 276.

[2] عبد القادر رزق الطويل: المقالة عند العقاد، مرجع سابق، ص: 310.

* و لعل السخرية تلتبس بالهجاء أو التعريض أو الدعابة، غير أن ثمة فرقا بين هذه المفاهيم، و هو ما يوضحه أحمد محمد الحوفي في سياق حديثه عن التهكم الذي هو جزء من السخرية، يقول:

أ –الفرق بين التهكم و الهجاء هو أن الهجاء صادر عن نفس واجدة غاضبة حاقدة، و التهكم (و هو جزء من السخرية) صادر عن نفس ساخرة ناقدة، مبرأة من الحقد و الموجدة.

ثم الغرض من الهجاء التجريح و التشهير و الإنقاص و العدوان، على حين أن الغرض من التهكم التهذيب و التقويم و الإصلاح.

و يكثر في الهجاء السب و الإقذاع، لكن التهكم لا سب فيه و لا إقذاع.

ب – و أما الفرق بينه و بين التعريض فهو أن التعريض لا يصرح فيه بالفكرة المقصودة، على حين أن التهكم قائم على التصريح.

ج - و أما الدعابة فهي تفكه بين الأوداء و الأصدقاء، وليس لها من غرض إلا الضحك و الإضحاك، ومن هنا يغايرها التهكم، لأنه يرمي إلى الإصلاح و التهذيب. ينظر، أحمد محمد الحوفي: الفكاهة في الأدب، أصولها و أنواعها، نهضة مصر للطباعة و النشر، 2001، ص ص: 177، 178.

[3] العربي التبسي: مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص:81.

تمثل استمراريتها على محور الزمن في صراع الإسلام مع الشرك و الانحـــراف الديني.

و حين نريد الوقوف على هذا الأسلوب (**السخرية**) في كتابـــات العربـــي التبسي، فإنه يمكن ملاحظة حتى في عناوين بعض النصوص التي تـــدخل فـــي زمرة هذا النوع من هذه الظاهرة الفنية من ذلك مثلا قوله: (**لقد سمعنا باطلك فأين حقك؟.**)،[1] وكذلك: (**إن كنت حاملا فلدي غلاما.**)،[2] وأيضا: (**قد ضل من كان مثل هـــذا يهديه.**)[3]

فكل هذه العناوين توحي بسخرية الشيخ العربي التبسي ممن يخاطبهم بهـــا، فقولهم باطل، و هدايتهم مضلة، و ادعاؤهم لا يساوي شيئا، وإن أردنا أن نجمـــل القول في هذه الظاهرة من الكتابة، فهي إضـــحاك للقـــارئ أو المســـتمع علـــى المقصود بالخطاب.

وفي سياق رسم الطرقيين وفق ما يضحك القارئ عليهم من خلال كشـــف منهجهم، يقول العربي التبسي: (**إن الأمر الذي نفخ الشيخ ابن عليوة في أتباعه، ومـــلأ صدورهم به، وكادوا يجنون به جنونا، ما تدعيه الدهماء من الخوارق التي تنزل علـــيهم فيمـــا نسميه بالخلوة، وما يرونه في كشف الحجب، واختراق الغيب، والتنقل في مدرج الفناء وغـــير ذلك من الألفاظ التي يعلم الشيخ ابن عليوة قبل سواه أنه لا يعرف لها مغزى، ولا يهتدي بهـــا إلى مفهوم تطمئن إليه نفسه ويسمح بها دين تظله العصمة...**)[4]

ففي هذا النص نجد أن العربي التبسي قد مد يد السخرية إلى أتبـــاع مـــن يريده بها، وهذا بأن جعلهم في شكل الحمقى الذين لا يعرفون لأنفســـهم طريقـــا،

---

[1] العربي التبسي: مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 81.

[2] المصدر نفسه، ص: 89.

[3] المصدر نفسه، ص: 105.

[4] العربي التبسي: (الخلوة العيوية هل هي من الإسلام؟)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 77.

ليصل بعد الفراغ من الحديث عن الأتباع إلى شيخ الطرفية نفسه؛ حين كشف عن جهله بماهية ما يقوم به ويدعو إليه.

ومن الصور التي نجد الكاتب يتهكم فيها بالطرقية،* هذا النص على شدة وقعه، نتيجة ما يتميز به من قدرة على صياغة التراكيب الساخرة لما فيها من حسن استثمار لدلالات الألفاظ فيما يخدم هذا المقصود، حيث يقول: (طلع **علينا كتاب "جريدة البلاغ" عدد44 يضرب أصدرية وينفخ مذروية ويقول: ها أنا فاعرفوني واستمعوا لما جئت به، فأصخنا نسمع له فإذا به محموم يهذي أو ممسوخ يتخبط.)**[1]

فكلمة (**طلع**) التي اختارها الشيخ بداية لنصه تجعل القارئ له يتأهب لمعرفة هذا الطالع، ويزيد من قوة هذا التأهب عند القارئ اصطدامه بالمثل الذي يضرب لمن يدعي دعوى كاذبة، وهو ما يجعله يتجه بتأهبه لتلقي خبرٍ منبع السخرية فيه هو كسر أفق التوقع، وتزداد حدة السخرية بما يأتي بعد هذا من إقرار العربي التبسي بإصاخته وهي ما تعني: الإنصات والاستماع في الوقت نفسه؛ أي أنه خلا فلم يشتغل بغيره، وسكت لكي يسمع. وهو ما يعكس قوة تركيزه على ما كان قد طلع به شيخ الطرقية. وإذا به محموم يهذي أو ممسوس يتخبط. وهو ما ينبئ عن سخافة تفكير الرجل التي لا تلائم قوة اندفاعه في دعواه

---

* و التهكم لون من السخرية، يراد به نسب عيب إلى شخص، أو تفخيم عيب في شخص، وسيلة إلى تهذيبه و إصلاحه، ليخاف ذلك العيب إن لم يكن فيه، و ليبرأ منه كله أو بعضه إن كان فيه، فهو إذن نوع من الزجر و الردع شبيه بالعقوبة، لكنه أخف منها وقعا.

و مبعث التهكم الرغبة في الإصلاح لذلك عده أناترل فرانس عديل الشفقةفي خدمة المجتمع و إصلاح شؤون الحياة و الناس، و ذهب إلى أن التهكم يحبب إلينا الحياة بابتسامته، كما أ ن الشفقة تقدر الحياة بدموعها.

و هو الوسيلة للسخرية من الحمقى و الأشرار و المعوجين، و هذه السخرية هي التي تحول بيننا و بين كراهيتهم، لأن ضحكاتنا منهم و سخريتنا بهم تخفف من غيضنا و غضبنا عليهم. أحمد محمد الحوفي: الفكاهة في الأدب، أصولها و أنواعها، مرجع سابق، ص: 177.

[1] العربي التبسي: (لقد سمعنا باطلك فأين حقك؟)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 81.

الكاذبة مثلما يقرها كاتبنا، وهذا ما يثير في نفس المتلقي الضحك على هذا الموقف المزيف الذي كان قد كلف نفسه التهيؤ إليه.

ويواصل الكاتب قوله في النص نفسه : (**ولقد كان في مستودع المعقول والمنقول أن لا نعبأ به، ولا نقيم له وزنا، لأنه أهون على الله وعلى عباده ما دام يهرف بما لا يعرف، ولكننا أصبحنا في زمان ينعق فيه الناعق بما شاء ويجد أنصارا ولا بد. و في قطر يعد كل لاعق فيه صاحب حكمة. تقرع له العصي، فوجب علي حفظا لعقول الجماهير من الترامي في متاهات الغلط أن أصدع إلى الرأي العام ــ وهو الرشيد في حكمه ــ بما يفهم حقيقة هذه المهزلة التي سودها يد العارف بالله ــ كما يسمون أنفسهم ــ قدور بن أحمد المجاجي ــ كفى الله الناس شره ــ الذي غلت مراجله، لأني كما يعلم القراء من أمد كتبت في مجلة الشهاب فاتحة مقالات ــ حالت دون نشرها ظروف ــ تحت عنوان الخلوة العليوية هل هي من الإسلام؟. وكنت أظن أن في الرهط العليوي بقية من حكمة، وفضلا من تدبير، فإذا رأوا في كلامي جورا عن الحق، أو اعوجاجا عن الهدي، قوموني بعلم وصدق وأدب، لان هذه السنة سنة من يرغب حقا في الصواب، وهذه الطريقة أدخل في باب النصيحة والوصول إلى المفاهمة. ولكن الله تعالى أبى أن تكون هذه الطائفة العليوية أهلا لمثل هذا، فلا عرفوا أقدارهم ولا تجاوزوا ما عرفوا به.**)[1]

وتعلو درجة السخرية مع هذا حتى تصل مداها نتيجة تطابقها والمفهوم الذي طرحه الرازي على حد ما تم عرضه. فالمجاجي ليس أهلا حتى كي ينظر إليه، وتزداد حدة السخرية أكثر حينما يستدرك الكلام السابق في تنبيهه إلى ما وصل إليه المجتمع في زمن كتابة هذه النصوص، أو ما أوصلته الطرقية و الاستعمار، حيث كل يجاوز القدر في ما لا يعرف، والأكثر من هذا أنه يجد في المجتمع من يتجاوب مع هذه التجاوزات، وهو ما يجعلنا نحس بأن الشيخ

[1] العربي التبسي: (لقد سمعنا باطلك فأين حقك؟)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص ص: 81، 82.

العربي التبسي تجاوز بسخريته المجاجي إلى المجتمع الذي يعيش فيه ولا يعرف الناس فيه ما يقدرون به بعضهم بعضا، إذ أن اللاغط فيهم حكيم.

و الشيخ العربي التبسي في أسلوبه الساخر كما نقف عليه في هذا الـــنص يلجـــأ أحيانا إلى استعمال الجمل الاعتراضية حتى يتيح لنفسه في النص فرصة التعليق بما يثير الضحك على من يسخر منهم وهذا كما في قوله:(كفى المؤمنين شره) والذي فيه الدعاء على الطرقية بما يعكس المثالب اللصيقة بهم وبوجودهم في المجتمع. ولعل ما يزيد هذا تأكيدا هو قوله في السياق ذاته: (**كنت أظن أن في الرهط العليوي بقية من حكمة، وفضلا من تدبير، لكن الله تعالى أبى أن تكون هذه الطائفة العليوية أهلا لمثـــل هذا، فما عدوا أقدرهم ولا تجاوزوا ما عرفوا به**)، إذ أن هذا الكـــلام يـــوحي بمنتهـــى سخافة القوم التي صارت لصيقة لا مرجع لهم عليها.

و يستمر الشيخ العربي التبسي في سخريته من الطرقيين على نحو يفصـــل فيه   ما كان يحيا عليه المجاجي من جهل وما كان يشغل باله من كـــذب علـــى الناس فيما تنشره جريدة البلاغ، يقول: (**... وكأن هذا المخلوق الشاذ (المجاجي) لم يـــر كلام الناس على اختلاف لغاتهم و نحلهم، وأن الكلام المقيد غير المطلق، وإن نفينـــا الخـــاص لا يلزم منه نفي المطلق لا لغة ولا عرفا.**

فإذا نفينا العقل والعلم عن المجاجي كما هو الواقع لا يلزم منه نفي العقل والعلم المطلقين و إلا لنبذت صحيفة البلاغ الجزائري عند العموم.

هذا ما يعرفه الأسود والأحمر قبل ظهور كتاب العليويين. فليصبر أهل العلم والعقل على أذى مثل هذا من الذين وضعت عقولهم معكوسة، لا ترى الشيء إلا في غير صورته. وقد أهدى إلينا هذا المخلوق مقالا في صحيفة البلاغ عنوانه(الخلوة في الإســـلام) ســـداه ولحمتـــه ثلاثـــة أكذوبات.)[1]

---

[1] العربي التبسي: (لقد سمعنا باطلك فأين حقك؟)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص ص: 82، 83.

وبعد أن يعرض لكذب هذا الطرقي بما يبين سفاهة عقله، و ضـــعفه أمـــام ما كان يرد به الشيخ العربي التبسي، ويؤكد وضع عقولهم المعكوســـة التـــي لا ترى الأشياء إلا في غير صورها. ينتقل في مرحلة لاحقة إلـــى جريـــدة الـــبلاغ نفسها حيث يسخر منها بسخريته من الكاتبين فيها، فهي تســـتمد ســـخافتها مـــن سخافة كتاباتهم على حد ما رأينا وفي هذا يقول: (**ومن يلقي له نظرة على هذه الحالة السيئة يفهم أننا في فاتحة نبرة يلوح شعاعها على جداول جريدة البلاغ وها أنا أقدم بين أيـــدي القراء الكرام ما لا يدع شكا لشاك، أن أمثال هذا المخلوق لا يعيشـــون ولا يتنفســـون إلا في أجواء الغش والتضليل.**)[1]

و إضافة إلى التقريرية النابعة من اعتماد السرد ــ على حـــد مـــا رأينـــاه في العنصر السابق من هذا الفصل ــ فإن الشيخ أحيانـــا يلجـــأ إلـــى الأســـاليب الإنشائية التي تخرج أغراضها للدلالة على التهكم، وهذا علـــى حـــد مـــا نجـــده في إحدى فقرات هذا المقال، وفيها يقول: (**يا حضرة العارف العليوي. إذا كنت كذوبا فكن ذكورا. أما دريت أن هذا البهت يفضحك؟ ! و يترع الثقة بك وبمن تدافع عنهم إن رضي منك هذا الدفاع عنهم وعلى ما نعيناه عليهم.**)[2]

فكل من النداء والاستفهام من الأساليب الإنشائية الطلبية، الغرض منها كما هو واضح في هذه الفقرة التهكم والسخرية، وهذا ما نفهمه من اســـتعمال الشـــيخ لكلمة حضرة في ما يتضاد مع دلالتها، إذ المفترض أن نخاطب بها عالما موقرا أو شخصا نكن له احتراما على العموم، إلا أن كاتبنا كان يقصد بها جاهلا طرقيا على حد ما أثبته الكلام السابق لهذا الاستعمال، و كذلك اللاحق له فـــي الـــنص، ولعل أحسن ما يُمَثَّلُ به مما يدل على هذا فيما جاء بعد هذا الأسلوب، قوله: (**أما أنك تدعي كل هذا، وتذهب إلى الباطل، والكذب، والسباب، وكذلك مما يجعل كـــل عاقـــل**

---

[1] المصدر نفسه، ص: 83.

[2] المصدر نفسه، ص: 84.

يسخر بكم. والذي أجزم به أن كل من قرأ صحيفة البلاغ العليوي يعلم أن تحت ضـــلوعكم داء دويا، وأنكم تكتبون ليقول الرعاع والغوغاء وإتباع كل ناعق الذين وضـــعهم الله تحـــت رعايتكم فغششتموهم و ما نصحتم لهم، و تحايلتم للعب بعقولهم...)[1]

و في النص نفسه نجد أن العربي التبسي لا يقتصر على السخرية من فكر الطرقيين، كما نتوقف عليه في كتاباتهم، إذ يتعداه إلى الضحك على أسلوبهم الذي يفتقد إلى المعرفة بقوانين اللغة العربية، وهو يختاره خاتمة لنصه وفيـــه يقـــول: **(ولا يفوتني أن أذكر إلى كتاب العليويين طالبا منهم أن يعرضوا كتاباتهم على علماء المعـــاجم اللغوية، والصناعة النحوية، فإنه أصاب اللغة العربية منهم، ما لـــو علمـــه ســـيبويه في قـــبره، والأصمعي في مضجعه لقاما من تحت التراب، ورفعا قضية في إحدى محاكم الجنايات على هؤلاء الكتاب الذين أفسدوا لغة العرب والإسلام.)**[2]

و إضافة إلى هذا النص الساخر بالطرقية وجريدة البلاغ الذي توجه فيـــه بالخطاب إلى المجاجي، يمكن أن نقف على نموذج آخر من مشايخ الطرقية فـــي صورته المضحكة كما يقدمها لناالعربي التبسي، فالناصر معروف مـــن الـــذين أكبرتهم جريدة البلاغ لما ينشره من مقالات مطولة، الفائدة منها لا تساوي جهـــد قراءتها يقول الشيخ: **(كتب الناصر معروف مقالات مطولة في جريدة الـــبلاغ، أكبرتهـــا جريدة البلاغ، وأعلنت عنها قبل إذاعتها تنويها بها، وأطرتها بعد نشرها. و أهل البصيرة العلمية إذا ترامت إليهم لا يجدون فيها من الفائدة ما لا يساوي سماعها.)**[3]

و إذا سلمنا بأن السخرية جلية في تقييم العربي التبسي لفائدة الكتابات على طولها، فإنه في الفقرة اللاحقة يرسم التناقض بين ما يحمله شيخ الطرقية، وقدرته

---

[1] العربي التبسي: (لقد سمعنا باطلك فأين حقك؟)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 85.

[2] المصدر نفسه، ص: 87.

[3] العربي التبسي: (إن كنت حاملا فلدي غلاما 1)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 89.

على الحمل. فهو الجاهل المدعي للعلم و المعرفة، والحكيم الذي لا يعرف إلا السباب أسلوبا. يقول: (**والمطلع على جريدة البلاغ يحكم أن الناصر معروف في عالم جريدة البلاغ أمثل كاتب رمت به رياح الأقدار إلى الكتابة في هذه الجريدة، وإن كان سامحه الله، لا يزال يحمل ما يثقل ظهره من أخلاق وعادات كتاب الجريدة الذين عرفناهم وعرفهم غيرنا بنا مذ كانوا وكنا.**)[1]

و أسلوب السخرية هنا تكمن قوته في الجمع بين نظرة جريدة البلاغ إلى الكاتب شيخ الطرقية في صورته المثالية، ونظرة العربي التبسي كما يراه؛ وهو معوج الظهر لا يستطيع حملا لما يسعى إلى إظهار حمله وتسعى إلى إظهاره جريدة البلاغ.

وفي هذا النص نجد الكاتب يشتد في سخريته فيجعل من البهتان هدية. وهو ما يعرفه قانون الجدل بينه وبين الناصر معروف. جَدَلٌ كان من المفروض أن لا يدخله الشيخ، لولا خوفه على العامة من بسطاء الناس وحرصه على إرشادهم. يقول العربي التبسي: (**تلك العادات التي زهدت أهل العلم في مناقشهم فيما يكتبون من المعتقدات والآراء... وصفتهم هذه صفة رواد الحاجات لا صفات أهل الديانات، وقد أهدى الناصر معروف كثيرا مما عنده من البهت ورماني بما زين له شيطانه من ضعف الدين والجهل بالضرورات، و قلة التتبث.**)[2]

و النص كما يُفْهَمُ منه يجعلنا نتخيل صورة الرجل على ما نجده في الرسومات (الكاريكاتورية)، في شكله الذي يوحي بتسرعه، فهو يضرب خبط عشواء دون أن يشد لوجهته مقصدا.

---

[1] المصدر نفسه، ص: 89.

[2] العربي التبسي: (إن كنت حاملا فلدي غلاما 1)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 90.

و جهالة أمثال الناصر معروف تكمن فيما يقدمونه مـــن معـــارف، وهـــم الجُهَّلُ حتى بمعرفة لغة أقوامهم، وفيما نبين به هذا، نورد قول الشـــيخ العربـــي: **(... و من قرأه (نص للناصر معروف، نشر بالبلاغ) ثم أطلع على ما كتب المقنع بقناع الناصر معروف لا بد أن يقول له: ما أجهلك بلغة قومك يا غلام! ولو أن الناصر معروف وضع عنـــه الهوى الذي حمله على هذا الفهم المعكوس، لعلم أن الإنكار الذي يصرح به كلامي إنمـــا هـــو موجه إلى رؤساء الطرائق الذين اخترعوا لنا طرائق تحديد الأذكار، احتراما لا عهد للإسلام بـــه في عهد التشريع...)**[1]

وإن كنا قد مثلنا ــ حتى الآن ــ لبعض نماذج الكتابة الساخرة عند الشيخ، فإنه بهذا نكون قد وضحنا أسلوب السخرية في كتابات العربي التبسي ومضارب توظيفه قصد إفحام الخصم و إظهاره في صورة الكاذب الذي لا يحســـن ســـوى الافتراء على الناس.

والحق أن العربي التبسي كما يتبدى لنا من خلال ما ســـبق يتـــدرج فـــي تصعيد هجائه حتى يصل به مصاف الهجاء دون اللجوء إلى السباب، حيث تكفيه في صناعته ورطات الطرقية فيما يحملونه من تناقض في طرائق تفكيرهم، وهو ما يجعلهم يتناقضون مع الطروحات العلمية التي يسعى كاتبنا إلى إثباتها بما يبين منهجهم ويصنف مكانتهم في المجتمع الذي جعلوا من أنفسهم أعيانا عليه.

ومن هذا النوع من الكتابات والذي لا يخرج عن دائرة ما مثلنا بـــه ســـلفا مقاله الذي ورد بعنوان(**قد ضل من كان مثل هذا يهديه**) وقد أشرنا في بداية العنصر إلى أنه تقزيم لفكر الطرقية وسذاجة طروحاتهم، وهذا من خـــلال الجمـــع بـــين الضلالة والهدى، ضلالة التابع المقترنة بفعل هداية المتبوع، مادام أن مثل هـــذا العنوان يوحي بأن فيه تشبيه لمشايخ الطرقية بالأئمة قادة المجتمـــع علـــى وجـــه

---

[1] المصدر نفسه، ص: 93.

المجاز، مما ينفي عليهم الإمامة الفعلية في ظل ضلالة المتبوع إن هو استمر في تبعيته. وهو ما شكل معنى السخرية التي تحول بها الشيخ على حد هذه القـــراءة في تركيبة العنوان إلى هجاء مقذع ينبئ عن تفاقم الخصومة واحتـــدام الصـــراع بين الطرقية ورجال الإصلاح من علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ولعل شدة الهجاء في أسلوب السخرية تبدوأكثر في انتقاد العربي التبســـي لمعارف الطرقيين، بدءا بما جعله مقدمة لهذا النص حيث يقـــول: (**كتـــب أحـــد الشغوفين بالكلام ما لا يدري مقالا رئيسيا ملفتا للأنظار في صحيفة البلاغ عـــدد: 71 لبيـــان سؤال سائل عن السلفية والسلفيين لم يبق من الخطأ في العلم والتحريف في المصطلحات الوضعية شيء لم يجمعه هذا المقال. و ما كتب الله لصاحبه أن يكون مصلحا، ولا عالما فيقـــود بنفســـه، ويدع التقليد المنهي عنه في شيء لا يخفى كما يدعي. وهو فيما تدل عليـــه ظـــواهر الحـــال ورسائل الاستثناء ممن يحشر نفسه تحت راية العلماء المفتين.**

وليت هذا المسيء إلى نفسه أمسك عما لا يعلم، وأقبل على شؤونه المجردة، فإن كـــان ولا بد ملقيا بنفسه في أحضان العلم. فقليل من علمه وليكتب إلى الناس برأيه، فإن أصـــاب لم يعدم حامدا، وإن أخطأ وجد من يعذره. أما أنه كمسلوب الاختيار لا يملك قليلا ولا كثيرا من الآراء العلمية ثم يقدم على نشر فتوى قنع منها بوضع اسمه، فأني أحمله على انه لم يرد وجـــه الله في عمله، وإنما هو أداة من الأدوات، لا عذر لمن اعتبر بفتواه.)[1]

ويبدو أن أسلوب هذا النص كما يفهم منه قد أدى مَفَادَهُ. نتيجة ما يتضـــمنه من السخرية التي تعكس بدورها تحدي كاتبنا لمشـــايخ الطـــرقيين، وتعجيـــزهم، وإبداء ضعفهم بتصغير شأنهم، و تبليذ أفكارهم...

و بعد هذه المقدمة التي صنف الشيخ العربي التبسي فيها ابن عليـــوة مـــن خلال فتواه في جريدة البلاغ، يبدأ في التعليق على ما ورد فيها من آراء زعمهـــا

---

[1] العربي التبسي: (لقد ضل من كان مثل هذا يهديه)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج1، مصدر سابق، ص: 105.

الشيخ ابن عليوة، ثم يقف على ما وقع فيه من تناقضات، يفضح عن طريقها تناقض مذهب العليويين والإسلام كله. و من هذا قوله: **(و متى كان من يذهب على السنة يحتاج إلى الفتاوى وهو الذي لقن أصحابه لفظ الله. ليرمزوا به إلى كل حادث به، وهو الذي زهد في الهداية المحمدية، فلم يعن بنشر السنة وأحكام الدين إلى من يطيف به من الغوغاء. بل أصل هدايته في عقولهم زهدا في أحكام الدين التي لم يستغن عنها السلف.)**[1]

فهؤلاء القوم لا يحسنون حتى الصلاة في شروطها، وهم لا يعرفون لأنفسهم طريقا يتبعوه، فإن اهتدى متبوعوهم اهتدوا، وإن ضلوا ضلوا.

وإن كنا نكتفي بهذه النماذج من أسلوب السخرية في كتابات الشيخ العربي التبسي، فإنه يمكن أن نصل في نهاية هذا العنصر إلى أن هذا الأسلوب هو من خصائص بنى النصوص التي يكتبها خصوصا إذا تعلق الأمر بمجابهة العدو الثاني لرجال الحركة الإصلاحية بعد الاحتلال، حيث يوظفه الشيخ العربي التبسي في تحليلاته العلمية التي تُشَرِّحُ خصومه من الطرقيين فيما لا يخلو من طرافة تُفْحِمُ الخصم بإعجازه، وتَكْسِبُ القارئ بإضحاكه وإفهامه حينما يحس مزالق الطرقيين، وتتضح في ذهنه مآخذهم.

---

[1] المصدر نفسه، ص: 114.

7- الصورة البلاغية:

إن حديثنا عن الصورة بهذا المفهوم المختلف عن ذلك الذي تمت معالجته في الفصل الثاني من هذا البحث، هو في الحقيقة حديث عن آليات البناء الفني في كتابات العربي التبسي، لكن من العجلة الحكم بأن هذا النوع من أدوات التعبير ظل يمثل الركيزة الفنية في أسلوب الكتابة النثرية عند العربي التبسي، خصوصا حين نكون قد أقررنا مع ما أثبتته الدراسة في العناصر السابقة بأن كتابات هذا الكاتب أكثر ما تتسم به هو: المباشرة، و التقرير، و الوضوح، و التحديد. مقتربة في أغلب حالاتها من طبيعة لغة النثر ذات التوجه الإصلاحي، ومن ثم الإبلاغي، الإفهامي، التفسيري، التحليلي...

غير أن هناك من المواقف ما جعل من ذات هذا الأديب الكاتبة أقرب إلى الشاعرية منها إلى الكتابة التقريرية في أساليب اللغة النثرية، وهو المجال الذي تجد فيه الصُورَةَ الفَنِيَةَ البلاغيةَ من أكثر آليات البناء الأسلوبي حضورا، على ما تقترن به من تصوير نتيجة ما تستحضره من مشاهد من الطبيعة أو من حقيقة الإنسان.

ومن ذلك، فإننا حين نريد الكلام عن الصورة الفنية البلاغية في نصوص العربي التبسي لا نريد إثبات شاعرية بالمعنى الإصطلاحي التقليدي لكلمة شاعرية، فقد يكون بعيدا جدا عن هذا المصطلح بهذا المفهوم، و لكن الذي نريد الوقوف عنده في كتاباته النثرية هذه هو حسن توظيفه للصورة الفنية ــ على الرغم من أن النقد يروج لها أكثر في إطار الصناعة الشعرية و ليس في الكتابة النثرية من هذا النوع الذي هو في الحقيقة يخدم الغرض من إنتاجاته النصية في ظل انتهاجه للتوجه الإصلاحي، و ارتباطه بتوجيه المجتمع و غرس الوعي بين أفراده، حسبما يتطلبه تصور هذا الكاتب لما يجب أن يكون عليه هذا المجتمع.

فمن كتاباته التي تتسم بالتصوير قوله في مقال نشر بالشهاب عنوانه:(**كلمة دينية إلى ذوي الأحلام والنهى)**، يقول:

(إن الروابط و الأمشاج التي تربط الأمم بعضها ببعض، وتكون من الأمة جماعة تحس بحس مشترك كثيرة متباينة، منها الروابط المادية ومنها الجماعات الأدبية، الضاربة بعروقها في تخوم ماضي الأمة وحدود مستقبلها، وإن أسعد الأمم حدا وأقواها مغالبة بحوادث الدهر لهي الأمة التي تكون أمة تاريخية تستحق أن تحشر نفسها في الأمم التاريخية، وتعد نفسها في الأسر الإنسانية التي تعتز بها البشرية المهذبة...

إن الأمم و على رأسها عقلاؤها لترى أعز الناس عندها أكرمهم عليها هو الفرد أو الجماعة التي تخدم هذه الروابط في داخل الوطن وخارجه، كما ترى أيضا أن أشد الناس لها عداوة هو الفرد أو الجماعة التي تعمل لفساد هذه الروابط و إبطالها ونكث حبالها الرابطة بين أفرادها...

وإذا أراد الله بأمة سوءا أصابها بداء الاستخفاف بروابطها والزهد في مقوماتها ويومئذ يسرع إليها المسخ ويصيبها الفناء ويسلط الله عليها من الأمم المجاورة وغير المجاورة من يبتلعها ابتلاعا يزول معه وجودها المادي والمعنوي، وهذه الدنيا التي نعيش فيها لا بد للأمة فيها إذا أحبت المحافظة على حاضرها و الاستعداد لمستقبلها، من مسايرة الشعوب التي تعيش في عصرها والسير بسيرها ومشاركتها في كل ماجد من وسائل العز ودعائم الحياة، مع المحافظة على مقوماتها التي تبقى معها أمة، لها شخصيتها ومقوماتها التي بها يتم وجود الأمة حسيا ومعنويا. في سبيل تقوية هذه الروابط وتنميتها والمحافظة عليها ابتكرت الأمم في الشرق والغرب أنواعا من الابتكارات، وحددت فنونا من النظم أقامت عليها صرح حياتها ووطدت بها أقدام ميراثها القديم المقدس...

و صار الناس يعتقدون بحق أن الأمة لا تبتكر لحياتها و لا تستعير من غيرها ما ابتكره ولا تتأس به فيما اخترعه من خير للإنسانية وراحة البشرية لهي أمة تقود نفسها إلى الفناء وتضع وجودها على شفة قبرها وتقف بنفسها على أبواب الاضمحلال...

فإذا جئنا إلى رؤسائنا الروحيين الذين تغضبهم كلمة الحق، وتجعلهم أعداء ألداء لقائلها وترضيهم كلمات الباطل وتجعلهم أولياء أوفياء خلصا لقائلها ودللناهم على تقصيرهم في حق الإسلام، وانقلاب رآستهم إلى أداة هدم ومعول تخريب ــ إلا البعض ــ ثارت ثائرتهم و ملؤا الجو صراخا على الناصحين، واستحلوا منهم كل محرم ورموهم بكل شنيعة وحملوا من في قلبه حب لحياة الإسلام الذي من مبادئه: الدين النصيحة كرها على مواقفهم على أعمالهم وتصرفاتهم وتفريطهم في خدمة الإسلام...

هذه نتفة أثبتناها في هذا العدد موجزة تصح أن تجعل ككوة ينظر منها للحياة ومرافقها... وإلى حالتنا الراكدة المزمنة التي لا تتحرك وإن دهمها سيل الأمم ليجرفها... ورضينا أن نعيش في هذا العصر الذي قويت فيه العلائق بين الأمم وكثر احتكاكها هذه بتلك رضينا أن نعيش كمية مهملة مفرقة يجمعها سطح الأرض وسقف السماء وحرارة الشمس ونور القمر.)[1]

فإذا أردنا محاولة الوقوف على التصوير الفني البلاغي في هذا النص، فإن العنوان أول ما يطلعنا بصورة استعارية، حيث يجعل من الكلمة الدينية وهي

[1] العربي التبسي: (كلمة إلى دوي الأحلام و النهي)، مجلة الشهاب،م8، ع9، ط1، بيروت، لبنان، 2001م، ص: 475.

شيء معنوي محسوس، شيئا ملموسا يعطيه إلى الصفوة من الناس، الذين سماهم بـــ(ذوي الأحلام والنهي)، والجمع بين الصورتين في هذا السياق المبتدل يدل على حرص الكاتب في تصويره على المباشرة من خلال انزياحه بما هو متداول، فنحن نقول أصحاب العقول كناية عن رجاحة العقل، كما نقول كذلك كتب كلمة ونريد نصا وهكذا.

إضافة إلى تكثيف معنى خطابه في توظيفه للصورة الاستعمارية ذات علاقة المشابهة، والصورة الكنائية التي تقوم على المجاورة، أي أنه خطاب العاطفة والعقل دفعة واحدة، وهو ما ينبئ عن قدرة الكاتب التعبيرية، مثلما تتجلى في عفوية التعبير وحسن صنع الدلالة حين الجمع بين العقل والخيال.

ويزداد التصوير جلاء حين ننتقل إلى النص، لما يحتويه من مظاهر المجاز التي تجذبنا إليها في شكلها الاستعاري، والاستعارة كما يعرفها شيخ البلاغة عبد القاهر الجرحاني هي: أن يكون للفظ أصل ويستعمل في غيره، وهو ما يضفي طابع الجدة والفخامة على المعاني، أو يقدم كثير المعنى بقليل اللفظ، كما قد يضفي عنصر الحياة على الأشياء، أو يجسم اللطيف من المعاني و يلطف الجسماني من الأوصاف.[1]

وقبل أن نختار بعض الأمثلة من الاستعارات الواردة في نص العربي التبسي، ونبين الغاية من توظيفها في سياقاتها المختلفة، نُحِبُ أن نشير إلى قيمة الاستعارة البلاغية، لكونها النموذج التصويري الأكثر شيوعا في نصوصهذا الكاتب ومنها هذا النص، ولأنها أكثر الصور أهمية مثلما نفهمه حين نطرق هذا الباب من الدراسات المتخصصة؛ كلاسيكية كانت أم حديثة، لما لها من قدرة على شحن العاطفة، وتوضيح المعنى. و لعل هذا ما تولد عن المكانة التي تمتلكها

---

[1] ينظر، عبد القادر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ص ص: 31-40.

الاستعارة، خصوصا إذا تعلق الأمر بنوعها الأكثر شيوعا في لغتنا العربية، و الذي يتمثل في الاستعمارية المكنية. فهي تشبيه حذف أحد طرفيه، ويشترط في التشبيه أن يكون مكتمل الطرفين وبذلك فقد ارتقت جماليتها إلى ما فوق جمالية التشبيه نفسه، ويشترط فيها القرينة اللفظية أو العقلية كناية على المشبه به حين يحذف ولا يصرح به، وهو ما يكسبها لمسة الكناية العقلية إضافة إلى جماليتها التي فاقت القدرة التصويرية في التشبيه.

و حينما يريد كاتبنا سحر قلب المتلقي و أسر عقله، نجده يلجأ إلى هذا النوع من التصوير دون أن يجهد نفسه بما يفسد أسلوبه، وإن تحاشينا التعليق على المبتذل من هذه الصور، لكونه مألوفا لم يعد يرقى إلى جمالية أسلوب الاستعارة على حد ما شرحنا سلفا، فإننا سنقف عند بعض الأمثلة التي هي من جمالية أسلوب هذا النص، ومما يميز الذات الكاتبة، ونبدأ بأولها طلوعا في النص وهي قوله: (**... ومنها الجامعات الأدبية الضاربة بعروقها في تخوم ماضي الأمة وحدود مستقبلها.**) ولعل البلاغة في هذا التعبير تكمن في بساطته لبعده عن الغموض وهو ما يتناسب وأسلوب النثر، إضافة إلى كثافة معناه الناجمة عن الازدواجية في هذه الاستعارة، فالجامعات الأدبية مثل الشجرة الثابتة الأصل، وأكثر ما يزيد من بلاغة هذا التصوير هو القرينة وهي كلمة (**الضاربة**)، نتيجة دلالتها المستوحاة من صياغتها الاشتقاقية (**اسم فاعل**) الدال على حدث اتصفت به ذات على وجه الحدوث، أما الشق الثاني من الصورة فهي لا تكتمل إلا به، إضافة إلى أنه يشكل صورة استعارية أخرى في ذاته، حيث جعل فيها الماضي والمستقبل قطعة أرضية ذات حدود، وزاد الصورة بلاغة التوكيد اللفظي الناتج عن إعادة كلمة تخوم بما يحمل معناه (**حدود**)، إذ كان بوسعه أن يقول: (الضاربة بعروقها في تخوم ماضي الأمة وحاضرها) و يستوفي المعنى.

و مجمل القول فيما تركته هذه الصورة من انطباع هو: حرص الكاتب على تأدية هذا المعنى، الذي يبدو شديد الإيمان به وفق ما هو بسيط*واضح ومؤثر.

وعلى منوال هذه الصور نجد كذلك ما جاء في قوله: (**وإذا أراد الله بأمة سوءا أصابها بداء الاستخفاف بروابطها و الزهد في مقوماتها، و يومئذ يسرع إليها المسخ ويصيبها الفناء، و يسلط الله عليها من الأمم المجاورة لها وغير المجاورة من يبتلعها ابتلاعا يزول معه وجودها الحسي و المعنوي.**) و يبدو أن هذه الصور شديدة التأثير لما تثيره في المتلقي من عواطف مخيفة، إذا تحقق الشرط الذي تفيده الجملة الفعلية بعد "إذا" الشرطية، فالاستخفاف في صورة الداء، و الداء في صورة قديفة الصيد تصيب الفريسة التي هي الأمة، و روحها هي روابطها و مقوماتها، و المسخ شبح، والفناء طوفان، وهكذا تتلاحق الصور الجزئية لتنسجم و تتآلف فيما بينها مشكلة صورة كلية، الغاية منها قرع ناقوس الخطر على القارئ الذي هو جزء من هذه الأمة، وأحد أساسيات لحمتها.

وإذا كان العربي التبسي كثيرا ما يركز في تصويره على الاستعارة، فإن هذا لا يعني أنه يلغي باقي الصور البلاغية على اختلاف قيمها في تأدية المعاني.

و من الصور التي نمثل بها في ظل هذا التنوع: الكناية في قوله وهو يحدثنا عن رؤساء الجزائر الروحيين، الذين باتوا أذنابا للاستعمار لا يعرفون من الحياة إلا ما يشبع نزواتهم يقول: (**... ودللناهم على تقصيرهم في حق الإسلام وانقلاب رءاستهم إلى أداة هدم ومعول تخريب ــ إلا البعض ــ ثارت ثائرتهم و ملؤوا الجو صراخا على الناصحين، واستحلوا منهم كل محرم ورموهم بكل شنيعة..**)، ففي ثارت ثائرتهم كناية، و ملؤوا الجو صراخا كناية عن صفة الغضب وشدة الانفعال لما

* و البسيط هنا لا يناقض المكثف، في رسم الصورة الاستعارية.

يصيبهم من أذى حين النصيحة، أما استحلوا منهم كل محرم ورموهم بكل شنيعة فهي كناية عن صفة الزيغ و الضلالة الذي هو من سخطهم في غير سبيل الله، بينما الغاية من مثل هذا البناء الأسلوبي الذي لجأ فيه الشيخ العربي إلى الكناية، فهو الدعوة إلى إعمال العقل و تحكيمه في مثل هؤلاء السفهاء، ثم اتخاذ موقف إزاءهم.

و إضافة إلى الكناية نورد مثالا عن التشبيه وهو ما نقف عليه في قوله: **(ورضينا أن نعيش في هذا العصر الذي قويت فيه العلاقات بين الأمم وكثر احتكاك هذه بتلك، رضينا أن نعيش كمية مهملة مفرقة يجمعها سطح الأرض وسقف السماء، وحرارة الشمس ونور القمر)**، حيث شبه مجتمعه بالكمية المهملة، مع حذف الأداة ووجه الشبه للمبالغة في التشبيه، وهو ما يقصد من ورائه إلى الكشف للقارئ ــ دائما ــ عن حال المجتمع وكيف صار عيشه، في نبرة حزينة تصنعها الغيرة على هذا المجتمع و التأسي لحاله، ويكشف لنا عنها لجوؤه إلى الطبيعة وتوظيف عناصرها.

وخلاصة هذا العنصر هي: أن الصورة البلاغية كواحدة من آليات صنع الخطاب تبقى عند العربي التبسي في مثل حكم الأسلوب، حيث إنها وسيلة إلى غاية هي: التوضيح للملتقى، وإفهامه، والتأثيرعليه، بما يضمن نجاح الممارسة الإصلاحية التي هي الغاية من هذه الكتابات.

خاتمة:

في ختام هذا البحث يمكن القول إن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث تتلخص في:

- Ø إن كتابات الشيخ العربي التبسي على اختلاف أشكالها وتنوع الصحف التي نشرت فيها، قيمتها تكمن في أن منطلقها الجوهري هو مجابهة السياسات الاستعمارية في ظل الصراع الحضاري، و الذي عمل الاستعمارمن خلاله على سلب أصالة الجزائريين، ومسخ مقومات شخصيتهم الثقافية.
- Ø إن الشيخ العربي التبسي، و على الرغم من مميزاته الشخصية التي تحدثنا عنها في مطلع هذا البحث و التي تجعله متفردا و متميزا، يبقى ابن بيئته على حد تعبير علماء الاجتماع. فقد عاش أوضاع مجتمعه، و استوعبها، و تأثر بها، فكانت رافدا قويا و موجها لطبيعة كتاباته الإصلاحية على اختلاف موضوعاتها، التي لا تخرج عن دائرة توجه النخبة الإصلاحية ـــ من العلماء في الجزائر ـــ و على توجه النخبة الواعية في الحركة الوطنية الجزائرية بشكل عام، فلقد كانت تسعى ـــ كل بسلاحه ـــ إلى تحرير الوطن من ظلم الإستعمار.
- Øو إن كتابات الشيخ العربي التبسي هي في الغالب من فني المقالة و الخطابة، وهما يلتقيان من حيث الخصائص الفنية و الفكرية في التعبير عن هموم الجزائريين في عصر العربي التبسي؛ غير أن الأول يمثل المكتوب و يمثل الثاني المشافهة، أو هكذا يفترض، ولذلك لم تجد الدراسة حرجا في الجمع بينهما ثم دراستهما على حد سواء.
- Øو من ناحية أخرى فإن الدارس لهذه النصوص قد لا يهتم كثيرا لهذه الأجناس الأدبية من حيث خصائصها الفنية في ذاتها، فإنها في الغالب لم

تخرج ــ حين وضع هذه النصوص في سياقها التاريخي و الأدبي ــ عن شروط الكتابة الفنية في هذه الأجناس، أي أن تميز هذه النصوص الكتابية خطابية كانت أم مقالية، بطابع صياغي مرن، يرفض القوالب المسبقة حتى و إن كانت حقيقة واقعة في تراث الكتابة الأدبية العربية.

- لقد اهتم العربي التبسي بالسلاسل الكتابية أو المجموعات، التي تختص بمعالجة موضوع واحد في شكل بحوث مطولة، غير أن هذه المجموعات كثيرا ما تتقاطع في موضوعاتها، نتيجة أنها تصب جميعا في خانة الإصلاح الاجتماعي في أوسع معانيه.
- و لما كانت هذه الكتابات هي من فن التأثير و الإقناع أساسا، فإنها وفرت للشيخ آلية التزامه بقضايا الجزائريين، وهذا في إطار الصراع الحضاري الفرنسي الغربي من جهة، و الجزائري العربي الإسلامي من جهة تانية.
- لقد التزم الشيخ العربي التبسي ــ حسب ما نفهم من كتاباته ــ بتجاوز الدعوة المجردة إلى الممارسة، وهذا تجلى من الجمع بين سيرته الذاتية، و طبيعة أفكاره التي كان يدعو إليها.
- و في إطار التزام الشيخ العربي بقضيته الوطنية نجد أنه كان يجنح إلى مواجهة الاستعمار في آثاره الكتابية، و مجابهته الصريحة في الكثير من المواقف ــ حقا إنه كان يتجنب هذه المواجهة أحيانا ــ وهذا بالعمل من خلال منهجية التصوير حفاظا على المصلحة العامة للحركة الإصلاحية، و نظرا لطبيعة البطش الاستعماري.
- و مثلما حارب العربي التبسي السلوك الاستعماري حارب أيضا سلوك الطرقيين الجزائريين الذين هم صورة أخرى للاستعمار من حيث أنهم أداة

للجهل و الاستغلال، مثلما أن الاستعمار أداة للظلم و السيطرة على الشعب الجزائري

- ومثل هذه المواضيع التي صيغت في مثل هذه القوالب قد اتسمت بمميزات أسلوبية هي من صميم طبيعة المقاومة باللغة من حيث أنها أداة تعبيرية فنية، و لقد حاولنا مناقشة أهمها وهي:
- أن الأسلوب في هذه الموضوعات وسيلة إلى غاية، ولذلك فقد تميز ببساطة التعبير الناتجة عن بساطة اللغة و مباشرتها على مستوى اللفظة و الجملة، و بساطة اللفظة و الجملة لم يمنعاه من تكثيف المعنى الذي يتحقق على مستوى الجمل المركبة حيث نجدها تميل إلى الطول، أو التوسط بين الطول و القصر.
- و من دراسة اللغة دائما، تبين أن الفكر هو الطابع العام لجميع كتابات الشيخ، فالمادة التي عولجت في نصوص العربي التبسي لم تكتب على أنها أدب في ذاته، أو من الأدب نفسه، غير أن هذه الكتابات لم تلبث أن حملت ما جعلها من دائرة الأدب.
- و من ملامح أدبية هذه النصوص أيضا أن أفكارها أو محتوياتها لم تحل دون تميزها باللليونة التي كثيرا ما تنبئ عن قوة العاطفة لدى كاتبها.
- و من ناحية أخرى، فإن انفتاح هذه الكتابات على المأثور من التراث (القرآن ــ الحديث النبوي ــ الأشعار ــ الأمثال) يعد انفتاحا على الأدوات الأدبية، بل إن الكاتب يتجاوز أحيانا هذا الموروث إلى الذاكرة الشعبية و الأدب المعاصر، و هو ما ينبئ عن توجهه و يعكس قوة ثقافته المبنية على أصول الحضارة العربية الإسلامية العريقة و ثقافة العصر الحاضر.

- كما أن الشيخ في أسلوبه يميل إلى السرد، الذي وظفه لصالح نصوصه الحجاجية و التفسيرية، حيث اعتمده في منهجه التبليغي قصد ضمان حسن التواصل مع من كان يقصدهم بخطابه، و هذا بعد التسليم بأن السرد في كتاباته قد اتخذ صيغة الأخبار لغلبة طابع الموضوعية على كلامه.
- إضافة إلى أن دراسة السرد في كتابات الشيخ قد كشفت عن ارتكازه على الصورة السردية التي مزج فيها بين الوصف و السرد، وهو ما جعل هذا الأسلوب الذي صار يحكم نسيج هذه الكتابات يتخذ أبعادا تحليلية ووجدانية و أسلوبية.
- و من مميزات الأسلوب في كتابات الشيخ كذلك، لجوؤه إلى السخرية، وهذا حين مجابهته للطرقيين و التي نجدها مستويات، تتدرج حتى تصل مصاف الهجاء المدقع الذي يحاول من خلاله أن يفحم خصومه ويبين قيمة دعوته و يكسب قارئه.
- و أخيرا فإن الخيال أو التصوير البلاغي يبقى عند الشيخ من آليات صنع الخطاب و الوسيلة إلى إفهام القارئ أو السامع الرسالة المقصودة مع التأثير عليه في محاولة تقبلها.

و بعد هذه الحوصلة المبسطة لكل ما وصلنا إليه من دراستنا لهذا الموضوع، يبقى أن نقول بأننا لا نزعم في هذه الدراسة المتواضعة الإحاطة الكاملة بفنيات الخطاب في آثار الشيخ العربي التبسي، ولا الإلمام الشامل بجملة خصائصه الفنية، لأنه لا يمكن أن نملك الحقيقة التي تمثل القول الفصل في تحديد مقاصد خطاباته، التي لا تزال بحاجة إلى وقفات دراسية جادة في جوانبها المختلفة، و مقارنتها بنتاج رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من مثل محمد البشير

الإبراهيمي، و عبد الحميد بن باديس، و مبارك الميلي، و الطيب العقبي... و غيرهم.

و أملنا أن يكون هذا البحث قد قدم ما بواسطته تم الالتفاف إلى أدبيات الشيخ العربي التبسي، وإلى جهوده الإصلاحية الرائدة من أجل تشييد جزائر حرة في ظل العروبة و الإسلام و التي ظلت قبل اليوم ــ على ما نعلم ــ كتابات بلا دراسات و بالله التوفيق.

الملاحق و الفهارس

أولا : الملاحق:

أ - تمهيد: تمثل الملاحق في نهاية هذه الدراسة تلك النصوص من تراث العربي التبسي التي لم نعثر عليها في الجهد الذي قام به الدكتور شرفي أحمد الرفاعي، و هو ما نعده جانبا مهما في الحفاظ على تراث الفكر الجزائري عامة، و تراث العربي التبسي على وجه الخصوص.

ب - الملحق رقم:(1)

نداء إلى رجال الدين بالجزائر

قامت قيامة الناس في هذه الأيام حول موضوع هام هو في العناية بالمحل الأوكد عند جميع المسلمين لما له من الخطورة على الدين الإسلامي ولما فيه من الزراية بعقائد معتنقيه وحق عليهم أن تثور ثائرتهم. ذلك أن شركة في فرنسا عزمت على إخراج شريط من شرائط مسارح التمثيل الفوتوغرافية تمثّل فيه سيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم وأهم الحوادث التي وقعت في أيامه الزاهرة وعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ولما قضت أمرها في بلادها على ما يظهر أوفدت عضوا من أعضائها إلى مصر لعرض مشروعها على رئيس مسرح رمسيس وهو أكبر مسرح بمصر عساه أن يشترك معها ولما رأى رئيس المسرح أن وراء الأكمة ما وراءها رجا من الموفد أن يرجيه زمنا يتدبر فيه

الأمر ولم يمر يوم أو يومان حتى نمي الخبر إلى باقعة من علماء الأزهر فحمل حملة شعواء في إحدى الصحف الكبرى اليومية على رئيس المسرح وإذا ذاك انتشر الخبر بأسرع ما يكون فأرسلت مشيخة الأزهر أحد علمائها إلى الحكومة ليبلغ عنها حملته إياه وكان من أن المشيخة تطلب من الحكومة طلبا أكيدا منع الممثل من إستراد هذه الأسطورة التي ستكون حالقة الدين فإن لم يكن إلا بمنعه من السفر إلى فرنسا فليمنع. وعقبت هذا بإخراج بيان للناس نشرته الصحف في حينه ذكرت فيه الحكم الشرعي وكنا نحسب أن هذه المأساة توارت عن الأنظار فإذا بأهرام يوم الأحد 30 يونيو سنة 1926م طلع علينا وفيه مقال ليوسف بك وهبه رئيس المسرح يقول فيه: إنني مسلم قبل كل شيء وغيرتي على ديني تمنعني من أن أمثل رسول الله صلى الله عليه وسلم وإني أرفض هذا الطلب المقدم إلي ولو كان لي منه الأموال الواسعة ونشكره على هذه الغيرة المباركة إلى أن قال ولكني أخشى أو أكاد أعتقد (كذا) أنه أي الشريط ربما أخرجته شركة أجنبية في القريب (كذا) في تونس أو الجزائر (كذا) ومضى في نحو من هذا الكلام إلى أن قال: فإذا أرادت المشيخة منع هذا الأمر فلتخاطب الحكومة المصرية الحكومات الأجنبية إلى آخر ما اقترح. ولقد قضينا العجب من هذا النبأ الذي إن صح ونرجوا ألا يصح كان بمثابة زلزال في هد عقائد النشء وعاصفة هوجاء تذر وما بقى من فضل الإيمان وبقية الدين على المدنية الزائفة التي لم تبق سهما في كنانتها إلا سددته إلى قلب الإسلام من جهة وبمثابة تآمر على الرسول الأعظم إذ تصويره بصورة تظهر بمظهر بعيد عن المعجزات والخوارق لاستحالة رسم المعجزات والخوارق علاوة على ما ميزه الله به عن خلقه يطلق فيه صلى الله عليه وسلم ألسنة المدينة المقنعة المبهرجة من جهة ثانية(والله يعصمك من الناس)[1] فالأمة الجزائرية التي لا تنطق بغير الجد في هذا

---

[1] حدثنا عَبْدُ بنُ حُمَيْدٍ ، أخبرنا مُسْلِمُ بنُ إِبْرَاهِيمَ ، أخبرنا الْحَارِثُ بنُ عُبَيْدٍ عن سَعِيدٍ الْجُرَيْرِيِّ عن عَبْدِ الله بنِ شَقِيقٍ ، عن عَائِشَةَ ، قَالَتْ: «كَانَ النَّبيُّ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: {والله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} فَأَخْرَجَ رَسولُ الله رَأْسَهُ مِنَ

الموضوع تطلب بعزمة من أولى الأمر عموما والمفتين خصوصا أن يرفعوا طلبا إلى جناب والي الجزائر إن صح ما كتبه الأهرام يلحون عليه أن يمنع هذه الشركة من إتيان هذا الأمر الفظيع في الجزائر الأمر الذي يغضب المسلمين ويثير حفائظهم ويؤديهم أبلغ إذاية في أعز عزيز لديهم وطالما سمعنا سواس فرنسا يرفعون عقيرتهم بأن فرنسا تجل الدين الإسلامي وتحترمه فليكونوا عند قولهم أما مشيخة جامع الزيتونة فظني بها أن لا تكون أقل غيرة على إمام المرسلين صلى الله عليه وسلم من مشيخة الأزهر (لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما).[1]*

القُبَّةِ، فَقَالَ لَهُمْ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا، فَقَدْ عَصَمَنِي اللهُ». حدثنا نصر بن علي حدثنا مسلم بن إبراهيم بهذا الإسناد نحوه .

قال أبو عيسَى: هذا حديثٌ غريبٌ.

[1] حدّثنا آدمُ حدَّثَنا شُعبة عن قَتادةَ عن أنس بن مالك رضيَ اللّه عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يجدُ أحدٌ حَلاوةَ الإيمانِ حتى يُحبَّ المرءَ لا يُحبُّه إلا للّه، وحتى أن يُقذَفَ في النار أحبُّ إليه من أن يَرجِعَ إلى الكفرِ بعدَ إذ أنقذَهُ اللّه، وحتى يكونَ اللّهُ ورسولهُ أحبَّ إليه مما سِواهما».

* العربي التبسي: الشهاب: م2، ع32، ص:8.

ج - الملحق رقم:(2)

صدى الاعتداء
على الأستاذ في الأزهر الشريف

ننشر مع الشكر الجزيل هذا الكتاب الشريف من إخواننا الأزهريين الدال على غيرتهم على دينهم وتعلقهم بوطنهم حامدين الله تعالى على ما نتحققه من خير لمستقبل الجزائر على يد هؤلاء الأبطال المجاهدين في سبيل العلم والدين:

بسم الله الرحمن الرحيم

وإذا العناية لاحظتك عيونها   نم فالمخاوف كلهن أمان

إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد بن باديس أطال الله بقاءه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد فنهني أنفسنا ونهني العلم وآمال الأمة ونهنيك بالنجاة من كيد من ابتلى الله به الدين والأمة والعلم والقومية وإننا لما أصابك لفي غم يونس وحزن يعقوب، ونشكو إلى الله التقصير. ولئن أوسد بك هذا الكلب فلك بابن أبي طالب ــ جعل الله أجلك أفسح من أجله وقارب بينك وبينه في عظيم الأجر ــ ما يملأ النفس عزاء والقلب رضى، وإن جل الخطب وعظم المصاب. وإن نزل بك من القضاء الذي لا محيص عنه قد كان علينا ــ جيرة الأزهر الجزائريين ــ أوجع نبأ ولئن كانت فئة العليويين المارقين ومن سيحشر معهم قصدوا من عدوانهم على الأمة في شخصك أن يسكتوا داعي الله ــ فكأني بك وأنت الأسد الهصور مسمعهم كلمة من أنت أعلق منه بالمعالي يوم أن سامه بعض بني قومه مثل ما سامك من هو معدود منا مساكنة: (أيها السادة إذا تقدمت فاتبعوني وإذا تأخرت (وحاشاك) فاقتلوني وإذا قتلت (لا قدر الله) فخذوا بثأري) فستجد أصحابك ليس أقل غيرة عليك من أصحابه وإن اختلف ظرف المكان.

القاهرة :12-7-1340ه

16-1-1927م عن جيزة الأزهر الجزائريين العربي بن بلقاسم التبسي.*

د - الملحق رقم:(3)

بدعة الطرائق في الإسلام ــ 1 ــ

*العربي التبسي: لشهاب: م2، ع82، ص: 793.

شاء الله أن أهبط بلدة خنشلة في صيف هذا العام وشاء أن أتخذها محل إقامة خمسا و عشرين ليلة وقدر لي أن اجتمعت أثناء هذه الليالي بأقوام يمثلون أغلب طبقاتها و استطلعت آراء عقلائها و مفكريها في حالتنا الدينية وما أصابها من تدهور وكانت نتيجة البحث مع العقلاء الذين حفظهم الله من بدعة الطرقيين استحسان الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه سلف الأمة وإلى ترك ما أحدثه المحدثون. وهذه الظاهرة الدينية من أفهم الأدلة على أن أمتنا سدد الله خطى علمائها و العاملين لخير ملتها من الأمم التي أشربت حب دينها المحفوظ.

و كنت أفضي إلى من أجتمع به بما يتطلبه منا دين لا ببوية ولا قساوسة ولا رهبان ولا كهنوتية فيه. وأجد من فضلائها و أهل الروية و الثقافة العلمية بتلك البلدة الإسلامية رجالا يقدرون الدين حق قدره و يعلمون أنه دين رب العالمين لا صنع رجال يصرفونه كيف شاؤوا و شاءت مآربهم وقد منيت دعوة رجال الإصلاح الديني كما مني كل مبدأ صحيح قبلها بأقوام يناهضون الحق بسلاح الأوهام و يعادون أهله لا لأنهم شاقوا معصوما أو حاربوا صحيحا بل لأنهم سفهوا عوائد و طرحوا مألوفا تبين أنه لم يأت من طريق التوفيق – وفي بلدة خنشلة لسانان من السنة فلول الطرائق و خزائن الأخبار المحرفة و الأقاويل المضطربة – وقد حدثت عن هذين الأخوين في النسب و الجهل بما يأتيان به من تنفير الناس من دعوة المصلحين و التقول عليهم بما يذكر بالقصص الإسرائيلي، فحاولت أن أجمتع بهما اجتماعا يمكنني من مفاوضتهما – فجمع الله بيننا أمام قهوة عربية فجاذبتهما الحديث في شؤون منها إعطاء العهود الموجودة بيننا من رؤساء الطرائق و تحديد الأذكار للأمة على هذا الوجه بدعة لا يعرفها السلف ولا يقبلها الشرع – فزعما أن هذه العهود وما لف لفها قد نقلت عن الحسن البصري، فأجبتهما بأن من نقل هذا عنه أراه قد كذب عليه.

و مسألة كمسألة العهود و تحديد الأذكار ووضع الطرائق للأمم بسر من الأسرار حتى يمتاز بها الحسن، و محال أن يفعل شيئا لم يتلقه عمن قبله ولو فعله من قبله و المسألة لها خطرها لنقلت شائعة ذائعة كما هي الآن ـــ و هذه الكتب الصحاح التي عرف رجالها ومحصت أخبارها لا يوجد فيها ما يصلح أن يكون دليلا أو شبه دليل – فلما سدت في وجوههما مناهج التضليل انقلبا إلى السباب و الفضاضة و الفحش و الإذاية – فأعرضت عنهما ومررت بكلامهما مر الكرام. ووعدت الحاضرين بالكتابة في بدعة الطرائق في الإسلام وها أنا موف بوعدي مقدم لأمتي ما أراه مناسبا للإذاعة في مجلة دينية ضيقة لها من الأعمال ما لو أصبحت يومية ما وسعتها – و أنا أعلم أن فريقا آخر من دخلاء العلم سيلقون كلامي هذا ساخطين عليه مزورين عنه. و أن فريقا آخر من حملة الهداية الصحيحة سيلقونه راضين عنه و أنا على غضب أولئك وبرد هؤلاء سوف أذيع ما أراه حقا لا إجابة لهوى كمين في النفس ولا قضاء لشهوة من الشهوات ولا رغبة في الانتقام من فريق ولا حبا في تخطئة أناس أمر الله أن نقول في حقنا و حقهم:

"ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان".[1]

وإنما الدين يأمرنا أن ندفع عنه ما ليس منه والرجوع إلى حق تبين أحسن من متابعة أناس في أمر تبين خطؤه ـــ و قبل الشروع في المقصود ندلي بمقدمة نجعلها تمهيدا لما إليه قصدنا وعلى الله المنفرد بالتشريع على لسان خير شفيع اتكالي وهو حسبي ونعم الوكيل.

التمهيد

---

[1] « وَٱلَّذِينَ جَآءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » سورة الحشر، الآية:10.

الأدلة التي تثبت بها الأحكام والأخلاق الدينية الكتاب إجماعا والسنة الصحيحة كذلك ـــ و السنة أقواله و أفعاله وإقراره وشمائله صلى الله عليه وسلم والإجماع بشروطه ومنها أن يكون له مسند و القياس بشروطه ومنها أن يكون حكم الأصل المقيس عليه منصوصا ومنها أن لا يكون الفرع معارضا بنص إذا تقرر هذا جزمت بأن العمدة في دين الله الكتاب و السنة ليس غير. أما الإجماع فقد عاد إليهما باشتراط المستند غايته رفع الاحتمالات و الأنظار عن دليله – وأما القياس فلا يصار إليه إلا عند الضرورة وهي عدم النص من كتاب أو سنة – فإن وجد النص منهما أو من أحدهما كان القياس فاسد الاعتبار، و إذا تم القياس فقد قال القائلون به أنه يتضمن دليل المقيس عليه المنصوص بالكتاب أو السنة اللذين هما مصداق قوله تعالى:

"اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا"[1]

و هي من آخر ما أنزل من القرآن ومم لا نزاع فيه عند أهل السنة أن العقل العادة أو الشهوة لا حكم لها في دين الله المعصوم وإنما العقل آلة خلقها الله ندرك بها ولا حجة بحكمة إلا في أصول الدين (الاعتقادات) و من المقرر إن كنت ناقلا فالصحة وإن كنت مدعيا فالدليل وإن غير المعلوم محكوم بهذه القاعدة بلغت ما بلغت مكانته أو علمه أو إصلاحه. و من المدون في علمي العقائد و السنن أن رد النصوص استهزاء بها أو إيثار لغيرها عليها كفر ـــ ومن المذكور في علمي الفروع و الخلافيات أن ترك السنن و تقليد الرجال بدعة وضلالة ومن المدون أيضا أن السلف في القرون الثلاثة كانوا يقتدون بسنن رسول الله صلى الله عليه و سلم وأن المذاهب الإسلامية المعتبرة كانوا يتبعون الوارد وخلافهم في مسائلهم

---

[1] « حُرِمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلْدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنْزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلأَزْلاَمِ ذٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلأِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » سورة المائدة، الآية: 3.

تابع لما بأيديهم من السنن و الآثار وإذا ثبت الحديث فهو مذهب الجميع. وإنه لا يعلم إمام يعرض عن سنة تبينت اتكالا على أن صالحا أو عالما خالفها فإن أقل ما يقتضي ذلك الفسوق جعلنا الله ممن يستمع القول فيتبع أحسنه ــ وبما أن حزب الإصلاح الديني ليست له غاية شخصية ينشدها و يترامى من ورائها وإنما غايته وهمه في هذه الحياة المحافظة على الدين محافظة ترضي صاحب هذه الملة و تحذو حذو السلف الصالح فإني أقبل كل من يبين لي فساد ما ذهبت إليه و أعده أخا لي ناصحا وأذكره بقول من قال: رحم الله امرأ أهدى إلينا عيوبنا على شريطة أن يرد علي من جنس الأدلة التي تعتمد ولا يفعل كما فعل بعض المروجين للبضاعة من الاستدلال بأقاويل الرجال فإن من رام الاعتماد على غلطات الرجال لم يعدم دليلا لأي شنعة. وإنما الأدلة التي أخضع إليها و أهتدي بها هي التي تأتي من عصور الحجية. و إذا جاءني بكلام لا يعرف له وجها عند أرباب الصناعة بالأخبار و الآثار فإنني أعد كلامه ساقطا عن أمم لا يحتاج إلى الرد و بعون الله سأجعل كل لحمة من لحم الطرائق التي اشتهرت وذاعت بيننا منفردة ببحث وأقسها بعصر السلف فإن وجد لها أصل بينهم قبلناها و عملنا بها و عززناها وما لم نجد له أصلا في أيامهم ولا عرف بينهم اعتقدنا أنها بدعة محدثة مشمولة لقوله صلى الله عليه وسلم: " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد فلترد ومن نصرها كان له من الوزر مثل أوزار من أحدثها وكان في أمره متبعا غير سبيل المؤمنين و آخذا بغير هدي محمد صلى الله عليه وسلم ليس بعد هي محمد صلى الله عليه وسم إلا ضلال".[1]

بدعة تحديث الأذكار لأتباعهم

من البين لجميع من عرف الطرائق التي غصت بها الجزائر أنها اشتركت في أمور وامتازت كل واحدة بخواص تجعلها منفصلة عن البقية تستحق بها اسم

---

[1] أخبرنا أحمدُ بنُ علي بنِ المُثَنَّى ، حدثنا محمدُ بنُ الصَبَّاح الدولابيُّ ، حدثنا إبراهيمُ بنُ سعدٍ ، حدثنا أبي، عن القاسمِ بنِ محمدٍ عن عائشةَ ، قالتْ: قال رسول اللَّهِ : «مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هٰذَا ما لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ».

طريقة فلان ــ وقد وضعوا طرائقهم كالشرع الموضوع المتبع وبنوا هذه الأذكار على أوضاع و هيآت. و ألحقوا بها أدعية أحدثها من أسس الطريقة ومن الشائع الذائع أن هذه الأذكار يعطيها رؤساء الطرائق أو من يقيمونه و يسمى بأخذ الورد أو رفع السبحة و يعينون أعدادها و صيغها وأوقاتها و ما يرتؤونه من آدابها نحن نعرض عملهم هذا و نقيسه بالهدي النبوي وعمل السلف فذلك الدين وما لم يعرف في هذه الأيام بعموم أو خصوص فليس من الدين وما دام ليس من الدين فإنكاره قربة والاعتراف به بدعة. إن استقراء الشريعة دل على أن ما تعبدنا الله به جاء على ضربين ضرب تولى الله تعيينه في نفسه وفي عدده وفي وقته كالصلوات الخمس في الفرائض وكركعتي الفجر في النوافل وكرمضان في صوم الفرض وعرفة في النفل. وضرب آخر طلبه منا طلبا وأوكل تعيين عدده ووقته إلى قوة المكلف وما جعل عليه مسيطرا ولا وكيلا وله في نفسه أن يعين ما شاء في أي وقت شاء على ما تعطيه القوة البشرية – و الأذكار في غالب أمرها من هذا القبيل وما شذ عن هذا غير قليل كسبحان الله و الحمد لله و الله أكبر دبر كل صلاة تولى الشرع تحديده و الأذكار ورد الأمر بها في كتاب الله في غير ما آية

قال الله "ولذكر الله أكبر"[1] و قال " فاذكروني أذكركم"[2] فلولا إنه كان من المسيحيين الآية و قال 'يسبحون الليل و النهار"[3] الآية و الآيات كثيرة ولا يوجد في العبادات إذا تتبعت الأدلة المتبوثة في الشريعة أكثر من الذكر طلبا وورد الأمر بها سنة أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه

[1] «ٱتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَأَقِمِ ٱلصَّلاَةَ إِنَّ ٱلصَّلاَةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ » سور العنكبوت، الآية:44.

[2] « فَٱذْكُرُونِيۤ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ » سورة البقرة، الآية: 152.

[3] «يُسَبحُونَ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ » سورة الأنبياء، الآية: 16.

وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وأخرج مسلم عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله الطهور شطر الإيمان و الحمد لله تملأ الميزان و سبحان الله و الحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض[1] – و أخرج البخاري عن أبي موسى قال: قال رسول الله مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي و الميت وقد بوب رجال الصحاح للدعوات و الأذكار أبوابا وفصولا جمعوا فيها ما ثبت عن رسول الله من الأذكار و الدعوات وما دار بها ما لا مطمع لي في تسطيره وقد اعتنت الأيمة الأثبات عناية فوق هذه و ألفوا كتاب صحاح في عمل اليوم   الليلة رووا فيها ما ثبت من الأذكار و الأدعية بأسانيدهم فمن هذه الكتب عمل اليوم و الليلة للإمام ابن عبد الرحمن النساي و كتاب الإمام أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحق السني و كتاب الإمام النووي و غيرها مما هو معروف وقد أتوا على حالات الإنسان و تاراته اليومية و الليلية وساقوا ما فيه من أحاديث وآثار فمنها ما رغب الشرع في عدد منها طلبا للكثرة و منها ما طلبه طلبا مطلقا موكلا لقوة الذاكر يزن نفسه ثم يثبت ما يستطيع أن يداوم عليه وما علمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة عمره حدد الأذكار لأحد من أصحابه تحديدا يماثل تحديد الطرقيين على اختلاف أسمائهم ولا نقل عن أحد من السلف أنه حدد الأذكار لغيره ممن عاصره فضلا عن أن يجعله ذكرا شائعا ذائعا يعرف بذكره طريقة فلان. ومن ادعى غير هذا فليدلنا عليه من طريق صحيح عند أهل العلم ونحن نعتقد أن الذكر كان على عهد رسول الله و لم يتول تحديده ولا توقيته وكل من تعرض لتحديده أو توقيته أو إدخال أي زيادة كيفما كان شؤونها فيه عما كان في عصره يعد مبتدعا مستدركا على الشريعة و نحن نعتقد أن السلف رضي الله

---

[1] حدَّثنا قتيبةُ بن سعيدٍ حدثنا محمدُ بن فُضيل حدَّثنا عُمارة بن القَعْقَاع عن أبي زُرْعةَ عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلمتان خَفيفتَان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبِيبتَان إلى الرحمن: سُبْحان الله وبحمـــدِهِ، سبحانَ اللهِ العظيم».

عنهم لما لم ينقل عنهم تحديدا ولا توقيتا وهم أهل الدين صدقا وأصحاب الذكر حقا دل على أنهم فهموا من الشرع عدم التحديد و التوقيت ولن يستطيع آخر الأمة أن يأتي بهداية لم تأت بها أولها ونحن نجزم بأن السنة في فعله صلى الله عليه وسلم وقد ترك التحديد وإن الخير في اتباع من سلك و قد تركوا التحديد و التوقيت فالبدعة و الشر في التحديد و التوقيت وهو ما لم تتركه طريقة من الطرائق و لنورد شيئا من كلام المحققين يخدم هذا الغرض.

قال أبو إسحاق الشاطبي في مآخذ البدع و أهلها في الاستدلالات على ما انتحلوا ومنها تحريف الأدلة (وقد علمت أن منها لفظه و عمله صلى الله عليه وسلم) عن موضعها بأن يرد الدليل على مناط فيصرف على ذلك المناط إلى آخر (كذكر الله) موهما أن المناطين واحد وهو من خيبات تحريف الكلم عن موضعه. إلا أن قال وبيان ذلك أن الدليل الشرعي إذا اقتضى أمرا في الجملة مما يتعلق بالعبادات فأتى به المكلف في الجملة أيضا كذكر الله و الدعاء و النوافل المستحبات مما يعلم فيه التوسعة شرعا كان الدليل عاضدا لعمله من جهتين من جهة معناه ومن جهة عمل السلف به فإن أتى المكلف في ذلك الأمر بكيفية مخصوصة أو زمان مخصوص أو مقارن لعبادة مخصوصة والتزم ذلك بحيث صار متخيلا أن الكيفية المخصوصة أو الزمان أو المكان مقصود من غير أن يدل الدليل عليه كان بمعزل عن ذلك المعنى المستدل عليه. فإذا ندب الشرع مثله إلى ذكر الله فالتزم قوم الاجتماع عليه على لسان واحد و بصوت أو في وقت معلوم مخصوص من سائر الأوقات لن يكن في ندب في الشرع ما يدل على هذا التخصيص بل فيه ما يدل على خلافه، ثم حكم ببدعية ما كان على هذا الوصف و ما ذكره يجري في تحديد الأذكار للأتباع وتزيد عليه بما انجر للعوام من هذه البدعة الفظيعة. فقد أصبح بعض أسماء الله من ميزه طريقة فلان فمن لم يأخذ عهده وورده لا يحوم حول ذلك الاسم وأي شر بقي بعد هذا وأي إلحاد في أسماء الله شر من هذا

وتزيد عليه أيضا فقلب معالم الإسلام ظهرا لبطن فقد كان من مبادئ الإسلام الأولية أن المسلم يتلقى الأحكام من ينبوعها وهو ما جاء به الرسول من غير استئذان أحد ولا وساطة أحد فصير شيوخ الطرائق الذكر يتوقف على إذنهم لميولهم و أهواهم ولعل زعما يتوهم أن هذا التحديد و التوقيت لا يضر وقد قصد واضعوه الخير فنقول أخطأ الواهم في وهمه فإن السلف الذين شاهدوا عصر النبوة لما وقع بين أيديهم شيء أقل من هذا ولا يشاركه في غير أن الرسول يفعله انكروه وعدوه ضلاله ولا بأس بنقل شيء من آثارهم يستدل به على نقول. من ذلك ما نقله أبو إسحاق الشاطبي عن أبي وضاح عن الأعمش عن بعض أصحابه قال: مر عبد الله (يعني ابن مسعود) برجل يقص على أصحابه وهو يقول سبحوا عشرا وهللوا عشرا فقال عبد الله إنكم لا هدى من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أو أضل بل هذه يعني أضل وفي رواية عنه أن رجلا كان يجمع الناس فيقول رحم الله من قال كذا وكذا مرة سبحان الله قال فيقول القوم ويقول رحم الله من قال كذا وكذا مرة الحمد لله قال فيقول القوم قال فمر بهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال هديتهم لما لم يهد نبيكم وإنكم لمتمسكون بذنب ضلاله – وذكر له أيضا أن أناسا يسبحون بالحصى في المسجد فأتاهم وقد كوم كل رجل منهم كوما من حصى قال فلم يزل يحصيهم بالحصى حتى أخرجهم من المسجد ويقول لقد أحدثتم بدعا وظلما وقد فضلتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علما ـــ فتفهم رحمك الله رأي الصحابة فيمن خالف ما كان عليه نبينا صلى الله عليه وسلم كيف ضللوه وأنكروا ما أتى به ولم يعذروه ولا تأولوا له وجها ولا نقبوا له عن نية بل مخالفته كفتهم دلالة على إنكار ما أحدث و تأملوا يا أولي الألباب ويا رجال العلم فيما أحدثه أشياخ الطرائق فإنه يحدثنا بأن حكما و أسرارا أخفيت على رسول الله وعلى سلف الأمة في تحديد الأذكار للأمة أدركها هؤلاء المستدركون و أن فضائل و خواص

في المستدركين وأن فضائل وخواص في أعداد لم يهد لها نبي الرحمة وهدى إليها هؤلاء الأقوام الذين تجارت بهم أهوائهم إلى أبعد مدى.

العربي بلقاسم.*

ه - الملحق رقم:(4)

بدعة الطرائق في الإسلام ــ 2 ــ

لست أعلم شبه شرعية ولا مصلحة دنيوية قضت بها تصرفات الملة تبرر ما أحدثه أشياخ الطرائق من إعطائهم هذه العهود التي فرضوها على الأمة ومن عقدهم هذه البيعات العامة الشاملة للذكور و الإناث عقدا تغلغل في نفوسهم فحرسوها بكل ما أتوا من قوة حتى أن الزمان ودوراته لم يستطع أن يغالبها ولا أن يقلل من أمرها شيئا بل ما ازدادت الأيام تأخرا والعلم ضعفا والدين غربة إلا

* العربي التبسي: الشهاب: م4، ع166، ص: 320.

زادت صولة وقويت شوكة مغايرة لكل سبب من أسباب الدين والعمران متميزة عن كل ما جاء به صاحب الملة. ولو كانت خيرا لقلت كالخير كله وإذا كان الخير منها بعيدا و الشر منها قريبا بقيت حية يستطير شرها استطارة النار كلما زادت الأمة جهلا بدينها ويا ليت شعري من أي نافذة من نوافذ الدين وأي باب من أبوابه خرجت إلينا هذه البيعة الشيعية التي أنزلها شيوخ الطرائق من دين الأمة منزلة جواز السفر للنازحين عن أوطانهم وطالما فكرت في أمرها بحثت عن مآخذ أهلها و سند أربابها و الآخذين بها و الذائدين عن حياضها فما وقت عيناي على شيء غير وساوس يعتمدها هؤلاء الناس الذين شرعوا لنا بيعة على طاعتهم و تقليدهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم و صحابته الأبرار تابعيهم بإحسان فإن قام في نفسي أن هؤلاء الرهاط الذين يعطون العهود ويعقدون البيعات مستندون إلى بيعات صدرت منه صلى الله عليه وسلم في أحوال ولمقتضيات مختلفة لأقوام صدني عما قام في نفسي أن هذا النوع من الاستدلال لا يتم إلا بجعل إحدى مقدماته الهوى و الطرقيون يأبون علينا هذا حسبما رأيت بعض المتكلفين الذين رماني سوء البخت بمقاولتهم في الله و يا للمسلمين ويا للعلم من هؤلاء العلماء الزائفين ومن أوهامهم و عظائمهم اغترار الناس بهم. أي شبه و أي مناسبة بين بيعات فعلها رسول الرحمة صلى الله عليه وسلم بوحي إلهي لأمور رآها ليس شيء منها يصلح أن يكون دليلا ولا شبه دليل و بيعات الطرقيين ولو أجهدت نفسك و نقبت مسالك العلل و الاستنباط لم تستطع أن تأتي بجامع بين بيعاته صلى الله عليه وسلم و بيعاتهم عفا الله عنهم ورزقهم توبة تذهب عنهم الابتداع الذي مسخهم. فبيعاته صلى الله عليه وسلم كانت إما لأقوام حديثي عهد بكفر يبايعهم على التزام تكاليف الإسلام يعاهدونه على أن لا يرجعوا إلى سابقهم المظلم يأخذ عنهم العهد رجالا و نساء كما وقع يوم فتح مكة. و إما لمصلحة حربية كبيعة الرضوان و أشياخ الطرائق

يبايعون أمة إسلامية لا عهد لها بشرك و بيعاتهم على أمور لم يبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد من صحابته عليها و ما فهم الصحابة من بيعاته ما فهمه أشياخ الطرائق من مبايعة الأمة على أمر جعل الله أمرها في سعة فمضت أيام الصحابة و أيام تابعيهم بإحسان على ذلك ومنهم من كان يقتدي به حتى في الأمور العملية كعبد الله بن عمر رضي الله عنهما فإنه كان يوقف ناقته. أين أوقف رسول الله ناقته. وما حدثنا مؤرخ ولا قص علينا أثري ولا حدثنا محدث بأن السلف كانوا يعطون العهود ويلقنون الأتباع وكيف يفعلون عبادة من تلقاء أنفسهم وقد تاه بعض المتكلفين فزعم أن القوم من الصحابة و التابعين إنما أهملوا أمر البيعة حذار أن يتهموا في أمر الإمامة الكبرى وذهب مع الاغلوطات إلى أقصى غاية و غفل عن مكانة القوم من الصحابة و التابعين الدينية و قاسهم عن نفسه فساء مذهبه وزن السلف كذبا بحالته وما درى المسكين أن أمور الدين فوق الأوهام ولم يكونوا بتاركيها لمثل هذه الأعاليل. أضف إلى ذلك أن منهم من لا يهتم بهذه الخلافة وهم كثرة مطلقة و الخلفاء أنفسم الذين استقر لهم الأمر لم يعطوا هذه العهود الفاسدة ولا أوصوا بها طول عمرهم أحدا.

ولعمري أن من يزعم هذا الزعم لهو راميهم بما لا يناسب ما هم عليه من العدالة و الدين الكامل و المحافظة عليه. و إنكارهم على من خالف شيئا ثبت عنه صلى الله عليه وسلم و إن كان خليفة ـــ أمر ملئت به صحائف المحدثين. حكايتهم مع معاوية رضي الله عن الجميع في الماوزياد وفي بعض تصرفاته حتى قال له أبو الدراء لا أساكنك بأرض الشام ـــ أكبر منفذ لهذه الدعاوي الباطلة. و الصوفية الذين شهد لهم أهل العلم بالاستقامة إنما بنوا طريقتهم على التأسي به صلى الله عليه وسلم في جميع أمورهم وليس في السنة ما يدل على مشروعية هذه العهود الجارية بيننا فمن أدخلها أو نسبها إليهم ككل هذه الشرور التي يتقلب فيها أبناء الزوايا و أذنابهم فقد جنى عليهم رضي الله عنهم شر جناية

و أدخل في طريقتهم ما تبرؤا منه من الابتداع منذ نشأتهم وإن ثبت عن أهل العدالة منهم شيء يخالف السنة فليظن بهم خيرا وإنهم اجتهدوا و أخطأوا ولا إثم على من اجتهد مخلصا في نيته وإن أخطأ وإنما الإثم و الابتداع وكل شر في اعتقاد أنهم لا يخطئون أو السير وراءهم في خطئهم. و ليعلم شيوخ الطرائق ديولهم إنه لو شاهد أئمة الدين هذه العهود التي اتخذها أشايخ الطرائق حبالة شيعية لتضليل الأمة وغلا ثقيلا يضعونه في أعناق أمة إسلامية جاهلة حتى رقوا منهم هذا المرقى الصعب لكان لهم على الطرقيين و أتباعهم و بدعهم ضلالاتهم مواقف مشهودة و حملات شديدة تدع أشايخ الطرائق و صنائعهم عبرة للمعتبرين و ها أنا وقفت بك أيها المسلم المحب لدينه المتبع لنبيه على أن عهود أشياخ الطرائق ضلالة محدثة لم يفعلها صاحب الملة ولا سلف الأمة وكأني بجاهل يطعن في هذا الكلام بأن حاصله أن رسول الله و صحابته وأئمة الاجتهاد تركوا هذه العهود ولم تعرف في أيامهم. وحاصل ذلك ترك منهم و الترك لا يوجب حكما في المتروك ومن أحدثها رام منها فوائد دينه إلى غير ذلك ما يقوله دخلاء العلم وقد سمعت ما يشبه هذه الجهالات من الأخوين الدجالين الذين جمعني بهم سوء البخت وموت العلم في هذه البلاد حتى طمع فينا كل جاهل رمت به المجاعة إلى خنشلة المسكينة ليروج الأكاذيب و يتقول على الناس بما يعلم هو قبل سواه أنه كذب دعاه إليه ملء بطنه ــ إن طعن في هذا الكلام بهذا الطعن قلنا إن ترك صاحب الملة و سلف الأمة لأمر من الأمور على وجهتين: الأول أن لا يوجد سببه ولا ينزل بالأمة ما يدعوا له ولا إلى التكلم فيه فهذا السكوت عنه لا يوجب حكما معينا في المتروك. دليله قائم في عمومات الشرعية اللفظية أو المعنوية. و الوجه الثاني أن يوجد سببه و تتوفر علله و يترك العمل به منه صلى الله عليه وسلم أو من سلف الأمة فالترك في مثل هذا كالنص اللفظي المحتم على أنه لا عمل فيه وإن الترك هو حكم الله مثلا الذكر أو العهود

أسبابها قائمة و الداعي إليها موجود و رسول الله ترك تحديد الأذكار و العهود. الأمر الذي ينشده أشياخ الطرائق عند حسن الظن بهم فيها موجود و السلف تركوها وقد ظهر في أيامهم ممن لم يخالط بشاشة الإيمان قلبه ما ظهر من الردة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه و غيرها فما أعطوا هذه العهود ولا سمع بها في أيامهم وذلك دليل قاطع على أن العهود الطرقية لا يعرفونها وإنه لا زيادة في الأذكار و الهداية الإسلامية على ما كان عليه سلف الأمة وإذا ذكرت أيها القارئ أن العبادات في أمنع مكان عن الأقيسة الواهية و الاستحسانات فقل إلى أشياخ الطرائق فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم.

تبسة العربي بلقاسم *

و - الملحق رقم:(5)

بدعة الطرائق في الإسلام ــ 3 ــ

إن من علم قليلا من مبادئ الأديان يعلم أن أشياخ الطرائق لم تتسرب إليهم هذه العقلية إلا من أمة أجنبية عن الإسلام لرؤسائها هذا الزعامة التي تؤهل صاحبها لهذه السلطة الواسعة النفوذ في عالم الغيب الدنيوي و الأخروي فاقتبسها أشياخ الطرائق من بعض من دس نفسه في هذه الأمة التي قطعت نظرها عن هدي سلفها فتخبطت في حمأة الجهلات ووجد كل دخيل يريد الشر بالإسلام بابا مفتحا يلج منه إلى الفتك بالملة و أهلها. خدع أشياخ الطرائق بهذه الرئاسة المبتدعة رئاسة تصديهم للدعوات فأدخلوها إلى دين الإسلام ذلك الدين الذي لا يعرف ولا يبيح لمخلوق أن يضع نفسه في هذا الموضع المملوء بالشكوك

* العربي التبسي: الشهاب: م4، ع168، ص: 132.

الريب في الدين و من تأهل لهذه الدعوات فدين الإسلام الذي أمر فيه نبيه بأن يخاطب الإنسانية على تباين أجناسها واختلاف لغاتها و تباعد أزمانها بأنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بتقوى الله و أنه لا يغني أحد عن أحد شيئا و أن العمل بالخواتيم و أن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة ثم ينقلب لعلم الله فيه – محال أن يعقل فيه التسامح لأي مخلوق لم تثبت له عصمة أن يؤهل نفسه لهذه الدعوات التي جن بها أشياخ الطرائق و أذنابهم جنونا أنساهم كل ما في دينهم مما ينقض هذه الوظيفة الدخيلة في دين الإسلام الغريبة عن تعاليمه المتروكة من سلف الأمة الممقوتة في دينهم المتلقى عن نبيهم. و قد جلبت هذه البدعة السمجة على الأمة عقلية هي أمس العقليات بعقلية بعض الأمم اللاتينية قبل هذه العصور المتأخرة تلك العقلية التي كانت معولا من معاول الهدم في أممهم وداء عضالا في جسم الشعوب و آية بينة على سفه العقل البشري. وقد كانت الدعوات أيام السلف رضي الله عنهم مستعملة مرغبا فيها في حدود ما تلقوه عن صاحب الملة يدعو الفرد منهم لنفسه أو لأخيه أو للأمة من غير أن يرى من نفسه فضلا له أو مزية أو خصوصية تجعله قمينا بإفراغ الدعوات على ما يشاء إفراغا و جديرا بالدعوات المستجابة التي تجعل الناس تشد إليهم الرحال من أقصى البلاد إلى أقصاها لتغترف من دعواتهم كما فعل أشياخ الطرائق قبل الآن وفي هذه الأيام التي أصبحوا فيها يغتصبون الولاية و الصلاح اغتصابا رضي الصلاح أم أبى وسلم العلم أم أنكر. و حاشا السلف أن يفعلوا ما لم يأذن فيه الدين أولئك الأبرار الذين لا يعدلون عن دينهم ولا يؤثرون عن سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ولا يخرجون المشروعات و سنن الهدى عما سمع من المشروعية بزيادة نقصان أو تحوير في آثارهم القولية و العملية ما فيه شفاء العلل و دواء لكل داء أصيبت به الأمة من شرذمة من أبنائها و أهل ملتها و سيمر بك إن شاء الله شيء يخص هذا الموضوع تفهم منه أن أشياخ الطرائق قد خالفوا صالحي الأمة من

الصحابة و التابعين في تصديهم للدعوات و انتصابهم للوسيلة التي أعطوها لأنفسهم من غير رضى الدين فاغتر بهم الجاهل و قوي بهم المبتدع على تضليل الأمة عن هدي سلفها الصالح و أوجدوا في الأمة حالة عقلية و خلقية انقلبت بها الأمة شر انقلاب إلى أسوأ حالة جاءت الرسل باقتلاعها و مطاردتها و نظرة قليلة فيما آلت إليه حالة مسلمي الجزائر الدينية تجعل المسلم المحب للإسلام الحق يغبر في وجه هذه البدع التي كادت تجعل الشعب شعوبا متباينة بسبب مثل هذه الدعوات الطرقية و ما إليها مما تفرقت به جماعتها و حملها على التصديق بكل وهم و خرافة حتى باتت ملكة التفكير و النقد ضعيفة إلى حد سفه العقل ذهاب ميزته التي هي الفصل بين الحق و الباطل. و كلنا يعلم أن هذه الدعوات التي يعطيها أشياخ الطرائق ترك في نفوس الجماهير أسوأ الآثار و أقبح الاعتقادات المعادية للأوليات الإسلامية التي تنادي و توحي إلى كل مسلم أن عالم الغيب و ما فيه بيد خالقه فجاءت الدعوات الطرقية ومدت يدها إليه تصرفت فيه بجميع أنواع التصرفات و المعاوضات و صيرته تحت مشيئتها فكم من إجارات عقدها أشياخ الطرائق عوضها دعوة من الدعوات على أمور بيد بارئها استأثر بعلمها ولم يجعل لنا طريقا إليها فباعت أشياخ الطرائق الأمطار وما في العالم العلوي و تدخلوا في الأجنة في بطون الأمهات وظلام الأرحام وعقدوا فيها الإجارات و نصبوا لها أسواقا وربما حددوا فيها الأثمان لها و كم من حائر سقن من منازلهن كما تساق الأنعام إلى منزل شيوخ الطرائق إجارة على شفاء عليل أو رد ضالة و كم من مسلمة تجردت من حليها و أصبحت عاطلة في العواطل عقدها أو حجلها أو سوارها ذهب عوض أمنية غرت بها في أحلام و أماني وكم من عقود أبرمت على الخلاص من الآثام و الدخول إلى الجنة بضمانات أشياخ الطرائق وكم من عظائم سمعنا بها ارتكبها أشياخ الطرائق عادت على مبادئ الدين بالنقض و الإبطال ووقفت في وجه عمل السلف. علام

تستحل أموال الأمة بهذه الخدع الشيطانية و يتلاعب بهم هذا التلاعب الذي لم يسمع الناس بمثله قبل ظهور متصوفة الزمان ومن تقدمهم بقليل و رسول الله يقول كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله و عرضه.[1] من غشنا فليس منا.[2] تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها.[3] من ذا الذي يحمل إيمانا كاملا بين جنبيه يسكت عن هذه المخالفات الصريحة المعاندة لما عرف من شرعه صلى الله عليه وسلم المتلقي عنه تلقيا يقطع دابر تحريف المحرفين و انتحال المبطلين. أين تقع هذه الدعوات البدعية الطرقية التي طاروا بها كل مطار من دعوات الأقوام المحدثين كعمر بن الخطاب و علي بن أبي طالب و أبي بكر الصديق و عمار بن ياسر و حديفة ابن اليمان وأويس القرني و سعيد بن جبير و أمثالهم؟ و هل أتى عن أحد منهم في خبر كاذب أو صادق إنهم كانوا يرون من أنفسهم التصدي للدعوات و التأهل لإجابة الرغبات كما يرى لنفسه رهط الطرقيين الذين رأوا من أنفسهم التصدي للدعوات و إبرازها إلى الأسواق و عرضها للمزادات العلنية. الحق أن متصوفة الزمان ومن تقدمهم بزمن كانوا وصمة عار لا تنمحي و نقطة سوداء في جبين الإسلام البريء من النقص و المسلمين الذين فهموا الإسلام كما أراده صاحبه و أهل التصوف الحقيقي أمثال الجنيدي و القشيري و المحاسبي الذين كانوا خلاصة أهل السنة في أيامهم. فانتسبت إليهم هذه النابتة المتأخرة

---

[1] حدثنا وَاصِلُ بنُ عَبْدِ الأعْلَى أخبرنا أَسْبَاطُ بنُ مُحَمَّدٍ عن هِشَامِ بنِ سَعْدٍ عن زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ عن أَبي صَالحٍ عن أَبي هُرَيْرَةَ ، قالَ قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: « كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ، مَالُهُ وَعِرْضُهُ وَدَمُهُ، حَسْبُ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ».

[2] أخبرنا الفضل بن الحباب ، قال: حدثنا عثمانُ بنُ الهيثم بن الجهم ، قال: حدثنا أبي، عن عاصم ، عن زر عن عبد الله قال: قالَ رَسُولُ اللَّهِ : «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ منَّا، والمَكْرُ والْخِدَاعُ فِي النَّارِ».

[3] حدّثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ بِشْرِ بْنِ مَنْصُورٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ السَّوَّاقُ قَالاَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ مَهْدِيَ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ ، يَقُولُ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ. إِنَّ هٰذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ. فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ. لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا. لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ. مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلاَفاً كَثِيراً. فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ. عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ. وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ. وإِنْ عَبْداً حَبَشِيًّا. فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الأَنِفِ. حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ».

صيرت طريقتهم كالملة المستقلة عن ملة الإسلام وكل أمورهم جاءت على خلاف طريقة القوم ولم يحتفظوا بغير الاسم فجاء تصوفهم خلقا جديدا مشوه الصورة بشع المنظر سيء المآل. و ها أنا قاص عليك أنموذجا من دعوات السلف رضي الله عنهم إيفاء بالوعد لتزن دعوات الطرقين بها وكأني بك محكم دينك و عقلك على هذه الدعوات الطرقية. و أكبر العلم إنك ستبرأ من دعوات الطرائق إجابة لدينك و انتصارا لأهل التصوف الحقيقي فإن رجال الإصلاح إنما يدافعون عن أهل التصوف و يذبون عن هداهم حتى لا يختلط المحق بالمبطل أخرج الطبري عن مدرك بن عمران قال كتب رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فادع الله لي. فكتب إليه عمر أني لست بنبي. و لكن إذا أقيمت الصلاة فاستغفر لذنبك فمنعه عمر من طلبه و أنكر عليه كما ترى و ليست إباية عمر من جهة أصل الدعاء للغير فقد فعله كما في أثر آخر وإنما أبى عليه إجابة طلبه لفهمه من قصد الكتاب أمرا زائدا على أصل الدعاء يخرجه عن أصله كما يرشد إليه قوله لست بنبي و يدل على ما قلنا ما روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه لما قدم الشام أتاه رجل فقال استغفر لي فقال لا غفر لك الله ثم أتاه رجل آخر فقال استغفر لي فقال لا غفر لك الله و لا لذلك أنبي أنا؟ فهذا الأثر قد أوضح أن سعدا رضي الله عنه لما بان له أن الرجلين فهما من دعائه ما لم يؤدن له فيه شرعا من المقاصد التي تخرج المشروع عن مشروعيته رد عليهما قصدهما بأشد ما يرد المنكر فرارا من أن تنقلب معالم الدين و يبلغ بهم الحال إلى ما بلغنا إليه. و عن زيد أبي وهب أن رجلا قال لحذيفة رضي الله عنه استغفر لي فقال لا غفر الله لك ثم قال حذيفة يذهب هذا إلى نسائه فيقول: استغفر لي حذيفة فتأمل كيف رأى أن إشاعة مثل هذا و قصد الناس إليه من أقبح المناكر التي يحثني في وجه صاحبها التراب فكيف بالانتصاب و التصدي و بعث الدعاة إلى الجهلة لطلب هذه الدعوات. و تأمل مذهب مالك رضي الله عنه في

قوله بكراهة تصدي أئمة المساجد إلى إعطاء الدعوات و تصدرهم لها كيف كرهها ونقل أصحابه في ذلك أثرا عن عمر وليس فيما أنكره السلف و ما كرهه مالك من تصدر الإمام للدعاء من المفاسد. ما يجتمع في أبعد جنس مع ما حف بأدعية الطرقيين من سوء الاعتقاد و إضلال الأمة ولو عرضنا الطرائق على قاعدة سد الذرائع لقال أهل الإسلام ببطلانها لما جرت إليه من المفاسد ولو كان للطرائق دليل ثابت فكيف بها و الدلائل القائمة تنادي ببدعيتها فتأملوا يا رجال العلم و يا أهل التقوى كيف أصبح المنكر معروفا يذب عنه و ينصر و يعتنق ولو صاح علماء الإسلام ألف صيحة وكيف انقلب المعروف منكرا يبدع قائله يرمى بأشنع ما ترمى به أصحاب الأهداء و لاتقبل منه حجة ولو جاء بالدلائل اللائحة و ساق الشواهد الثابتة و هذه الحالة تذكرنا بقوله صلى الله عليه وسلم بدأ الدين غريبا و سيعود غربيا فطوبي للغرباء.[1]

العربي التبسي*

[1] حدّثنا عبدالله قال: حدثنا أبو أحمد الهيثم بن خارجة قال: حدثنا إسماعيل بن عياش عن إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة عن يوسف بن سليمان عن جدته ميمونة عن عبدالرحمن بن سنة أنه سمع النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: «بدأ الإسلام غريباً ثم يعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء، قيل: يا رسول الله ومن الغرباء؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس، والذي نفسي بيده لينحازن الإيمان إلى المدينة كما يجوز السيل، والذي نفسي بيده ليأرزن الإسلام إلى ما بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها».

* العربي التبسي: الشهاب: م4، ع169، ص: 372.

ز - الملحق رقم:(6)

العناية بالمجتمع حق ديني على العلماء

كلما نظرت إلى مجتمعنا الجزائري كمجتمع يدين بدين له تعاليم تسيطر على الدنيا وما فيها، و تقود إلى الآخرة و تدعو إلى سعادتها الأبدية، وكلما ألقي في نفسي أيضا أن أمتنا الجزائرية في تنشئتها التي شاخ على أساليبها كبيرها نبتت في مدارجها أحداثها، قد كونت فيها هذه التنشئة حالة نفسية عامة في الأمة، بانت كملكة لها، تصدر عنها أعمالها و يتولد عنها تفكيرها، وصنعت في معامل بيأتها لغة تخاطبها، التي تترجم عن نفسيتها التي أنبتتها هذه التنشئة، وطبعتها بطابعها الخاص في مميزاتها وخواصها، كشعب شرقي له حدود طبيعية تاريخية، بعد اليوم من أشد الشعوب الشرقية في أساليب الحياة، و دعائم الحضارة و مقومات الأمم.

و كلما استحضرت نفسي أيضا مبدأ من مبادئ الإسلام و شعبه من شعبه. لأعرضه على الأمة وأسر أثره في عمل الجمهور الذي يعترف بالإسلام أحرز مبلغ تأثيره في أفرادنا و جماعتنا. و مبلغ تحكم ذلك المبدأ في الأمة حتى يعطي

للناظرين حالة مشتركة و مظهرا عاما في جمهور الأمة يصح معه الحكم على الأمة بأنها خاضعة لذلك المبدأ مقرة بسلطته عليها. هذا من جهة.

و من جهة أخرى أعرض أيضا الأمة على مبادئ الإسلام، و أبحث عن مبلغ تعلقها به و تفهمها له تفهما يجعله حقيقة عملية و مبدأ صالحا. أدركت النفوس حاجتها إليه وافتقارها إلى ربطب جامعتها أو فرديتها به، و على ذلك الإدراك ينشأ في نفسها لذلك المبدأ العظيم إكبار و إجلال و حرمة و يعد في أفرادها و جماهرها مبدأ خالدا تعن له الوجوه و يخضع له الرأي العام و يحكم حينئذ العلم على الأمة و على ذلك المبدأ ــ يحكم على الأمة بأنها أمة ذلك المبدأ ــ و يحكم على المبدأ بأنه مبدأ لها ــ يضاف المبدأ لها ــ و تنتسب هي له – ذعن العلم حينئذ بأنها تذعن لقانون إلهي سماوي صالح لكل زمان و مكان، يقال يومئذ أنه مبدأ مكون للشعب مصير له شعب تاريخي له ماض لا بد أن يربط حاضره به.

كلما قامت في نفسي هذه الخواطر، و كلما جمعت روحي هذه الكليات خشي ما بين جوانبي غيظا، و طارت نفسي ذاهبة إلى ربها شاكية إليه من هذا التناقض الموجود بين الجمهور و المبادئ الإسلامية و التعاليم الدينية التي نشاهد البقية الباقية منها على أبواب توديع الوطن وأهبة السفر منه، تلك المبادئ التي استحالت في لغة الجمهور كفرضيات لا حقائق لها و خيالات لا محصول لها في أعمالها و لا مظهر لها في تصرفات جمهور الأمة، و باتت صلة الجمهور بالتعاليم الإسلامية الحقيقية. صلة يستحق عليها هذا الجمهور في حكم العقل الدين و العلم، جزاء من اختار الغي على الرشد، وآثر الضلال على الهدى، ولابد للعلم أن يحكم على هذه الجماهير بأنها جماهير حائدة عن دينها، بعيدة عن مصادر الرشد و موارده، جافية طباعها، مستهينة بكرامتها، معينة للدهر على

اضمحلالها و فنائها من سجل الأمم، نابذة لا صلح المبادئ التي تكون الأمم تعد الشعوب لسعادة الحياتين الدنيوية و الأخروية.

ولابد للعلم أيضا أن يقول لهذه الجماهير، أنك لجماهير جهلت و ما علمت، و نسيت أن الإسلام دين دعائمه التي يقوم عليها بنيانه العلم، وأنت أمة لم تستضيء بالعلم، ولم تسيري في حياتك على ضيائه، ولو سرت مستنيرة بشعاعه، لبصرك من حياتك و إعراضك على دينك الإسلامي حسن ما تركت وفاتك، و شؤم ما قبضت عليه بيديك واخترته لنفسك من فوضى اجتماعية دينية يتخبط أبناؤك في شرورها، يوم جهلوا ما في دينهم من ترغيب في المكارم، تحبيب للفضائل، و زجر و تحذير و ترهيب عن موبقات و مهلكات و مبيدات، ويوم اخترقوا الحدود و الفواصل التي وضعها الإسلام فاصلا سميكا، لا تهدها الأيام و لا تعمل فيها حوادث الليل و النهار، بين أبنائه و بين المفاسد الاجتماعية و الفردية، إعتقادية أو أخلاقية ومنذ دخلت علي هذه الآراء، ظلت نفسي ذاهبة جائية، بين جماهيرنا و بين تعاليم الإسلام التي حافظنا منها على الأسماء، أخذت همومي تعاودني ليلي و ناهري، حلى و ترحالي، في شغلي و فراغي، لن يغب عن بصيرتي التأمل في مآل أمة كانت في عهودها الماضية في طليعة الأمم، ذاوات النظم السامية الكفيلة بإقامة العمران على أسسه الثابتة، ــ تلك النظم التي تحول أنأى الشعوب عن المدينة و استثمارها، و العقل و استدرار مواهبه، إلى شعب ذي بصيرة و مواهب عقلية، أخاذ بأساليب الحياة سارع إلى شغل مركزه بين أرقى الشعوب ــ استحالت إلى أمة فعل بها الزمان أفاعيله. لعبت بها الجهالات، و تحولت إلى أمة سلبية عديمة الإرادة سلبا كاد يخرج جمهورها من حضيرة الإنسانية المفكرة و المنتفعة بنتائج ناطقيتها، وصارت جماهيرنا لا تحي حياة تركز على التأمل و التعقل و الانتفاع بما يقع بين أيدينا، و من ورائنا و على أبصارنا من متجددات الحوادث، وماضيات العظات الماسة

لحياتنا الدينية و الدنيوية، سواء منهما ما يتناول حياة الفرد أو حياة الجماعة، وانصرفت جماهيرنا من حياة الأمم المرتكزة على التعاون القائمة على أساس (مصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد) إلى حياة أشبه ما يضرب لها مثلا حياة أهل الحشر في موقفهم الأكبر و هو لهم الأعظم. يوم يكون كل أحد شعاره، نفسي. نفسي فذلك مثلنا اليوم.

أخال أن من امتلأت نفسه بمثل ما امتلأت به نفسي، ودب إليه مثل ما دب إلي من هذه الآراء، وقام في نفسه ظل هذا الشعور، الذي ملك علي تفكيري وأخذ ينمو بمرور الأيام و تغذيه الحوادث له. حتى أصبح ملكة في الملكات التي تصدر عنها آثارها من غير شعور ــ أخال ــ أن يمشه بين هذه الجماهير، يكون في نظره عيشا منغصا مملولا، يحاول الخروج عنه بتعديل عوج هذا الجمهور، و قد حاولت بحكم هذا الشعور بعض المحاولة في ظروف كثيرة ناسبات عديدة أن أقيم من عوج من اتصل به و تربطني به الروابط الدينية الوثيقة الخصوصية فأكون قد قضيت بعض حقوق الإسلام وأمته علي وكنت في محاولتي هذه و أثناء أداء ما ركبني من حق ديني علي ناهجا مناهج دينية آخذا بأساليب سداها و لحمتها الإئتساء بأساليب القرآن و الاتجاه إلى مقاصده و الأخذ بمعالم السنة و ترسم خطى أعلام الإسلام و أئمته الذين استماتوا في سبيل تبليغه وقد أفلحت في محاولتي إلى حد ما. و نجحت في مأموريتي في أغلب المواضع التي طال احتكاكي بأهلها. و لا استطيع أن أزعم أن هذا المقدار الذي نلته من الفوز يخرجني من مسؤولية تبليغ الدين و آدابه ولا أكتم القراء أن فوزي الجزئي المتحدث عنه لم أنله بغير صراع و نزال وهجوم ودفاع ذلك أن في أوساطنا دعاة سوء و أن هناك عراقيل و صواد أوجدتها الأيام يرجع عهد وجودها إلى عصور موغلة في التقدم، و إن الأيام أوجدت لنا في مجتمعاتنا مبادئ هدامة دخلت في الأمة يقوم بتمثيلها فئام اعتدوا العبث بعقول الأمة

الساذجة. و مكنوا الأوهام و السفه العقلي بينها تمكينا ملأ على الأمة مداركها ألبس هذه المبادئ في نظر الجمهور ثوبا خادعا و بجلها اسما غير اسمها الحقيقي و أعطاها اسما المبادئ الصالحة التي يجب أن تكون عيارا عند العامة على كل ما خلفها من جديد أو حديث، وعدت هذه المبادئ الهدامة كالقضايا المسلمة و التعاليم المعصومة وليس للعلم عند هذا النفر الذي استخف بالناس أن يتقدم لمباديهم ليعطي رأيه فيها و يؤدي مهمته كقاض خصيصي يفصل في أعماله ولا للمنطق الصحيح أن يضع أشكاله و قضاياه و أقيسته ليثبت ما يجب أن يثبت و يزيف ما يجب تزييفه، و إنما العلم و المنطق و العقل معطلة لا حكم لها، معزولة عن وظائفها ليس لها أن تؤدي مهمتها و تفصل الهدى و الضلال. و تعطي ما لله لله و ما لقيصر لقيصر.

و أي شيء أحق على نفس العالم المفكر. من اضطراره إلى الاحتكاك بمن لا يفهم له لغة و لا يذعن إلا لقضايا تقليدية أمشاجها التي تركبت منها أعضاؤها الغباء و الجهل و أي شيء أشد حسرة على نفس العالم أيضا يوم نحشر له مجموعة أو أهم في صميم العلم وصريح الهدى و متى حاول أن يقنع من يحشرها في العلم أو يجبره على الأقل إلى اعتبار ما يسميه علما وهدى أمرا يصح أن ينظر فيه و يختبر أمره و يعرض على المقاييس العلمية، عد ذلك منك استخفافا بالدين و احتقارا لمن سبقه من أهل العلم و هذا النوع من البشر الطرز من أهل الحجاج الجاهلي، لا تعدمه بكثرة أو قلة في مدن الوطن و قراه و هذه الفئة عند نفسها وعند العامة فئة عالمة لها حق التكلم باسم الدين و العلم، ولها حق الزعامة فيه وإرشاد الجماهير، ولا عليها إذا كانت هذه التسمية ترتضيها معاجم اللغة و يقرها العلم، أم أن العلم و لسان العرب يأبيان ذلك و لما يزل الجماهير عندنا مشايعة لهذه الفئة متابعة لها مغرورة بها، بحكم أن الجمهور أسير للسمعة الصحيحة و الباطلة، و للجمهور العذر الذي لا ينكر في متابعة هذه

الفئة و الانخداع بها، مادام هذا الجمهور لم يتعرف بالعلماء الحقيقيين ولم يستمع لدروسهم ولم يطلع على ما عندهم، وما دامت، هذه الفئة جد حريصة على بقاء ما كان على ما كان من بقاء الأمة بعيدة عن غيرهم قريبة منهم، تجلس في مجالسهم، و تشرب من كؤسهم، لأن في حرصها هذا بقاء لكيانها و حفظا لمركزها.

إن مصلحة الإسلام اليوم وحق الشعب على الطائفة العالمة وواجب الإنسانية تقضي على الطائفة المتعلمة أن تتقدم إلى الأمام لتؤدي وظيفتها، لأنها هي الطائفة التي تعد في وضعيتها ذات الحق في نشر الهداية الإسلامية، و هذه الفئة العالمة وإن كانت أقلية حسا مفرقة في نقط معينة في مدن القطر هي أكثرية معنى لأنها في وضعيتها الإسلامية قانونية. على عكس الفئة الأخرى، فإنها وإن كانت أكثرية حسا فإنها أقلية معنى، لأنها ليست بهيأة مستمدة لسلطتها من التشريع الإسلامي، الذي يجعل وجود أمثالهم على رأس الأمة دينيا من أمارات الساعة، وإن العلم يعلم أن الإسلام يقول بلسان حاله وقال: إن كل عمل يأتيه الجهل و الجهلاء أنا بريء منه ومن نتائجه و شروره، ويقول إن المقالة لا تنسب إلى الإسلام حتى يكون هو القائل لها المقرر لما ترمي إليه مصلحة، العالم إنما مترجم حاك عنه مبلغ تبليغ من يفهم لغة الدين و يدرك مقاصده.

لعمري أن هذه الفئة الغير الشرعية، قد أوجدت في وطننا المنكود شرورا طويلة عريضة، كادت تخرج الشعور الإسلامي من صدور الناس، وتوجد بدله شعورا آخر، وانتهت الحالة بسبب تسلطهم على عقول العامة إلى أن باتت معالم الإسلام غير قادرة في نفسها، ولا ثابتة حقائقها حسنا وقبحا، وإنما تحولت الحالة إلى أن أصبح الحسن و القبح الشرعيان تابعين لاستحسان و استقباح هؤلاء الرؤساء.

على المتأمل أن يتأمل جيدا و يتفهم نفسية الجمهور اليوم، فإنه سيجد أن الأمة في أمور دينها ليست على مهيع واحد في الشعور الديني، الذي يجب أن يكون شعور الفرد و الجماعة فيه واحدا، وما أكثر المفاسد التي أوجدتها هذه الفئة في الأمة. مفاسد عمت وما خصت. لم تنج منها العقائد ولم تسلم منها عموميات الإسلام. التي جعلها حقا مشاعا بين معتنقيه. جاءت هذه الفئة واعتدت عليها من غير مبرر شرعي رغم استنكار العلم و العلماء لهذه الافتيات على مظاهر الإسلام و مقدساته. ولست في كتابي اكتب عن شيء مجهول أو حادثة فردية علمها البعض و جهلها الأكثر وإنما أتحدث إلى القراء عن مظالم ركبها هؤلاء الناس في أقدس الأماكن في الوطن، ببيوت الله فإن هذه الفئة أرادت أن تحتكر المساجد لنفسها وتوصد أبوابها في وجوه العلماء أصحاب الحق في هذه المساجد وفي تصديهم لتعليم الأمة فيها إذ وضعية المسجد في الإسلام وضعية معبد تؤدى فيها الشعائر الإسلامية ووضعية كلية علمية حرة تؤدي فيها المعارف على اختلافها دينية أو لغوية أو عمرانية، وإن هذه الفئة التي عطلت المساجد عن عمارتها العلمية جاهلة بأن عصرنا هذا ليس بالعصر الذي يقبل اضطهاد العلم و يرضى بالنقيصة فيه له.

إن الأمة الجزائرية التي تستظل بالراية الفرنسية التي صارت في الشرق الغرب مضرب مثل في الحرية العلمية دينية أو علمانية. لا تصبر بحال من الأحوال على اعتداء هذه الفئة على بيوت الله و تعطيلها عن عمارتها بالدروس العلمية مهما كانت منزلة هؤلاء المعطلين للمساجد أن هذا الاعتداء الذي تأتيه هذه الفئة التي تنحل نفسها سيما المهتدين و تتظاهر أمام العامة الجاهلة بأنها ذات الصبغة الإسلامية و السيرة السنية وطدته الفوضى التي يعيش فيها الشعب فوضى في العلم و الأخلاق و الاجتماعات الدينية و الدنيوية ولو كنا شعبا يحب النظام لأخذنا بشيء من النظم الحديثة التي تجعل كل شيء في محيطه و دائرته.

فإن سير الحياة اليوم أخذ مهيعا جديرا بأن يأتي بفوائده و أدخل من وسائل الإصلاح في الشعوب ما جعل كل هيأة لها تنظيم في محيطها و أعمالها حتى بات كل فرد من أفراد الأمة في دائرة وجوده لا يخرج عنه ولا يدخل على غيره.

أما نحن معشر البؤساء فلازلنا نعيش عيش القرون الوسطى كل شيء موكل إلى الصدف مدفوع به إلى الفوضى حتى رفعت الحواجز بين الحقائق اشتبك الشيء بضده و اجتمع مع عدوه و تلاحم بمباينه ولم يبق من فاصل يفصل بين السنة و البدعة ولا حاجز يحجز بين الهدى و الضلال وصح لكل من يحسن أن يألف جملا عربية أن يكتب في الجرائد في أشد المواضيع غموضا أخفاها على أكبر الاختصاصيين في العلوم، ويقال عنه أنه كتب و خالفه مثله، المسألة خلافية، و كثر بذلك الجهل وازدادت حالتنا فوضى على فوضى، وزهد أهل العلم الحقيقيين في الكتابة في المواضيع الدينية التي يحسنونها و حطموا أقلامهم و رأوا أن دخولهم في ميادين الكتابة لا يجلي الحق ولا يأتي بثمراته، فخير لهم أن يسكتوا حتى يمن الله بساعة يعرف فيها كل واحد قدره.

وقد نابت الأمة حوادث استحقت الكتابة و استحقت أن يعني بها كبار العلماء، لأنها مسائل لها خطرها من ناحية الدين و الاجتماع كحادثة القراءة على الجنائز وما إليها، التي ظلت مرتعا خصبا لفريق من الجهال، و نفقت بسببها سوق الهذر، و كحادثة منع المالكية من الآذان بغرداية التي اتخذها فريق موردا من موارد الرزق، و بوقا ينفخ فيه أتباعه لنيل الثناء عند العامة و ليقال عنه أنه الغيور على الدين كما اتخذها فريق آخر فرصة و مظهرا من مظاهر العصبية الطائفية و بقي الحق الذي يجب أن يقال في صدور أهله، و انقضت أيام الجزائر في هذه السفاسف، وضاعت الأمة في هذه الفوضى، و إلى ربها مشتكاها، وقد كان لعلمائنا أن يكتبوا إلينا شيئا من آرائهم الموفقة حول حياتنا الاجتماعية

يعالجوا نفسية الأمة المريضة بها فتح الله به عليهم من العلوم الدينية. و يحاربوا هذه السنن السيئة التي جعلت الجزائر مباءة لكل رأي زائف. و منزلا لسخافات البشر، فإن عصرنا هذا عصر تيسرت فيه على العلماء وسائل تبليغ الدين تفهيم أصوله و فروعه و هيأ لهم من وسائل النشر في الصحف و المجلات ما لم يتهيأ لمن تقدمهم من العلماء الذين نشروا المذاهب و إذاعها الآراء ولم يبق للعلماء من شيء يصدهم عن نشر العلم وفضائل الإسلام، إلا العمل بعملهم الامتثال لوصايا دينهم، الذي يقول: لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس.[1]

العربي بلقاسم التبسي.*

[1] حدّثنا قُتيبةُ بنُ سعيدٍ حدَّثَنا يعقوبُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ محمد بنِ عبدِ اللهِ بن عبدِ القاريُّ عن أبي حازمٍ قال: أخبرَني سهلٌ رضيَ الله عنه ــ يعني ابنَ سعدٍ ــ قال: «قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم يومَ خَيبرَ: لأُعطِينَّ الرايةَ غداً رجلاً يَفتحُ اللهُ على يديهِ يُحِبُّ اللهَ ورسوله ويُحبُّه اللهُ ورسولهُ. فباتَ الناسُ لَيلَتَهم أيهم يعطى، فغَدَوا كلُّهم يَرجوه، فقال: أين عليٌّ؟ فقيل: يَشتَكي عينيهِ، فبصَقَ في عَينيهِ ودَعا لهُ فبَرَأَ كأنْ لم يكن بهِ وجَعٌ، فأعطاهُ، فقال: أُقاتلُهم حتّى يَكونوا مِثلَنا، فقال: انفُذ على رِسْلِكَ حتّى تنزلَ بساحتِهم، ثمَّ ادعُهم إلى الإسلام، وأخبِرْهم بما يَجبُ عليهم، فو اللهِ لأنْ يَهدِيَ اللهُ بكَ رجُلاً خَيرٌ لكَ من أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم».

* العربي التبسي: الشهاب: م8، ع7، ص: 361.

ح - الملحق رقم:7

كلمة إلى دينية ذوي الأحلام و النهى.

إن الروابط و الأمشاج التي تربط الأمم بعضها ببعض وتكون من الأمة جماعة تحس بحس مشترك كثيرة متباينة، منها الروابط المادية ومنها الجماعات الأدبية الضاربة بعروقها في تخوم ماضي الأمة وحدود مستقبلها، وإن أسعد الأمم حظا وأقواها مغالبة لحوادث الدهر لهي الأمة التي تكون أمة تاريخية تستحق أن تحشر نفسها في الأمم التاريخية، وتعد نفسها في الأسر الإنسانية التي تعتز بها البشرية المهذبة وهذه الروابط التي أتحدث لك عنها تشمل الدين واللغة والأخلاق والوطن والماديات المشتركة وما تستتبعها هذه الروابط مما يعد كأمهات في عناصر جوامع الأمم التي لا بد منها في مقوماتها.

إن الأمم وعلى رأسها عقلاؤها لترى أعز الناس عندها وأكرمهم عليها هو الفرد أو الجماعة التي تخدم هذه الروابط في داخل الوطن وخارجه، كما ترى أيضا أن أشد الناس لها عداوة هو الفرد أو الجماعة التي تعمل لإفساد هذه الروابط أو إبطالها ونكث حبالها الرابطة بين أفرادها وتعد الأمم أشد الناس لها عداوة من يريد شرا بروابطها داخل حدودها أو خارجها، لا تنام عيناها عن الاحتراس منه و التحفظ من شروره ولا تركن إليه النفوس ما دامت جوانحه تضم بينها سوء روابط الأمة التي بها كانت أمة، وإن جميع الأمم من لدن أن

خلق الله الأرض تمر بها حالات اجتماعية تتأثر بها هذه الروابط علوا أنخفاظا، فتعلوا الأمة بقوة روابطها و ترسب آونة أخرى بوهن روابطها، وتعز بعزة جوامعها و تهون تبعا لوهن مقوماتها التي امتازت بها وكانت بها أمة ممتازة من غيرها، لها حواجز معنوية كما لها تخوم وطنية.

و إذا أراد الله بأمة سوءا أصابها بداء الاستخفاف بروابطها و الزهد في مقوماتها و يومئذ يسرع إليها المسخ و يصيبها الفناء، و يسلط الله عليها من الأمم المجاورة لها و غير المجاورة من يبتلعها ابتلاعا يزول معه وجودها الحسي و المعنوي، وهذه الدنيا التي نعيش فيها لابد للأمة فيها إذا أحبت المحافظة على حاضرها و الاستعداد لمستقبلها، من مسايرة الشعوب التي تعيش في عصرها و السير بسيرها و مشاركتها في كل ماجد من وسائل العز ودعائم الحياة، مع المحافظة مقوماتها التي تبقى معها أمة، لها شخصيتها و مقوماتها التي بها يتم وجود الأمة حسيا و معنويا، في سبيل تقوية هذه الروابط و تنميتها و المحافظة عليها ابتكرت الأمم في الشرق و الغرب أنواعها من المبتكرات، وجددت فنونا من النظم أقامت عليها صرح حياتها ووطدت بها أقدام ميراثها القديم المقدس، و أصبحت بفضل هذه العناية بمقوماتها أمة تكنفها السعادة، ومازالت الأمم في كل جهة ترى الآن الإنسانية في تقدم والقافلة البشرية راحلة إلى الأمام كل يوم تستجد جديدا أو تستعير تليدا من أمة أخرى سبقتها إلى الابتكار و الاختراع، تستعير منها وسيلة من وسائل نفعها التي تناسب قوميتها تحفظ عليها وجودها، وباتت هذه الفكرة فكرة استعارة النظم و الائتساء في وسائل حياة الأمم تتأسى المتأخرة بالمتقدمة فضيلة عامة، لا تستنكف عنها أعظم الأمم مدنية و أرقاها حضارة، وصار الناس يعتقدون بحق أمة لا تبتكر لحياتها لا تستعير من غيرها ما ابتكره ولا تتأسى به فيما اخترعه من خير الإنسانية وراحة البشرية ــ لهي أمة تقود نفسها إلى الفناء وتضع وجودها على شفة قبرها

وتقف بنفسها على أبواب الاضمحلال، وإذا عرضت هذه النظرية نظرية عدم الابتكار وعدم الإئتساء بالمبتكرين على الشعوب المتأخرة تجد سبب تأخرها وعلة شرورها هي غفلتها عن العمل بنظرية وجوب السير مع الإنسانية إهمالها العمل بهذه السنة الإلهية التي أقام حياة الأمم و الشعوب عليها.

و الأمة الجزائرية أمة شرقية إسلامية تركبت أمشاجها من مبادئ الشرق الإسلام فعليها إن أرادت أن تبقى أمة يتصل مستقبلها و حاضرها بماضيها أن تحافظ على مبادئ الإسلام التي هي مبادئ الحياة الصحيحة و العز الباذخ، الأمة ــ الجزائرية أيضا فرنسية الحكومة و السياسة تعاشر في هذا الوطن جاليات متعددة و عناصر أخرى متباينة، وهذه الجاليات و العناصر الأخرى بنت حياتها على أساليب يحفظ عليها وجودها و يجعل مركزها في هذا الوطن مركزا قائما على العلم ثابت البناء صحيح الأساس متين الدعائم يجعل هذه الجاليات قوية الجماعة كثيرة السواد محفوفة بالمشاريع التي تدل على أنها جديرة بالبقاء، لأننا إذا ألقينا نظرة في هذه الجاليات الغير إسلامية في الجزائر وجدنها تؤلف جماعات وكل جماعة أقامت نفسها في هذا الوطن لتمثل لأمتها رابطة من روابطها التي تجعلها في الجزائر كأنها هي باقية في وطنها لم تغادره و لم تفقد في وطنها الجزائري شيئا مما كانت تقيم عليه حياتها في وطنها القديم.

ولكل جماعة من هذه الجاليات التي أتحدث لك عنها نظام خاص قامت عليه حياتها في وطنها ووجودها في الجزائر، ولكل جماعة قيادة منظمة و رآسة حقيقية بها، جديرة بأن تسند إلى صاحبها لأنها رآسة أعطيت للعلم، و استعملت في الناحية التي وجدت لها، و تصدت لخدمة الأمة و للوفاء للرئاسة ضاربة عن حظوظها عينة لشخصيتها زاهدة في أنانيتها، وأرجو الله أن يحبب إلى الجزائريين المسلمين، مضاهات هذه الجاليات و مشاركتها في الأعمال الإنشائية، فهي جاليات جديرة بالإكبار و الإعجاب لأنها تسير في حياتها على ضوء العلم

و الخبرة، وتضع كل شيء موضعه وتسند كل أمر إلى أهله العارفين بإدارتها، فكان الفوز في أعمالها أقرب إليها من الخيبة إلى هذه الأمة التي أضاعت نفسها يوم أوكلت أمرها إلى الصدف، و أسلمت زمامها إلى من لا يخاف الله فيها ولا يرعى للأمة حرمة، و أعطت قيادتها إلى فئة غشاشة لا يهمها من أمر الأمة إلا بمقدار ما تستغل هي منها من المنافع المادية التي لولاها ما نصبت نفسها ممثلة لرابطة من روابطها، و لست في التدليل على صحة النظريتين نظرية قيام هذه الجاليات ورؤسائها بخدمة أمتهم و جماعتهم و تقوية سوادهم الأمر الذي يقابل بكل إكبار و إعجاب وثناء، و نظرية إهمال أمتنا لروابطها وجهل رؤسائنا الروحيين و غيرهم بوظائفهم، وانقلاب رئاستهم إلى أداة هدم و تخريب و عناية هؤلاء الرؤساء بحقوقهم و شهواتهم و إيثار سفاسف أهوائهم على مقومات الأمة و عناصر وجودها.

و لست في التدليل على صحة النظريتين بمحتاج لأكثر من مقارنة حالتهم بحالتنا و مقايسة أعمال رؤسائهم الجدية المثمرة بسفاسف و جهالات رؤسائنا الروحيين و إلى القراء أسوق مثلا لناحية من نواحي رؤساء هؤلاء الجاليات الدينيين وأضرب بهم المثل، وأقيس جهودهم وأتعابهم و تفانيهم في خدمة أمتهم بنظائرهم و من يتنزل منزلتهم في هذه الأمة التي مرض رؤساؤها فسرى المرض إلى أطرافها، ذلك المثل هي الطائفة الكهنوتية التي تقوم للأمة النصرانية برابطة الدين النصراني فإننا نعلم أن في وطننا طائفتين تمثلان مذهبين من مذاهب النصارى البروتسطان و الكاتوليك فالبروتسطان تقوم به الإرساليات الانكليزية، تلك الإرساليات المنظمة تنظيما محكما المزودة بقناطير الأموال مجلدات التجارب المتحملة في سبيل مهمتها من الأتعاب و المشاق مالو كلف به رؤساؤنا الروحيون ما وثبوا على الرئاسة وثبا ولا اغتصبوها اغتصابا من غير كفاءة ولا علم ولا مؤهلات، غير مكثرتين بما يعود على الدين و الجامعة الدينية

من الأضرار ما دامت منافعهم الذاتية حاصلة، وهذه الفئة البروتسطانية تجدها محتلة احتلال واسعا منظما لأغلب أمهات مدن الوطن، يهاجمون الإسلام تعاليمه في كل لحظة، يتذعرون إلى ذلك بكل وسيلة وإن كانت في نظرنا معشر الشرقيين وسيلة غير شريفة، إذ الغاية عند أمثال هؤلاء تبرر الواسطة، يرسمون خطط مهاجمة الإسلام في وطنه و في صدور أهله على مرأى و مسمع من رؤسائنا الروحيين الذين يزعمون أنهم الأولياء للإسلام و ما تحرك رؤساؤنا الروحيين لمقابلة العمل بمثله وإعداد نظام يقف في وجه نظامهم، لأننا في عصر تضمحل فيه الفوضى وإن مثلت حقا، ويفوز فيه النظام وإن وجد لنصرة الباطل.

ولولا سلامة مبادئ الإسلام الصحيحة مما ينافي الفطر السليمة و الأحكام العقلية النزيهة لقضوا على الإسلام من عهد بعيد، ولكن للإسلام الحق و مبادئه الخالدة من الثبات و الرسوخ مالا يقوى الباطل على صرعه، و الطائفة الثانية طائفة الكثوليك التي تمثلها بعثات الآباء البيض الذين استعذبوا كل كريهة ركبوا كل صعب لخدمة أمتهم في رابطتهم المذهبية، وهم في جهودهم وأساليبهم و نظمهم و مقاصدهم لا يقلون عن إخوانهم دعاة البروتسطانية، و للطائفتين رؤساء خبراء يعملون بعلم و يسيرون على ضياء التجارب يبني الآخر منهم على أساس السابق، هؤلاء هم رؤساؤهم الروحيون.

فإذا جئنا إلى رؤسائنا الروحيين الذين تغضبهم كلمة الحق و تجعلهم أعداء ألداء لقائلها و ترضيهم كلمات الباطل و تجعلهم أولياء أوفياء خلصا لقائلها دللناهم على تقصيرهم في حق الإسلام و انقلاب رآستهم إلى أداة هدم ومعول تخريب ــ إلا البعض ــ ثارت ثائرتهم و ملؤا الجو صراخا على الناصحين، استحلوا منهم كل محرم وموهم بكل شنيعة وحملوا من في قلبه حب لحياة الإسلام الذي من مبادئه: الدين النصيحة ــ كرها على موافقتهم على أعمالهم تصرفاتهم و تفريطهم في خدمة الإسلام هذه مقايسة صحيحة بين الرؤساء

الروحيين لهذه الجاليات و بين رؤسائنا الروحيين الذين إذا استمروا على سيرتهم كانوا أعوانا لأعداء الإسلام عليه.

هذه نتفة أثبتناها في هذا العدد موجزة تصح أن تجعل ككوة ينظر منها للحياة ومرافقها عند الجاليات التي تعيش معنا، و إلى حالتنا الراكدة المزمنة التي لا تتحرك وإن دهمها سيل الأمم ليجرفها، عاشرتنا الجاليات ذات الجماعات الصحيحة دهورا طويلة تعمل لجامعتها في اليوم الشامس و الليل المقمر، فهل تأثرنا نحن معشر الجزائريين و تأثر رؤساؤنا الروحيون و حدثتنا أنفسنا في يوم من الأيام بأن نحدث في وطننا وبين أبناء ملتنا من المشاريع النافعة المادية الأدبية للمحافظة على جامعتنا و لغتنا و ديننا ما يدل على أننا أمة تتأثر بسير الحياة، و تريد أن تبقى أمة حية ذلك ما لم يكن و ما لم تتأهل الأمة له برؤسائها الروحيين و علمائها بله غيرهما، ورضينا بأن نعيش في هذا العصر الذي قويت فيه العلائق بين الأمم و كثر احتكاك هذه بتلك رضينا أن نعيش كمية مهملة مفرقة يجمعها سطح الأرض و سقف السماء و حرارة الشمس و نور القمر.

وفي هذه السنوات القريبة منا أحس علماؤنا ما يحيط بنا من أعمال الجاليات بوجوب الأخذ بشيء من نظم العصر، وذلك بتأليف جمعية دينية تدور أعمالها حول إقامة الإسلام على قواعده الصحيحة، إقامة مبنية على علوم الإسلام وظل هذا الشعور الذي دب إلى العلماء أمنية في النفوس وحاجة في الصدور و حديث النوادي العلمية ردحا من الزمن، ولم يبعث الله شخصا يؤذن على منارة الجزائر بكلمة تعلوا لتأليف جمعية علماء مسلمين، تلك الكلمة التي سيجيب داعيا كل رجل ينتسب إلى العلم، و يحس بأنه من أمة لها كرامة تحب المحافظة عليها حتى جاءت السنة الماضية التي كتب الله للأمة فيها أن تبتدئ هذا العمل الجليل الكبير

العربي بلقاسم التبسي.*

ط - الملحق رقم: (8)

هذه جريدة "السنة" يا أهل السنة

إني أحمد الله أن أعان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فتغلبوا على الصعاب الكثيرة التي قامت في وجوههم وغالبوا الظروف القاسية وقواهم ربهم بحبهم لدينه ونشر سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على إصدار صحيفة سنية حقا، مهمتها من أجل المهمات وغايتها من أنبل الغايات وعملها من اشرف الأعمال.

واني لا ادع هذه الفرصة تمر دون أن أنهي إلى أنصار السنة المحمدية أشهى التهاني بهذه الجريدة المباركة على السنة وأهل السنة الذين تحيا أرواحهم وتستنير بصائرهم بالعمل بالسنة، وإن جمعية العلماء الذين يرون أنفسهم من الأمة كأعضاء تؤدي وظيفتها، يجب أن تصدر هذه الصحيفة الشريفة المقصد المحمودة الوجهة، وتعتبر صحيفتها هذه كمدرسة راحلة إلى منازل أهل السنة توافي قراءها بدروس دينية أسبوعية وتمتعهم بما تجود به قرائح علماء الوطن الذين اخلصوا لله أعمالهم لا يبغون عليها جزاء ولا شكورا، وإن هذه الصحيفة السنية سيحيي الله بها قلوبا ويفتح بها أبصارا ويهدي بها أناسا، ونرجوه سبحانه أن لا يضربها آخرين ألفوا البدع وطبعوا على عبادة الله على حرف، ولم تبرز الجمعية هذه الجريدة حتى أستيقنت أن إبرازها لهذه الجريدة دين للسنة يجب

---

* العربي التبسي: الشهاب: م8، ع9، ص: 475.

عليها أن توفيه وأن تعجل به وإلا كانت هذه الجمعية غير وفية للسنة التي نبيها عليها عليه الصلاة والسلام في حديثي:"بلغوا عني بلغوا عني، ونصر الله امرأ سمع مقالتي فرعاها فأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع"[1]وأعضاء الجمعية بما أنهم قد تلقوا سننا وتفهموا أثارا وأحسنوا تاريلها وتخريجها، رأوا أن الامتثال للأمر المستفاد من الحديثين المارين الدال أحداهما على الطلب بصيغه والآخر بإثناء المستطاب على من سمع مقالة نبينا عليه الصلاة والسلام وبلغها، يوجب عليهم إصدار صحيفة تنفيذا لهذه الوصية التي توجب علينا تبليغ مقالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومقالته بمعنى سنته تشمل أقواله وأعماله وتقريراته وشمائله، ومعلوم بالبداهة أن الأمر المستفاد من الحديثين مطلق غير مقيد بأمة ولا بوقت ولا بأرض ولا بحالة دون حالة ولا بوسيلة دون وسيلة، ويزيد هذا الفهم تأكيدا ما تلقيناه في كتب الحديث والسير أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يبعث الكتب في الدعوة للإسلام وكان خلفاؤه من بعده يبعثون بكتب إلى ولائهم بالأطراف يحثونهم على الدين ويوصفونهم بالمن حتى أن بعضهم أمر عامله أن يجمع له ما كان من حديث رسول الله ليحمل الناس على العمل به. وإذا كان الأمر على ما ذكرنا فإن جمعية العلماء التي تعمل لله ولدينه ولإحياء سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قد أحيت بإصدارها هذه الصحيفة لنشر السنة وتعليم الأمة سنة المراسلة. ولو أن الإسلام له رجال يعنون به لكانت له صحف تدعوا إليه في الأوطان الإسلامية وخارجها. و لكن متزعمي المسلمين قد ألهتهم شهواتهم وشغلتهم حظوظهم عن خدمة الدين حتى أن بعض المتزعمين لما رأى أن السنة تحول بينه وبين شهواته حول جهره إلى مناهضة السنة والسنيين والإصلاح والإصلاحيين فحق هذا المتزعم بعمله حديثا نتناوله ومن

---

[1] حدّثنا أبو عاصمٍ الضحاكُ بن مَخْلَدٍ أخبرنا الأوزاعيُّ حدَّثنا حسانُ بنُ عَطَّيةَ عن أبي كَبْشةَ عن عبدِ اللهِ بن عمروٍ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: بلِّغوا عني ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرجَ، ومن كذَبَ عليَّ مُتعَمِّداً فليتَبوَّأْ مَقعدهُ منَ النار».

على شاكلته"دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها."[1]اللهم ق هذه الأمة الوقوع في شرك هؤلاء المحليين للمحرمات ويقين الجمعية أن أهل السنة حقا سيبتهجون بهذه الجريدة ويرونها نعمة يجب حمد الله عليها، ويعتقدون أنها من الحاجات التي يتطلبها منا الإسلام فستقر بذلك أعينهم وتنشرح لظهورها صدورهم شأن أهل الحق إذا ظفروا بحقهم وينعمون بذلك بالا ويرونها أمنيتهم المنتظرة وطلبتهم المرتجاة وأن هيأة إدارة الجريدة ستعطي لأهل السنة عهدا لا يخلف وميثاقا لا ينقض وحلقة لا تحلل فيها. على أن هذه الجريدة ستقضي عمرها على منهج السنة وتسير على ضوئها وتأتمر بأوامرها وتنتهي عند مناهيها وتوالي من تواليه وتحب من تحبه السنة ولا تعرف للعصبية أهلا ولا للطائفية لغة، وسيكون شعارها ودثارها ووصفها المميز لها حديثي:" البغض في الله والحب في الله من الأيمان، وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين"[2] وستحافظ الجريدة على شعارها علما وعملا بكل ما أتيت من قوة وما منحت من مواهب

---

[1] حدَّثنا محمدُ بن المثنَّى حدثنا الوليدُ بن مسلم حدَّثنا ابنُ جابرٍ حدَّثني بُسرُ بن عُبَيد اللهِ الحضرميُّ أنه سمعَ أبا إدريسَ الخولانيَّ أنه سمعَ حذيفةَ بن اليمان يقول: «كان الناسُ يسألونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنِ الخير، وكنتُ أسألُهُ عنِ الشرِّ مخافةَ أن يُدركَني، فقلتُ: يا رسول الله، إنا كنَّا في جاهليةٍ وشرّ؛ فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعدَ هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلتُ: وهل بعد ذلك الشرِّ من خير؟ قال: نعم وفيه دَخَن. قلتُ: وما دَخَنُه؟ قال: قومٌ يَهدونَ بغير هَدْيي، تَعرِفُ منهم وتُنكر، قلتُ: فهل بعدَ ذلك الخير من شرّ؟ قال: نعم، دُعاةٌ على أبوابِ جهنمَ، مَن أجابهم إليها قَذَفوهُ فيها. قلتُ: يا رسول الله، صِفهم لنا، قال: هم من جِلدَتنا، ويتكلمون بألسنتنا، قلتُ: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تَلزَمُ جماعة المسلمين وإمامَهم، قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: فاعتزلْ تلكَ الفرقَ كلَّها، ولو ان تَعضَّ بأصلِ شجرة حتى يُدركَكَ الموتُ وأنتَ على ذلك».

[2] لم أجد حديثا يجتمع فيه المعنيان، لذلك أورد الحديثين معا: حدثنا مُسَدَّدٌ أخبرنا خَالِدُ بنُ عَبْدِ الله أخبرنا يَزِيدُ بنُ أبِي زِيَادٍ عنْ مُجَاهِدٍ عنْ رَجُلٍ عنْ أبِي ذَرٍّ ، قالَ قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أفْضَلُ الأعْمَالِ الْحُبُّ فِي الله وَالْبُغْضُ فِي الله» . و كذلك: حدّثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَشِيرِ بْنِ ذَكْوَانَ الدِّمَشْقِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَلاَءِ. حَدَّثَنِي يَحْيَـــىٰ بْنُ أَبِي الْمُطَاعِ، قَالَ: سَمِعْتُ الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ

، يَقُولُ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ، ذَاتَ يَوْمٍ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ. وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةَ مُوَدِّعٍ. فَاعْهَدْ إِلَيْنَا بِعَهْدٍ. فَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ. وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وإِنْ عَبْداً حَبَشِيًّا. وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلاَفاً شَدِيداً. فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّـــينِ. عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ. وَإِيَّاكُمْ والأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ. فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ».

علمية فالجمعية بالحديثين عاملة طول عمرها متمسكة بما في الحديثين من الإلزام داعية إلى إحياء السنن مبينة لها مظهرة لما تستطيعه من العلوم التي تفهم منها، وإذ وضعت الجمعية بين يدي القراء منهم صحيفتها (السنة) فإن الجمعية والمنسقين يوقدون بأن في الوطن شر ذمة تأبى إلا أن تعيش مؤثرة للبدعة مجانبة للسنة، لأن في البدعة حظوظا واسعة وشهوات مبثوثة وأتباعا وأنصارا، يقضي الاعتراف بالسنة على هذه الحظوظ بالزوال والفناء، فأصحاب الحظوظ والشهوات والاتباع والجاه ستقوم قيامتهم و يتقد أثرهم وتلتهب نار غيظهم على السنة وكتابها ورجالها وأنصارها أيضا ما حيلة العلماء وما ذنب الجريدة وما جريدة الأنصار أن بلغت السنن وأميتت البدع وظهر الحق وأفل الباطل، وحسب أهل الحق في مثل هذا الموقف أسوة وعملا بآية:" الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون."[1] فالسنة وأنصارها صابرون محتسبون على هذه المحنة التي امتحنوا بها في سبيل إحياء السنة وإماتة البدعة وحسب جريدة السنة وكتابها وأنصارها أن يقولوا لأعداء السنن رواد الحظوظ ما ذنبنا في نشر السنة في الأوساط الإسلامية وحبنا للمؤمنين ما أحببناه لأنفسنا من تعلم السنة و العمل بها وقد جاء في السنة أنه"لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[2] فإن أغضبتكم السنة، فلا أرضاكم الله وأن جمعية العلماء المسلمين ليست ممن يعبد الله على حرف، فهي تعبده في السراء والضراء والناس يعلمون أنها تدعو إلى السنة النبوية وليس لها من وراء هذه الدعوة مرتزق ترجوه أو فوائد تنتظرها من وراء هذه الدعوة إلى السنة وإنما همها أن يبقي الدين عفا طريا محفوظا معمولا به، وذلك ما يلزم به الدين علماء الدين، وإن يعجب أحد لشيء فليعجب لأعداء السنة والعلم الذين ظهرت مقاصدهم، وكشفوا عن سوء نياتهم

---

[1] « الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ » سورة العنكبوت، الآية: 1.

[2] حدَّثَنا مُسَدَّدٌ قال: حدثنا يَحيى عن شُعبةَ عن قَتادةَ عن أنَسٍ رضي اللَّهُ عنهُ عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وعن حُسَيْنٍ الْمعلِّمِ قال: حدثنا قَتادةُ عن أنَسٍ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «لا يُؤْمِنُ أَحدُكُمْ حتى يُحِبَّ لأَخِيه ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»

وابتدائهم مناوأتهم للجمعية ومشاقتهم للعلماء من شهر ماي الماضي برآسة أمي يستحل المحرمات وبعض المبدعين الذين كانت السنة ولا تزال غصة في حلوقهم وقذى في أعينهم كبر عليهم أمام العالم الإسلامي أن ينكروا السنة مواجهة. فاتخذوا جمعية العلماء التي كانت ولا تزال داعية السنة مرمى لأقلامهم وهدفا لرمياتهم ووجهة لعدوانهم واعتدآتهم. وإنما هم يحاربون السنة في شخص جمعية العلماء. ذلك أن السنة تأمر هذا الأمي المحل للمحرمات الفاسق في دين الله بأن يعمد إلى العلماء ليلقنوه عقيدة الإسلام كما هي في حديث جبريل وغيره ويبصرونه بالواجبات الضرورية والمحرمات البديهية حتى يصح له أن يولج نفسه في أفراد هذه الأمة فامتلأ قلبه أحنا على السنة التي توجب على كل احد أن يعرف قدره والسنة تأمره أيضا أن يجلس أمام العلماء الذين استحل حرماتهم وأستأجر أقلاما بذيئة وأشترى ضمائر فاسدة يرميهم بما هم براء منه. وتأمره السنة أيضا بأن يسألهم عن الصلاة كيف تؤدى ويعلمونه مالا تصح الصلاة إلا به، إن كان هو ومن استأجره من أصحاب الأقلام الفاحشة المتفحشة ممن يقيم الصلاة، وما أظن أحدا علم سيرة هذه الفئة المحلة وكان ممن ينظر بنور الله يعتقد أن الأمي الفاجر وأذنابه وعبيده الذين استعملوا أقلامهم في إرضائه وإغضاب الرب ممن يقيم الصلاة التي قال الله فيها"إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر" وهؤلاء قد كفروا بتعاليم الدين وجحدوا أوامر الله ونواهيه لإرضاء الأمي الفاسق والبدعي المضلل وقد أصروا على المعاصي واستحلوا ما حرم الله وركبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولم تسمع الأمة من رئيسهم ولا من مرؤوسهم نهيا عن منكر فكانوا ممن يتناولهم قول الله "لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون."[1] هذه الفئة الخارجة عن جماعة العلماء لا يغضبون لله ولا يرضون له ولا يأخذون بالدين إلا تبعا للامي الفاسق والبدعي المضلل

---

[1] «كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ» سورة المائدة، الآية:97.

للشعب شأن كل أهل البدع لا يأخذون الدين من مأخذه ولا يهتدون به من أماكنه، وإنما حقبوا دينهم للأمي الفاجر والبدعي المضلل. فركبوا المناكر المستقبحة حولا كاملا. يحسبونها طاعة وهل يستطيع احد أن يقص علينا في أخبار من حضر ومن غبر من الأمم المتدينة وغير المتدينة أن فئة حملتها العداوة على أن تلطخ الإنسانية وتعصي الأديان وتخرق سياج الآداب كما فعل عبيد الأمي الفاسق والبدعي المضلل حتى أصبح كل أحد يقرأ جرائد الجزائر داخل القطر وخارجه تأخذه الدهشة وتستولي عليه الحيرة من جرائد أذناب الأمي الفاسق وما تأتيه من المنكرات والكفريات. اللهم اشهد أن الإسلام بريء من هذه الفئة وأن الآداب بريئة من هذه الفئة وأن الجزائر المسلمة بريئة من هذه الفئة التي كشفت عن عداوة الدين و الآداب والإنسانية. وليسمح لي القراء في هذه الفئة لأن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قضى علي بأن أكتب هذه الكلمات بكاء على الجراح التي أثخنت الدين الإسلامي وأدمته من أيدي الفئة المتعدية الأثيمة.

ولنعد إلى الحديث عن جريدة "السنة"التي كانت أمنية قديمة لجمعية العلماء وكان عزمها أن تصدرها قبل هذا الأوان ولكن الظروف الشريرة التي أحاطت بالجمعية من شهر ماي إلى اليوم ألزمت الجمعية بأن تعني بالمحافظة على ما عملته قبل. فإن خصوم الجمعية خصوم غير شرفاء قد حملوا معاولهم ومساحيهم لهدم ما بنته جمعية العلماء قبل، فإذا قضت الأحوال الجائرة على تأزم خطة الدفاع حتى يحكم الله بينها وبين القوم المحلين للحرمات، والناس يعلمون أن جمعية العلماء هي جمعية دينية. وكل من اتهمها بغير الدين فقد ظلمها ظلما لا مبرر له. وهي في خدمتها للدين تلج أبوابا كثيرة لتبليغ الدين وكان أهم ما تتصدى له أرشاد العامة في المساجد بدروس دينية تؤديها رجال الجمعية منها ما هو يومي ومنها ما هو أسبوعي والأمة عندنا في إقبال يتزايد يوميا على هذه

الدروس التي بدلت حالة العامة في البلدان التي يقيم بها بعض أعضاء الجمعية فبعد أن كان الخمر فاشيا وترك الصلاة عاما، قل الخمر وكثر المصلون هذه ناحية مهمة من النواحي التي تتعاطاها الجمعية. والناحية الثانية فتح المكاتب لتعليم الأبناء مبادئ الدين واللغة والآداب الإسلامية. وأغلب أعضاء الجمعية لهم مكاتب يولونها بالفهم وقد سارت الجمعية سيرا كان موضع إعجاب العقلاء ولما نشأت الجمعية الجديدة وكان الداعي إلى تأسيسها مضارة الجمعية الأولى وإفساد ما عملت وإرجاع الجزائر إلى سابق عهدها، كان أغلب الجهود التي يبدلها أعضاء هذه الجمعية المضارة التي أسست لأمانة الدين واللغة إنما تبدل لغلق المساجد في وجوه العلماء وتشويه سمعة العلماء بخلق عيوب لهؤلاء العلماء واستحلال أعراضهم وإنشاء صحف لإفساد الصلة بينهم وبين الأمة، وبث الرسل في كل بلدان القطر يذيعون الأراجيف والبهتان عن العلماء لإفساد سمعتهم وإزالة نفعة الأمة بهم، فنشأ عن هذه المساعي الفاسدة أن بعض المساجد في وجوه العلماء، وبعض المكاتب أيضا، وإخراج الأحداث من طلب العلم إلى مسح الأحذية والاشتغال بما يفسد الأخلاق. فاعتبروا يا أولي الألباب وانظر إلى ما تنويه هذه الجمعية المضارة إن لم ترفضها الأمة ولم تنتبه إلى ما تريده منها. وفي هذا الأوان قد وجدت الجمعية متنفسا فأخرجت جريدة السنة لخدمة الدين والأخلاق والآداب وأن الجمعية تدعوا الأمة الرشيدة إلى الإقبال على هذه الجريدة التي أنشأتها الجمعية للأمة، لتكون كمدرسة سيارة توافي قراءها بما تقوله العين وينشرح به الصدر وتداع به الآداب وتنشرها السنن ويثقف بها الشعب. والله ولي المؤمنين.*

* العربي التبسي: السنة: ع2، 17 أبريل 1933 ص:3.

ي - الملحق رقم: (9)

كلمة الجزائر المسلمة إلى النواب المسلمين

قديما جاء في تعاليم الدين الإثم ما حك في الصدر ومن أعظم الإثم أن يسكت الساكت عن كلمة حق لأنها تسخط أناسا وعملا بهذه الوصية المنبعثة من مشكاة النبوة سأتحدث في جريدة السنة اليوم إلى نوابنا المسلمين عن مواقفهم التي لا ترضي الدين في كثير من الحوادث ومن أسبق هذه الحوادث إلى الأذهان حادثة إيصاد بعض مساجد القطر في وجه المرشدين وهذا الموضوع بما أنه يزعزع الإسلام ويهذ كيانه كان الحديث عنه من أجب الواجبات على الذين يعرفون الواجب ويؤدونه حق أدائه ولعمر الله أنه موضوع جدير بالأحاديث والشروح والتعليمات، ولو أن هذا الحادث الجلل ألم طيفه المخيف بغيرنا لكان أنواب غيرنا مواقف تتشرف بها الإنسانية وتعد غرة في جبين العصر الحاضر ولكننا بثوابنا وحياتنا وجدنا وجودا شادا فكانت كل مظاهرنا عليلة فاترة شاذة وأني سأناجي نوابنا ورؤسائنا بكلمات إن لم اقلها أنا كنت غاشا وان أغضبت فريقا منهم عد غضبه برهانا آخر على أنه ظلم كرسي النيابة وأظن أن القراء وفي مقدمتهم نواب المقاطعات الثلاث في المجلسين المالي والعمالي يرون معي ويوافقونني على قيمة نوابنا وعلى وفائهم للإسلام والمسلمين وعلى أني معذور إذا أنشدتهم قول شوقي:

دار النيابة قد صفت أرائكها   لا تجلسوا فوقها الأحجار والخشب

واني انظر إلى نوابنا كرجال لهم ناحيتان متمايزتان ناحيتهم الشخصية التي تخصهم وهذه أقدرها قدرها واحترامها اخترااما لا أذكرهم معها الأخير، وناحية أخرى وهي أنهم نواب الأمة ولسانها الرسمي وترجمانها المتحدث عنها وواسطتها بينها وبين حكومتها وهم من هذه الناحية معرض للنقد ومحل للمرضى والسخط، وأظن أنهم ما دخلوا النيابة إلا وهم شاعرون بهذه الناحية الثانية

الموضوعة في ميزان أعمالهم التي إن تجاهلوها جلبوا على أنفسهم أسوأ أحدوثة وأخال أن الناس كلهم يذهبون مذهبي ويرون أن غلق بعض المساجد في وجه علمائنا المسلمين يعد من أعظم المساوئ لنوابنا الملجمين بلجام التهاون بوظيفتهم ومن ذا الذي لا يلتقي عليهم مسؤولية هذه الحادثة النادرة في هذا العصر الذي يعد من أظهر محاسنه التسامح الديني القاضي بحرية الأديان والمعتقدات والمذاهب والمعابد وأن هذا النوع من الحرية المعترف به لكل أمة وفرد في زوايا المعمورة قد أضاعه نوابنا إن لم نقل أن بعضهم كفر به، وإذا كانت الأمم ترى المعترض لحرية الأديان وما إليها من معابد وميزات خارجا عن نظام المدينة الحاضرة فإن معابدنا بسبب وشايات ومعايات قد يكون لبعض النواب فيها يد قد حيل بينها وبين أهلها وأصبحت معابدنا خارجة عن نظام الحياة الحاضرة ولسنا ممن يذهب إلى أن الحكومة الفرنسوية الفخيمة داست هذا الحق المقدس لأنه إسلامي جزائري أو استخفت بالمعابد الجزائرية والعلماء الجزائريين وإنما نقول بملأ الأفواه إن طائفة لا تخاف الله ولا ترغب في تميز الصلات الشريفة بين الأمة الجزائرية والأمة الفرنسية لأن التقارب بين الشعبين تقاربا شريفا يأتي على منافع هذا الرهط هي التي زينت الحكومة ما زينت وغشتها بما غشتها به فكان من الحكومة ما كان وقد كان من سكوت نوابنا أكبر معونة للوشاة.

و كيف لا يعد سكوتهم معونة وقديما قيل السكوت على الشيء رضى به.. ولما حل بمعابدنا وعلمائنا ما حل سارع أهل السفيرة والمروءة إلى استنكار هذه الحادثة الشاذة في العلاقات الإسلامية الفرنسية وكان في مقدمة المستنكرين أحرار الأمة الفرنسية وصحافة الأمة الفرنسية وقد شكر الناس للصحافة الفرنسية موقفها الشريف الدفاعي عن المعابد الإسلامية وعن المسلمين وعن سمعة فرنسا أيضا داخل القطر وخارجه تلك السمعة التي كانت طيبة لا نذكر معها الأمة الفرنسية في الأوطان الإسلامية إلا بأحسن ما نذكر به الحكومة المتمدنة ولم تبق

هيأة أو شخصية لها كرامة وفضيلة إلا وقد رفعت صوتها مستنكرة لهذه الحادثة التي لم تأتها فرنسا في أول استعمارها وفي أيام حكمها العسكري فكيف استطابتها بعد مائة سنة أولا وشايات الراشدين ولسنا في حاجة إلى التدلل على صحة إن هذا الاستنكار كان عاما من عقلاء الأمة الفرنسية والأمة العربية وما البرقية الحارة التي جاءت من طلبة شمال افريقيا بفرنسا ولا الكتابات التي تملأ أنهر الجرائد والمجلات العربية والفرنسية الساخطة على هذه المعاملة بخفية وقد أصبح العقل والشرف والإنسانية مجمعه على أن هذا المنع إنما هو عمل يرضي فريقا خاصا بالجزائر ليس إرضاؤه في مصلحة الجزائر ولا فرنسا وإذا كان هذا المنع غير مرضي عليه ومحل استنكار من عقلاء الأمتين فإن في الجزائريين طائفتين طائفة النواب التي سأتفرغ إلى الحديث معها وطائفة أخرى سمت نفسها جمعية علماء السنة وهذه الطائفة مزيج من عناصر لا يجمعها إلا بغض العلم والحياة الصحيحة وهذه الجمعية قد علم الناس موقفها إزاء هذه الحادثة بواسطة رجالها المنبثين هنا وهناك المتجولين في المدن والبوادي وبواسطة الجريدتين المعيار والإخلاص اللتين هما لسان هذه الجمعية وقد سمينا هذا المنع بأحب الأسماء إليها ورجنا إلى الحكومة أن يسم هذا المنع على الوطن كله ودعتاه تطهيرا للمساجد وآثرنا خلو المساجد من العلم والعلماء عن عمارتها وغدتا قربان هذا المنع نعمة شاملة لأفراد حزبهما الذين لا يعيشون مع العلم وما اكتفت هذه الجمعية بكتابة الصحيفتين ولا بأراجيف الدعاة المتعيشين بمثل هذه الحوادث بل إن رئيس هذه الجمعية أذاع في الوطن إلى أعضاء جمعيته دعوة حارة يدعوهم للاجتماع به في مقر جمعيتهم وظن من بقيت معه بقية من حسن الظن بهذه الجمعية أن الاجتماع الذي سينعقد في أيام محنة الجزائر سيكون اجتماعا تؤثر فيه مصلحة الإسلام والجزائر على كل شيء وتذهب فيه الأحن وتنسى فيه الحزازات لأن هذا المنع كما يتناول غيرهم يتناولهم وكما يضر بالأجيال

الحاضرة يكون سنة سيئة على الأجيال الآتية فإذا الجمعية تجتمع وإذا رئيسها يقوم خطبا باسمه واسم جمعيته واسم ولي نعمته رافعا عقيرته مقررا أن هذا المنع منية كان حزبه ينشدها مند تألف وأن معارضة الأمة لهذا المنع معارضة ظالمة وأن هذا القرار القاضي بمنع العلماء من الوعظ في بعض المساجد حق وأن بناءه واجب وأن معارضته جريمة والخروج عن النظام والأديان وفوضى يجب عليه وعلى حزبه أن يستنكرها مخالفا في ذلك لعقلاء الأمة العربية والفرنسية حتى أن يقرأ محضر جلستهم الأولى بالإخلاص يعلم أن اجتماعهم إنما كان اجتماعا لمحادة الأمة وتسفيهها وعد إهمالها وكتابة كتابها سفها ومروقا عن القوالين والدين وإذ ظهر للعيان داخل القطر وخارجه موقف هذه الفئة ومناصرها وكونها لم تعد تستحي من شيء اعرض العلماء عن محاجة هذه الطائفة وصار كثير من كتاب الوطن لا يعبؤون بما يكتب في جرائدهم المعيار البلاغ الإخلاص وإذ تبين لنا وللخلق كلهم موقف جمعية علماء المعيار والبلاغ والإخلاص. فلننقل الحديث إلى الفئة الثانية وهي فئة نوابنا المسلمين في المجلسين المالي العمالي ولست استثن غير ثلاث نواب نائبا عماليا بقسنطينة ونائبين بعاصمة الجزائر أحدهما مالي والآخر عمالي فليس هؤلاء الأفاضل الثلاث ممن يستحق كلمة لوم أو عتاب إذ أدوا ما عليهم وإنما حديثي مع بقية النواب وأنا باسم علماء المسلمين وباسم الديانة الإسلامية أسأل نوابنا وألح في السؤال إليهم عن سكوتهم من هذه الحادثة من يوم اقتراح نائب القليعة اقتراحه المشؤوم إلى اليوم بماذا يفسر سكوتهم في هذه المدة الطويلة. أبعدم الشعور بالمسؤولية والواجب المنوط بأعناقكم أمام الله وأمام تاريخهم وأمام عقلاء وطنهم أم بالتواطأ والموافقة والرضى باقتراح صاحبهم وتعزيزهم له بالسكوت حتى أصبحت النيابة الجزائرية والنواب الجزائريون في نظر الناس آلة لا تصلح إلا للهدم ومهما لا يستعمل إلا القضاء على الجزائر المسلمة وأننا نذكر النواب بالمنشور الذي

وزعته جمعية العلماء في القطر كله يوم طعن نائب القليعة الشعب الجزائري في دينه طعنته التي ستكون شعارا له في الدنيا والآخرة وطلبت منهم نصرتهم وإبداء رأيهم واستعمال وظيفتهم لرد كيد اقتراح زميلكم ذلك الاقتراح الذي ينم على أن وراءه شرا مستطيرا فانقضت الأيام والشهور وطرأت الحوادث وكادت تثير الموتى من قبورهم وأنتم في غفلتكم ساهون ومن صوت الواجب معرضون وعن داعي الله منصرفون وأفصحت الحوادث المرة بعد المرة بأن نيابتكم ليست مباركة على الجزائر المسلمة يا معشر النواب إن سكرتكم وتماديكم في السكوت مع الحوادث التي تخللت الأيام الماضية والتي بعثت كل ذي ضمير حي على إعطاء رأيه وإبداء شعوره لا يرضي الإنصاف ولا يخدم الأمة. يا معشر النواب إن تجاهلتم الواجبات الحيوية والوطنية فلا يحق بكم وأنتم مسلمون أن تتجاهلوا وصايا نبيكم لأمثالكم ممن لهم رعاية على الأمة إذ في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري عن معقل أبي يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال:"ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحته ألا لم يجد رائحة الجنة."[1] فأملوا أيها النواب ما يقول نبيكم واعرضوا موقفكم المعروف في هذه الحادثة المؤلمة لتروا أن الله استرعاكم هذه الأمة بالنيابية التي تقومون بها بين الشعب وحكومته فلم تنصحوا الأمة ولم تفهموا حكومتها حقوق الإسلام والعلم في المساجد ولم تدافعوا وشاية الواشين ولا اعترضتم على اقتراح صاحبكم ساعة تقديمه للمجلس فأوقعتم الحكومة في تصرف يغضب المسلمين عليها في كل أرض و أوقعتم مساجد الإسلام في تعطيلها عن أداء وظيفتها وما وجدت له في الإسلام فتعرضتم بتفريطكم في حقوق الإسلام والأمة واستخففتم بهذه الحادثة إلى هذا الوعيد الشديد القاضي بأن مصير من لم يحط منوبيه بنصيحته وجهوده كان من الهالكين الذين لا يجدون رائحة الجنة يا أيها النواب كيف رضيتم لأنفسكم أن تحشروا في زمرة

---

[1] رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَاعَنِ النَّبِيِّ قَالَ: «مَا مِنْ أُمَّتِي أَحَدٌ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُمْ بِمَا يَحْفَظُ بِهِ نَفْسَهُ إلاَّ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ».

من دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم والنسائي من حديث عائشة إذ قالت:" سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه"[1] وهذه دعوة نبوية مستجابة على من ولي من أمر الأمة شيئا فلم يرفق بهم ولم يحطها بنصيحته ولم يدافع عن مظلوميها ولم يذب عن دينها ولم يستعمل ماله من نفوذ وقوة لإحقاق الحق و أبطال الباطل. نوابنا أيقضهم الله لم تكن أعمالهم مرضية في هذه الحوادث وكانوا فيها غير محمودي الفعال ولا مرضي المنزلة وكان موقفهم يدعو إلى الاستغراب ويجعلهم كأنهم من أهل وطن آخر لا يهمهم ما يجري في الجزائر شيء وختاما أرجو الله أن يوفقنا وإياهم إلى توبة تمحو السيئات وتنسي العار وتجعل نوابنا أصحاب أعمال تدعوا العقلاء إلى الأسوة لا أصحاب موقف تكون عبرة للمعتبرين.*

ثانيا: الفهارس.

1 - فهرس الآيات القرآنية:

الرقم	السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة

[1] حدّثني هَــارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الأَيْلِيُّ. حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ. حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَــانِ بْنِ شُمَاسَةَ ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ. فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ. فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَــذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقِمْنَا مِنْهُ شَيْئاً. إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَّا الْبَعِيرُ، فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرَ. وَالْعَبْدُ، فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ. وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ، فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ. فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لاَ يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَخِي، أَنْ أُخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ، يَقُولُ فِي بَيْتِي هَــذَا: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ. فَاشْقُقْ عَلَيْهِ. وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ».

* العربي التبسي: السنة: ع2، 3 أبريل 1933 ص:3.

01	البقرة	« أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ »	16	177
02		:« الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ »	27	180
03		« فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ »	73	178
04		«سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ »	142	178
05		« فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ »	152	235
06	آل عمران	« وَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا »	7	177
07		« إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ »	19	177
08	النساء	« فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقًّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً »	155	178
09	المائدة	« حُرِمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلْدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنْزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلأَزْلاَمِ ذٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلأَسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ	3	232

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
		رَّحِيمٌ »		
10		« كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ»	97	268
11	التوبة	« كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الُّدنْيَا وَالآخِرَةِ »	69	176
12		وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ»	122	170
13	الرعد	«أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ»	17	196
14		« وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ»	25	180
15	إبراهيم	« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ »	23	177
16	النحل	« مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ »	106	180
17	الأنبياء	«يُسَبِّحُونَ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ »	16	235
18		« اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ»	97	178
19	الحج	« وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ »	11	179

20	الفرقان	« وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا »	74	179
21	القصص	« وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ »	9	179
22		« مَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ »	62	173
23	العنكبوت	« الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ »	1	267
24		«ٱتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَأَقِمِ ٱلصَّلاَةَ إِنَّ ٱلصَّلاَةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ »	44	235
25	السجدة	« فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »	17	179
26	الزمر	« أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ »	22	180
27	محمد	«هَاأَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ»	38	169
28	الحجرات	« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ »	11	198
29	الحشر	« وَٱلَّذِينَ جَآءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ »	10	231
30	الصف	« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ»	2	176
31		«كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ »	3	176
32	الزلزلة	« مَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ »	7	53

2 - فهرس الأحاديث النبوية الشريفة:

الرقم	متن الحديث	الصفحة
01	« ألا إن سلعة الله غالية »	173
02	«أهجم أو هاجم وجبريل معك.»	199
03	«بدأ الإسلام غريباً ثم يعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء»	248
04	«بلغوا عني بلغوا عني»	265/170/126
05	«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ...»	183
06	«الدين النصيحة»	122
07	«عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ. وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ،... »	266
08	«قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ. لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا. لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ... »	245
09	«كلكم راعي وكلكم مسؤول عن راعيته»	152
10	كلمتان خَفيفتَان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبِيبَتان إلى الرحمن: سُبْحان الله وبحمدِه، سبحانَ اللهِ العظيم...	235
11	كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، مَالُهُ وَعِرْضُهُ وَدَمُهُ، حَسْبُ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ».	245
12	« لأنْ يَهدِيَ اللهُ بكَ رجُلاً خيرٌ لكَ من أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم»	254/170

13	لا يجدُ أحدٌ حَلاوةَ الإيمانِ حتى يُحبَّ المرءَ لا يُحبُّه إلا للّه، وحتى أن يُقذَفَ في النار أحبُّ إليه من أن يَرجعَ إلى الكفرِ بعدَ إذ أنقذَهُ اللّه، وحتى يكونَ اللّهُ ورسولهُ أحبَّ إليه مما سِواهما».	227
14	«لا يُؤْمِنُ أَحدُكُمْ حتى يُحِبَّ لأخِيه ما يُحِبُّ لِنَفْسهِ»	267
15	«لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ ــ وفي حَدِيثِ عَبْدِ الوَارِثِ ــ الرَّجُلُ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»	181
16	اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ. فَاشْقُقْ عَلَيْهِ. وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ».	276
17	«مَا مِنْ أُمَّتِي أَحَدٌ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُمْ بِمَا يَحْفَظُ بِهِ نَفْسَهُ إلاَّ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ».	275
18	«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هٰذَا ما لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ».	234
19	«مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ...»	182
20	« من غشنا فليس منا »	244/100
21	«يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربيٍّ على أعجمي... »	181
22	«يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا، فَقَدْ عَصَمَنِي اللهُ».	226

3- فهرس الأبيات الشعرية:

الرقم	الروي	آخر البت	قائله	الصفحة
01	الباء	لا تجلسوا فوقها الأحجار والخشب	شوقي	271
02	التاء	وفي سبـــيل الـــله ما لقيــــت	....	174
03	الدال	لم يبك ميت و لم يفرح بمولود	....	111/53
04	الراء	تبخـــــر في جوها واندثر	الشابي	185
05		ولابــد للقيد أن ينكـــسر		185
06		فلا بد أن يستجيب القدر		185
07	النون	نم، فالمخاوف كلهن أمان	....	228/174/100
08		وإن لقيـــت مـــعديا فعدنان	....	196/172
09	الهاء	لتلقــــى ألا لاه إذا مت به	....	172
10		وعلـــــك إن نمـــت لم تنتبه		172
11		وكـــل يجادل عـــن راهبـــه		172
12		وكـــــل يرى الحق في مذهبه		175
13	الياء	على أي جنب كان في الله مصرعي	....	176

4- فهرس الأمثال والحكم:

الرقم	الحكمة أو المثل	الصفحة
01	تقرع له العصي.	202
02	رحم الله أمرؤا هدى إلي ععيوبي	233
03	شدة الضغط تولد الانفجار.	275
04	غم يونس وحزن يعقوب	228
05	فإذا به محموم يهذي أو ممسوخ يتخبط.	201

06	كاد المريب يقول خذوني.	174
07	كل ميسر لما خلق له.	175
08	الناس معادن كمعادن الذهب و الفضة.	175
09	ما لله لله و ما لقيصر لقيصر	253
10	هنا يموت قاسي.	175

5-فهرس الجداول:

الرقم	عنوان الجدول	الصفحة
01	تواريخ ظهور،و انتهاء جرائد الجمعية الثلاثة الأولى.	11
02	صورة فرنسا في كتابات الشيخ العربي التبسي.	136
03	جدول نسب الأسماء و الأفعال في النص (النموذج).	153
04	نسبة الأسماء الجامدة و المشتقة في الفقرة الثانية من النص(النموذج).	155
05	نسب أنواع الأسماء الجامدة في الفقرة الثانية من النص.	155
06	نسب أنواع الأفعال من حيث الزمن، و دلالتها الزمنية في الفقرة النموذج.	158
07	نسبة دلالة الأفعال على الزمن في الفقرة النموذج.	158

6- فهرس الأشكال:

الرقم	عنوان الشكل	الصفحة
01	الملكية الجماعية للأرض و التضامن في القبيلة.	36
02	تنوع مواضيع الشيخ العربي و أهدافها.	84
03	بنية نص المقال، أو الخطبة في كتابات الشيخ العربي.	101
04	المدرج التكراري لنسب الأسماء و الأفعال في النص.	154
05	المدرج التكراري لنسب أنواع الأسماء الجامدة في الفقرة الثانية من النص.	156

ثالثا: قائمة المصادر و المراجع:

- القرآن الكريم.

I. المصادر*:

* ونقصد بالمصادر الكتب و المجلات و الجرائد التي أخذنا منها نصوص العربي التبسي التي تمثل مدونة البحث.

1) العربي التبسي: مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، جمع وتعليق أحمد شرفي الرفاعي، ج1، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، 1981م.
2) العربي التبسي: مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، جمع وتعليق أحمد شرفي الرفاعي، ج2، ط1، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، 1984.
3) سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المنعقد بمركزها العام، نادي الترقي بالجزائر، دار الكتب، 1982.
4) السنة، ع2، 17 أبريل 1933، درا الغرب الإسلامي بيروت، 2003.
5) السنة، ع5، 8 ماي1933، درا الغرب الإسلامي بيروت، 2003.
6) مجلة الشهاب، م1/م16، ط1، بيروت، لبنان، 2001م.

II. المراجع:

أ - العربية:

1) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان، شرح و تحقيق يحيى الشامي، م1، ط2، دار و مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1990
2) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ج3، ط1، دار الغرب، بيروت، لبنان، 1998م.
3) أبو القاسم سعد الله: أبحات و آراء في تاريخ الجزائر، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ،1990.
4) : الحركة الوطنية الجزائرية ج1، ق1،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992.
5) : الحركة الوطنية الجزائرية1900-1930، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992.

6) أبوالقاسم الشابّي: أغاني الحياة، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1999م.
7) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 2، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997
8) أحمد أبو حاقة: الالتزام في الشعر والأدب، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1979.
9) أحمد أمين: النقد الأدبي، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1983.
10) أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، م5، دار الفكر، دون بلد نشر، دت
11) أحمد محمد الحوفي: الفكاهة في الأدب، أصولها و أنواعها، نهضة مصر للطباعة و النشر، 2001.
12) : فن الخطابة، نهضة مصر العربية، القاهرة، مصر، 2001.
13) إيلياء الحاوي: فن الخطابة و تطوره عند العرب، دار الثقافة ، بيروت، دت.
14) بدوي طبانة: قضايا النقد الأدبي، دار المريخ للنشر، الرياض، 1984.
15) تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م.
16) الجرشي صلاح الدين: تجربة في الإصلاح، ابن باديس، دار الراية، تونس، 1978م، نقلا عن أنور الجندي: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا.
17) جماعة من الباحثين: أعمال الملتقى الوطني الأول حول الفكر الإصلاحي في الجزائر، 2003.

18) جماعة من الباحثين: صورة الآخر العربي ناظرا و منظورا إليه، تحرير الطاهر لبيب، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان،
19) جوزيف ميال شريم: دليل الدراسات الأسلوبية، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، 1987.
20) 1999.
21) حمدان خوجة: المرآة تقديم و تعريب و تحقيق، محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1975.
22) حميدة عميراوي: دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1987.
23) الراغب الأصبهاني: المفردات في غريب القرآن، مراجعة محمد خليل عيتاني، ط1، دار المعرفة، بيروت.
24) رمضان الصباغ: الالتزام في الأدب والفن، ط3، دار الأدب، 1973.
25) الزبير سيف الإسلام: تاريخ الصحافة في الجزار، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.
26) : تاريخ الصحافة في الجزائر، ج5، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.
27)
28) زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع، ج1، منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت، لبنان، د ت.
29) سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، ط3، المركز الثقافي، الدار البيضاء بيروت، لبنان.1985

30) : الرواية و التراث السردي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992.
31) : الكلام و الخبر، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، دت.
32) سنن ابن ماجة: تحقيق و تعليق، محمد عبد الباقي، م1، دار الفكر، دت.
33) : تحقيق و تعليق، محمد عبد الباقي، م2، دار الفكر، دت.
34) سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشرق، القاهرة، 1990.
35) سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984.
36) صالح أبو أصبع، محمد عبد الله: فن المقالة، أصول نظرية، تطبيقات، نماذج، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2001.
37) طالب محمد إسماعيل: من أساليب التعبير القرآني، دراسة لغوية وأسلوبية في ضوء النص القرآني، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1996.
38) عبد الجاسم الساعدي: الشعر الوطني الجزائري بين حركة الإصلاح والثورة، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر 2002 م.
39) عبد الحميد بوزوينة: بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي، دراسة وصفية تحليلية فنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت.

40) عبد القادر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.

41) عبد القادر رزق الطويل: المقالة في أدب العقاد، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1998.

42) عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931، 1945)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996م.

43) عبد الكريم اليافي: دراسات فنية في الأدب العربي، مطبعة الحياة دمشق سوريا، 1972.

44) عبد اللطيف حمزة: المدخل في فن التحرير الصحفي، ط4، دار الفكر العربي، د ت.

45) عبد الله إبراهيم: السردية العربية، بحث في الموروث الحكائي العربي، ط2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، 2000.

46) عبد الله بن محمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق، أحمد عبد العليم البردوني، م16، دون معلومات نشر.

47) عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، الكويت، 1998.

48) عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت.

49) عدي الهواري: الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي الاجتماعي 1830 - 1960، ترجمة جو زيف عبد الله، ط1، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1983م.

50) علي الجارم، و مصطفى أمين: البلاغة الواضحة، البيان، المعاني، البديع، ط1، مكتبة الآداب، مصر، 2002.

51) علي محفوظ: فن الخطابة وإعداد الخطيب، مكتبة رحاب، الجزائر، دت.

52) الفخر الرازي:التسفير الكبير، ج27، ط3، دار إحياء التراث العربي، دت.

53) محمد زغينة: فن المقال في كتابات أبي اليقظان، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004 /2005.

54) محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1974م.

55) : أعلام الإصلاح في الجزائر، ج2، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1976م.

56) محمد مصاييف: النقد العربي الحديث في المغرب العربي، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

57) محمد الميلي: الشيخ مبارك الميلي، حياته العلمية ونضاله السياسي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.

58) محمد ناصر: أبو اليقظان وجهاد الكلمة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980.

59) محمد الهادي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ط1، المطبعة التونسية، 1926.

60) محمود أمين العالم: الثقافة و الثورة، دار الأدب، بيروت، 1970.

61) محمود نور الدين أفاية: المتخيل و التواصل، مفارقات العرب و الغرب، دار المنتخب العربي للدراسات.

62) مصطفى لطفي المنفلوطي: في سبيل التاج، د ت، دار نتيفيت للنشر، الجزائر.

63) نايت بلقاسم مولود قاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1، ط2، دار البعث، الجزائر، 1985م.

64) يحي بوعزير: السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري 1830 -1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

ب ــ المترجمة:

1) جان بول سارتر: ما الأدب، ترجمة محمد غنييمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1990.

2) هينرش بليث: البلاغة و الأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ت محمد العمري، ط2، إفريقيا الشرق و المغرب، 1990.

ت ــ المكتوبة بلغة أجنبية:

1) Malika Hadj-Naceur: Litterature Africaine d'expression Française ; O. P. U ; 1987.

2) .Lahjomri Abd Aldjalil : L’image de Maroc dans la littératures Française, s.n.e.d ; Alger ; 1973.

III. الدوريات، و المجلات ، و الجرائد:

1) مجلة الآداب،قسم اللغة الربية و آدابها جامعة قسنطينة، ع 04، سنة 1997.
2) مجلة الآداب،قسم اللغة الربية و آدابها جامعة قسنطينة، ع05 سنة 2000.
3) مجلة الأصالة، منشورات وزارة الجاهدين، الجزائر، ع 24، مارس أافريل 1975م.
4) مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، الجزائر، ع42، ديسمبر 1978.
5) مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، الجزائر، ع 94، يونيو - أغسطس 1986.
6) مجلة جامعة قسنطينة للعلوم الإنسانية، ع 9، 1998.
7) مجلة علامات، جدة، ج54، م14، ديسمبر2004.

IV. الرسائل:

1) أنسة زعدود: جهود جمعية العلماء المسلمين في مقاومة الانحرافات الطرقية (1931- 1956)، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة، 1999-200م.
2) شراف شنتاف: التناص في ديوان البرزخ و السكين، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 03/02..
3) عقيلة صخري: فن المقال عند محمد البشير الإبراهيمي، دراسة تحليلية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة عين شمس، مصر، 1990. مخطوط بجامعة قسنطينة.

V. المعاجم:

1) ابن منظور: لسان العرب، مج: 14/13/12/8/7/6/5، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، 2004.

2) عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1980م.

3) مجد الدين الفيروزاباذي: القاموس المحيط، ج2، ط3، المطبعة المصرية، 1933م.

4) مجدي وهبة : معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1974.

VI. شبكة الأنترنيت:

1) مفيد نجم: (الوعي و اللاشعور، التناص بين الاقتباس و التضمين).

رابعا: فهرس الموضوعات:

المقدمة .... أ ــ خ

تمهيد ....01.

الفصل الأول: حياة الشيخ العربي التبسي، و سمات عصره.

1- تمهيد..14.

2- مولده و نسبه...16.

3- تعلمه..16.

4- أثر البيئة التونسية و المصرية على توجهه...........................20.
5- سمات عصره...27.
6- عودته إلى الجزائر. ....46.
7- توجهه...47.
8- نشاطه...51.
9- دخولـــه الســـــجن...69.
10- انتقاله إلى العاصمة..70.
11- استشهاده..71.

الفصل الثاني: الأشكال الكتابية والخصائص المضمونية في آثار العربي التبسي.

1- تمهيد...76.
2 – الأشكال الكتابية..79.
أ - المقال...78.
ب - الخطبة...82
3 - الخصائص المضمونية ....102.
أ – الالتزام في كتابات الشيخ..................... ....102.
أ-أ – مفهوم الإصلاح عند الشيخ العربي التبسي....................119.
أ - ب- مفهوم الوعظ والإرشاد عند الشيخ العربي التبسي............122.
ب - صورة الأنا والآخر في آثار الشيخ.................................130.

الفصل الثالث: الخصئص الأسلوبية في نصوص العربي التبسي.

1 – تمهيد ....149.
2 - القاموس اللغوي...151.
3 - بنية الجملة ....159.
4 - ظاهرة التناص، و تداخل كتابات الشيخ العربي مع التراث........166.

5 – السرد في بناء أسلوب الشيخ العربي التبسي ....187.
6 - أسلوب السخرية...198.
7 - الصورة البلاغية...211.
الخاتمة 218

الملاحق و الفهارس.

1 - الملاحق..224.
الملحق رقم:1 - نداء إلى رجال الدين بالجزائر..........................225.
الملحق رقم:2 - صدى الاعتداء على الأستاذ في الأزهر الشريف ... .228.
الملحق رقم:3 - بدعة الطرائق في الإسلام ــ 1 ــ ....230.
الملحق رقم:4 - بدعة الطرائق في الإسلام ــ 2 ــ ....239.
الملحق رقم:5 - بدعة الطرائق في الإسلام ــ 3 ــ ....243.
الملحق رقم:6 - العناية بالمجتمع حق ديني على العلماء 249
الملحق رقم:7 - كلمة إلى دينية ذوي الأحلام و النهى.........................258.
الملحق رقم:8 - هذه جريدة "السنة" يا أهل السنة ....264.
الملحق رقم:9 - كلمة الجزائر المسلمة إلى النواب المسلمين ....271.

2 ــ الفهارس...282.
1 - فهرس الآيات القرآنية:..282.
2 - فهرس الأحاديث النبوية الشريفة:.................................285.
3- فهرس الأبيات الشعرية...286.
4- فهرس بعض الأمثال والحكم......................................287.
5- فهرس الجداول...287.
6- فهرس الأشكال..288.
3 ــ قائمة المصادر و المراجع ....287.
7- فهرس الموضوعات...296.